

القراءات والهجات

من منظور علم الأصوات الحديث

الأستاذ الدكتور

عبد الفقار حامد هلال

الطبعة الثالثة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الناشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة مصر

٢٧٥٢٧٩٤ - ٢٧٥٢٩٨٤

القراءات والهجات

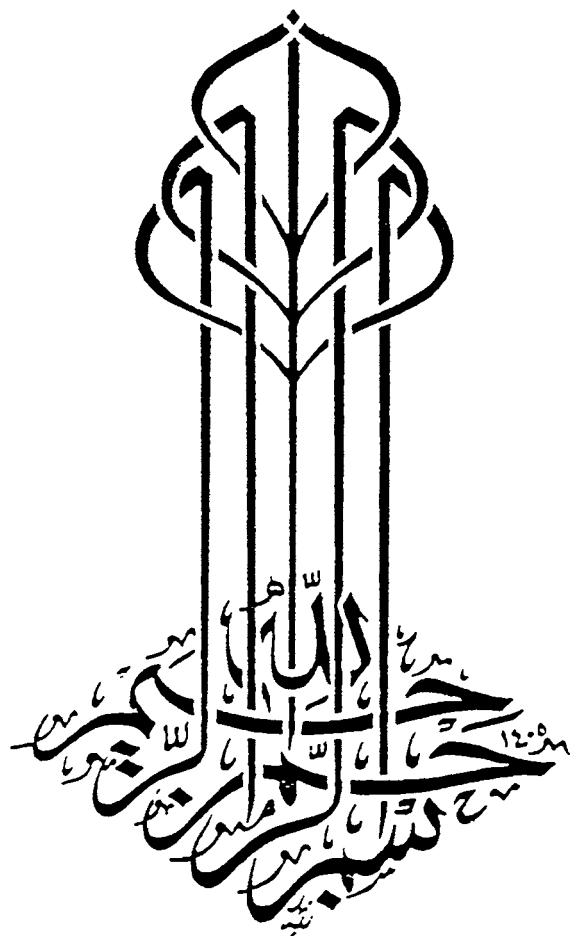
من منظور علم الأصوات الحديث

الأستاذ الدكتور
عبدالغفار حامد هلال

الطبعة الثالثة

١٤٢٦ - ٢٠٠٥ م

الناشر
دار الفكر العربي
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة مصر
ت ٢٧٥٢٩٨٤ - ٢٧٥٢٧٩٤



مَكْتَبَةٌ
لِسَانُ الْعَرْبِ

www.lisanarb.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم نبراساً يضيئ لِلإنسان طريق رشاده ويهديه إلى معرفة خالقه وسعادته في الدنيا والآخرة .

والصلاوة والسلام على من أنزل عليه القرآن على سبعة أحرف للتيسير على الأمة وتسهيل حفظه وصونه ليظل باقياً إلى يوم الدين سراجاً وهاجاً .

وبعد ...

فإن الله تعالى أنزل كتابه الكريم على نبيه محمد ﷺ للناس كافة ليعلمهم أمر دينهم وصلاح حياتهم وقد تكفل بحفظه ورعايته حين قال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وقد بشر العاملين والقائمين على نشره وبيانه للناس بالثواب الجزييل والعناية والإكرام .

ولذا تسابق العلماء والباحثون يعملون من أجله ويحافظونه بوسائل الرعاية في جميع التواхи وقد كان ذلك دافعاً لهم على السير الحثيث للوصول إلى ما يجعلهم من هؤلاء السعداء .

ونحن نعلم أن نشأة الدراسات الإسلامية والعربية كانت من أجل الحفاظ على هذا الكتاب العزيز .

وقد تنوّعت الدراسات الإسلامية التي تهتم بكتاب الله وقامت علوم مستقلة يتناول كل منها جانباً من جوانب البحث القرآني واشتملت على الأنحاء المتنوعة التالية :

١ - علم أسباب النزول .

٢ - علم الناسخ والنسوخ .

٤ - علم القراءات القرآنية .

٥ - علم الإعجاز القرآني .

٦ - علم إعراب القرآن .

٧ - علم التفسير .

٨ - علم الرسم والخط .

وهذه العلوم تتتنوع بين ما يبحث في النواحي التاريخية القرآنية كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وتدوين القرآن وحفظه وقراءاته . وبين ما يبحث في طرائق فهمه واستنباط الأحكام منه في فروع الشريعة من فقه العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو غير ذلك من الأمور التي تنفع الإنسان في حياته وبعد مماته .

ومعروف أن اللغة هي وعاء الوحي فلا بد من معرفتها لمعرفة لغة القرآن وفهم طرائقه التعبيرية التي توصل إلى المعانى المراده منه ومعرفة خصائصه فى استنباط المعانى واستخلاص الأحكام التى جاء بها عن المولى عز وجل .

ولعل أهل اللغة إذا بذلوا جهدهم فى الحفاظ على القرآن الكريم نطقا وكتابة وفهموا يمكنون قد أدوا واجبهم نحو كتاب الله تعالى .

ولعلى أدل دلوى فى هذا الميدان فقد قضيت حياتى بين علوم القرآن أنهى منها طالبا وأستاذا حتى أصبحت مشغولاً طول الوقت بهذا الكتاب الذى أجده الراحة حين أبحث فيما يعود عليه بالصون وأكتشف كل يوم فيه جديداً من الأمور التى تدل على أنه كلام رب العالمين .

القاهرة فى :

١٥ من صفر سنة ١٤٢٥ هـ

٥ من أبريل سنة ٢٠٠٤ م

أ. عبد الغفار حامد هلال

الفصل الأول

تعريف القرآن^(١)

اختلفت آراء العلماء في أصل لفظ « القرآن » واصنافه فذكر بعضهم أن كلمة « قرآن » بدون « أَلْ » في أصل اللغة مصدر مثل غفران ورجحان .

وقد استعمل المصدر بمعنى اسم المفعول فيطلق لفظ « قرآن » ويراد به المقرء وقد جاء هذا الاستعمال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جُمِعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (٢٧) فِإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ (٢٨) ، القيامة : أَيْ علينا قراءته وعليك اتباع المقرء منه .

فإذا كان منكرا شمل كل مقرء من كلام الله تعالى أو غيره وإذا عرف « بأل » فقيل « القرآن » فإنه عند الإطلاق يختص بالمجموع المعين من كلام الله تعالى المقرء على السنة العباد .

وهذا هو رأى اللحيفي وجماعة ورجحه الراغب الأصفهاني في مفرداته ويرى الزجاج أن « قرآن » وصف مهموز على وزن « فعلان » مشتق من « القرء » بمعنى الجمع و فعله « قرأ » بمعنى « جمع » .

تقول العرب « قرأت وقررت الماء في الحوض » بمعنى جمعته ويقولون ما قرأت الناقة جنينا بمعنى أنها لم تحمل أى لم تجمع في بطنه ولدا .

ويكون كلام الله تعالى قد سمي بذلك لأن الآيات والسور مجتمعة فيه وبهذا قال أبو عبيدة أو لأنه يجمع خلاصة الكتب السابقة التي أنزلت على رسول الله من قبل ويضم ثمراتها وبهذا قال الراغب الأصفهاني .

(١) للقرآن الكريم أسماء كثيرة عدها أبو العالى عزيزى بن عبد الملك الشهير بشيدلة فى كتابه البرهان خمسة وخمسين اسمًا - وعدها على بن أحمد بن الحسن التنجيى الشهير بالحرالى نيفا وتسعين اسمًا كما يقول السيوطى فى الإتقان ١ / ٥٠ ويرجعها الألوسى إلى أسمين هما القرآن والفرقان وزاد الطبرى عليهما - الكتاب والذكر .

ويرى جماعة منهم أبو الحسن الأشعري أن القرآن وصف غير مهموز مشتق من معنى «القرآن» بمعنى الضم والجمع أيضا يقال في اللغة «قرن» أي ضم شيئاً إلى شيء آخر.

وتكون تسمية كلام الله تعالى بذلك على ما سبق - لاقتراض السور والآيات والحروف بعضها إلى بعض فيه على نحو يجمعها ويضمها.

ويرى الفراء أن «القرآن» مشتق من القرينة وجمعها قرائن فالشيء يكون قرينة على شيء آخر ، أي يكون دليلاً على المراد منه والصواب فيه ويكون كلام الله تعالى قد سمي بذلك لأن آياته يصدق بعضها بعضاً فكل منها قرينة على صحة الآيات الأخرى .

ولم يرتضى هذا الرأي الزجاج .

وأصحاب هذه الاستدلالات يرون أن «القرآن» قد أصبح علماً على هذا الكتاب العزيز فهو حقيقة لغوية في كلام الله تعالى النفسي أو اللفظي أو المشترك بينهما .

ويرى الشافعي وجماعة أن «القرآن» علم مرتجل غير مشتق وهو معرف غير مهموز - خاص بكلام الله تعالى وقد نقل هذا الرأي عن الشافعي والبيهقي والخطيب وغيرهما^(١) .

ومع اعترافنا بأن الاستدلالات التي ذهب إليها اللغويون صحيحة في مرادها ومعناها فإن رأى الشافعي ومن معه أسلم اتجاهها في تفسير اللفظ .

(١) يقول الجاحظ سمي الله تعالى كتابه اسماء مخالف لما سمي العرب كلامهم على الجملة والتفصيل ، سمي جملته قرانا كما سموا ديوانا ، وبعضه سورة ، كقصيدة وببعضها آية كالبيت وأخرها فاصلة كقافية (الإنقان . ط الحلبي ١ / ٥٠ ، وانظر معجمات اللغة «قرآن» و «قرن» .

وفي القرآن الكريم ما يشهد بعلمية هذا اللفظ على كلام المولى سبحانه كما في قوله تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوْجٍ ﴾ (٢٨) « الزمر » وكقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٦) « النمل » وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٩) « الإسراء » .

أما معناه في اصطلاح العلماء فإنه يختلف بحسب الطائفة التي تعرفه فعلماء الشريعة يعرفون القرآن بأنه هو المجموع المعين من كلام الله تعالى كالمعنى اللغوي ويطلق شرعاً أيضاً على المعنى القائم بذاته تعالى النافي للسكتوت والآفة .

وهذا إذا كان اللفظ معرفاً « القرآن » أما « قرآن » منكراً فلم يعهد في الشرع نقل له عن المفهوم اللغوي .

وعند الأصوليين اسم للفظ العربي المنزلي على محمد بن علي المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر بلا شبهة (١) .

وبعض العلماء كالشوكياني يضيف إلى التعريف « المتلوا » (٢) وبعضهم يضيف « المتعدد بتلاوته » .

وعند القراء كما هو عند الأصوليين إلا أنهم اشترطوا التواتر في الكتابة وأما النقل فيكتفون بصحة الرواية وشهرتها .

والقرآن على هذه الآراء يطلق على مجموع كلام الله تعالى وعلى بعضه قليلاً أو كثيراً .

(١) وجيز أبو حنيفة - رحمة الله - في بعض ما نقل عنه - القراءة بالفارسية في الصلاة ولكن هذا لا يدخل بالتعريف فالنظم العربي موجود تقديراً أو حكماً وقبل إذ أنها حنية رجع عن هذا الرأي .

(٢) إرشاد الفجول ص ٢٩ ، ٣٠ ط القاهرة .

و عند الفقهاء اسم لهذا المنزل العربي المعجز فلا يطلق إلا على سورة أو آية مثلها ^(١) .

و عند المتكلمين : هو المعنى القائم بذاته تعالى ليس هو من جنس الاحروف والأصوات بل يلفظ ويسمع باللّفظ الدال عليه ويحفظ بالنظم الخيل ويكتب بنقوش وصور وأشكال موضوعة للحروف الدالة عليه .

و هم يذكرون ذلك في الحديث عن صفات الله تعالى ^(٢) .

ويتبين لنا - من عرض هذه الآراء - أن الخاصية الأساسية للقرآن الكريم هي أنه كلام رب العالمين نزل به جبريل الأمين على محمد عليه السلام ليكون مقرراً مثلاً على الألسنة ^(٣) ، وليعمل بمقتضاه .

و المتراتر في التعريفات السابقة يخرج القراءات الشاذة .

و « المعجز » يخرج الأحاديث القدسية . وكذلك قيد « المثلو » فالآيات القدسية لا تدل في الصلاة وإذا كانت قراءة الأحاديث القدسية تدخل في نطاق العبادة فإن القرآن أعلى منها وأدخل في باب العبادة .

مدة نزول القرآن الكريم :

بعث نبينا محمد عليه السلام على رأس الأربعين كما يدل عليه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في تاريخه عن طريق أبي داود بن أبي هند عن الشعبي قال : أُنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة .

(١) ذكر ذلك الشيخ حسن بن علي العجمي الحنفي المكي في رسالته المسماة ، منحة الباري في إصلاح زلة القاري . انظر (التحرير السادس لشرح القول المفيد مخطوط ص ٨) . و يعترض الغزالى على التعريف بالمعجز قائلاً : (فإن قيل هل حدثه بالمعجز ؟ قلنا : لا . لأن كونه معجزاً يدل على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام لا على كونه كتاب الله تعالى لا محالة ، فالإعجاز يتضمنه ما ليس بكتاب الله تعالى وإن بعض الآية ليس بمعجز . المستصفى للغزالى ٦٥ / ١) .

(٢) انظر : النبأ العظيم ، للدكتور عبد الله دراز ص ١٢ ، ١٣ ط دار العلم . الكويت .

ومكث عليه في مكة بعد البعثة عشر سنين وقضى في المدينة عشرًا كذلك فقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما قالا : لبث النبي عليه بعكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرًا .

معنى ذلك أن مجموع سنوات الوحي - عشرون سنة - وقد كانت سنّه عليه قبل النبوة - أربعين سنة - فيكون مجموع سنّه عليه السلام - ستين سنة .

وهذا يتفق مع حديث رواه البخاري عن ابن عباس وعائشة أنه عليه عاش ستين سنة فقط .

فإذا أضفنا إلى ذلك الفترة الزمنية بين نزول الملك عليه في غار حراء بأول ما نزل من القرآن من سورة العلق إلى أمر المولى له عليه بالدعوة الإسلامية حين نزل عليه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُذَّكَّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) ﴾ « المذکور » وهي مدة ثلاثة سنوات يكون عليه قد مكث بعكة ثلاثة عشرة سنة وإذا كانت البعثة على رأس الأربعين من بداية الوحي في غار حراء ف تكون وفاته عليه وقعت بعد ثلاثة وستين سنة من العمر - وهذا يوافق رواية أخرى لحديث رواه البخاري عن عائشة أنه عليه توفي وهو ابن ثلاثة وستين .

وبناء على ما تقدم اختلف في مدة نزول القرآن أفي عشرين سنة أو ثلاثة وعشرين .

فمن ضم المدة التي قيل الأمر بالدعوة يرى أن القرآن قد نزل في ثلاثة وعشرين سنة ومن لم يضم هذه المدة يجعل القرآن قد نزل في عشرين سنة .

والأول هو المشهور .

كتابات القرآن الكريم وتدوينه في المصاحف

كان عليه حريصاً على كتابة الوحي وقد اشتهر بعض الصحابة الذين كان يستكتبهم النبي عليه ومن هؤلاء زيد بن ثابت ثم معاوية^(١) وهناك صحابة آخرون كتبوا الوحي للرسول الكريم مثل الزبير وعمرو بن العاص وعبد الله بن الأرقم وعامر بن فهيرة . والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن رواحة وخالد بن الوليد ، وثابت بن قيس بن شماس وعبد الله بن أبي سرح^(٢) .

ويدل لهذا ما رواه الحاكم عن زيد بن ثابت قال « كنا على عهد رسول الله عليه نولف القرآن من الرقاع^(٣) » ولعل الرسول عليه كان يبحث على ذلك حفظاً للقرآن الكريم ، وما يدل - كذلك - على كتابة القرآن في عهده عليه ما اشتهر من قصة إسلام عمر وأنه دخل على أخيه وهي تقرأ في صحيفة أول سورة طه . وأنه أخذ منها الصحيفة والقصة في سيرة ابن هشام^(٤) ولعل بعض الأحداث التي كانت تؤدي إلى استشهاد القراء كانت سبباً في هذا الحرص السبوى الكريم على تدوين القرآن وتسجيله ، من ذلك حادثة بشر معونة التي كانت في صفر من السنة الرابعة للهجرة ، فقد قتل فيها سبعون من القراء كما في رواية البخارى ومسلم وكانوا قد ذهبوا يعلمون بعض الناس الإسلام والقرآن ، قتلتهم قبائل رجل وذكوان وعصبة^(٥) .

(١) وما عرف في ذلك أن النبي عليه قال عنه لا أشيع الله بطنه لما كان يطلبه لكتابه الوحي فيجده مشغولاً بالأكل وقيل إنه كان يأكل سبع مرات يومياً .

(٢) ارتد ثم أسلم عام الفتح وحسن إسلامه ، انظر زاد المعاد لابن قيم الجوزية ١ / ٢٩ .

(٣) المستدرك والحديث على شرط الشعixin والرقاع كانت من الجلد ونحوه مما يكتب فيه . ٢٢٩ / ٢ .

(٤) السيرة ١ / ٢٩٧ .

(٥) تفسير ابن كثير (٧٧٤ هـ) وانظر فضائل القرآن في صحيح البخارى وقد كان الرسول يدعوه على القتلة من القبائل المذكورة وانظر في أسمائهم : عيون الآثار ٤٦ / ٢ .

وبعد وفاة الرسول ﷺ جمع القرآن الجموع الأول في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وذلك لما حصل من قتل كثير من القراء في حرب البردة ويوم اليمامة مشهور متعالماً كان عدد المسلمين فيه ثلاثة عشر ألفاً فيهم من القراء الكبار ما يقارب ثلاثة آلاف .

قتل منهم ما يقرب من خمسين قارئاً كما ذكر الحافظ بن كثير ^(١) فلما وجد أن كثرة من القراء يموتون وربما يؤودي ذلك إلى أثر غير محمود لحفظ القرآن وصيانته كلف الخليفة أبو بكر بعض الصحابة الأجلاء ليقوموا بجمع القرآن من العُسب واللخاف وصدور الرجال فقام بذلك من كلفوا به خير قيام وفي مقدمتهم زيد بن ثابت وأبي بن كعب وقيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له موقف مشهود في المطالبة بجمع القرآن ويرى أن شارك زيداً في هذا الجمع أيضاً ، وكان بعض الصحابة يلى كأبي وبعضهم يكتب ^(٢) .

وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه كثرت الفتوح الإسلامية واتسعت وانتشر الصحابة في الأقاليم المفتوحة ليعلموا الناس الداخلين في الإسلام قراءة القرآن وتعاليمه السماوية وظهرت بوادر اختلاف في وجوه الأداء القرآني بين هؤلاء الصحابة وأحياناً كانوا يتنازعون الآراء في القراءة الصحيحة ، فكل يدعى لنفسه أن قراءته هي الصواب دون ما سواها ، ومن ذلك ما حصل في غزو أذربيجان وأرمينية سنة ٣١ هـ فقد اجتمع قراء من الشام والعراق وسمع بعضهم بعضاً يتلو القرآن واختلفوا في وجوه التلاوة ، وكان معهم حذيفة بن اليمان ففزع لما حدث وأبلغ عثمان بن عفان ليجمع الأمة قبل أن يتفاقم الخلاف فأمر عثمان بجمع القرآن الكريم وكتابته

(١) تفسير ابن كثير (٧٧٤ هـ) / ٢٠ / وجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد محمد بن سليمان بن الورداي (ت ١٠٦٤ هـ) بتحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني وكتاب المصاحف للسجستانى ١ / ٩ .

(٢) انظر البخاري في قصة حذيفة بن اليمان في أذربيجان وكتابه عثمان المصحف ٦ / ١٨٣ . وابن الأثير في حرواثت سنة ٣٠ هـ .

في المصاحف وقد قام بالجمع أربعة من أجيال الصحابة وحافظتهم وضباطهم للقرآن وهم : زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فجمعوا الصحف التي كانت على عهد أبي بكر - رضوان الله عليه - ونظروا فيها وأخذوا عن الحفاظ المتقدن وعن الصحف المكتوبة لدى بعض الصحابة وكان عمل عثمان محل إجماع الأمة^(١) وقد كتب في عهد عثمان عدد من المصاحف أرسل بها إلى الأمصار الإسلامية في مكة والبصرة والكوفة والشام واليمن والبحرين وجعل مصحفاً للمدينة قيل : إنه المصحف الإمام وقيل إن عثمان أمسك لنفسه مصحفاً مستقلاً ولذلك اختلف في عدد المصاحف هل كانت سبعة أو ثمانية ، ويذكر القرطبي أنها كانت أربعة فقط^(٢) ومنعاً للخلاف أحرق عثمان المصحف الخاصة ببعض الصحابة كمصحف أبي بن كعب ومصحف عبد الله بن مسعود لتجتمع الأمة على ما استقر عليه إجماع الصحابة .

وقد بقيت مصاحف عثمان تؤدي دورها في خدمة الأمة الإسلامية في أقطارها المتعددة زمناً طويلاً وقيل إن مصحف الشام يقع في مدينة طبرية حتى سنة ٥١٨ هـ ثم نقل إلى الجامع الأموي بدمشق^(٣) ويقال إنه احترق في أول هذا القرن ولكن لم يصلنا منها شيء وكانت المصحف العثماني خالية من النقط والشكل ولم يكن الاعتماد على المكتوب هو الأصل في الإقراء بل كانت القراءة تتم على يد الشيخ الحفاظ والتلقى منهم والرواية عنهم وإنما كانت

(١) مناهل العرفان للزرقاوي ١ / ٣٧٢ .

(٢) يقصد في مكة والبصرة والكوفة والشام وبقي في المدينة المصحف الإمام . انظر في هذا الإنقاذ للسيوطى وفضائل القرآن ملحق بتفسير الحافظ ابن كثير .

(٣) مناهل العرفان للزرقاوى ١ / ٣٧٢ .

المصاحف لحفظ القرآن والاطمئنان عليه وكانت الكتابة فيه تدرك بالتلاؤة والقراءة على الشيوخ .

ولم يكن خط المصاحف العثمانية سبباً في اختلاف القراءات من بعد كما زعم بعض المستشرقين مثل جولد تسبيهير^(١) .

وبعد تفشي اللحن قام أبو الأسود الدؤلي بإذن من زياد والى البصرة بوضع إعراب القرآن بال نقط فأحضر كتاباً وقال له خذ المصحف وأعطيه مداداً أحمر وقال له فإذا رأيتني فتحت شفتني بالحرف فضع نقطة واحدة فوق الحرف وإذا كسرته فضع نقطة واحدة تحته وإذا ضمتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف فإن تبع شيئاً من هذه الأحرف غنة فانقط نقطتين ، وترك السكون بلا علامة حتى انتهى من إعراب المصحف كله وأقام بهذا النقط عملية الإعراب . وفي أواخر القرن الأول الهجري ، بدت الحاجة الماسة إلى تغيير الحروف المشابهة بعضها من بعض لتسرب التصحيف والتحريف إليها إذ أمر الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبد الملك بن مروان بإتمام نقط المصحف أو إعجامه وتم ذلك على يد بعض العلماء بهذا الأمر مثل يحيى بن نصر من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم الليثي الذي كان يطلق عليه نصر الحروف وعبد الرحمن بن هرمز وعنترة الفيل^(٢) .

وقد رتبوا الحروف حسب صورها ووضعوا لها نقاطاً تيز بعضها عن بعض وجعلوا النقط بنفس مداد الكتابة لاصقة بالحروف لأن

(١) في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي انظر ترجمة الدكتور عبد الحليم التجار ، دار الكتب الحديثة أو السنة المحمدية - القاهرة .

فقد كان يزعم أن قراءة مثل « فجينا » أو « فشترا » ومثل « بشري » بين يدي رحمته أو « نشرا » من آثار رسم المصحف وهو زعم باطل .

(٢) تفسير ابن عطية ١ / ١٥ وانظر الحكم في نقط المصاحف للدانى تحقيق الدكتور عزة حسن ص ٦ .

النقطة جزء من الحرف حتى تتميز عن نقط الشكل التي تكتب بالمداد الأحمر والقاف في هذا الإعجام تنقطع نقطة واحدة فرق والفاء نقطة واحدة من أسفل .

ولما جاء الخليل بن أحمد وجد أن نقط تمييز الحروف قد تختلط بـ نقط الإعراب فاتخذ خطوطاً مستقيمة للدلالة على النصب والجر وكان ذلك في وضع رأسى ثم تحولت إلى الوضع الأفقي وجعل للدلالة على الضم رأس واو صفيحة وتكرر العلامة إذا كان الحرف متوناً وجعل للسكون دائرة كرأس الميم أو رأس حيم (ج) وعبر عن الشدة برأوس شين ووضع لهمزة القطع رأس عين صفيحة وعن المد بمحضر (مد) وعن همزة الوصل برأوس هاء (ه) وهذا قد ظل إلى الآن (١) .

وبذلك وضع الخليل الحركات لضبط كلمات القرآن والعربية وكان هذا بعد تفشي اللحن .

وألف بعض العلماء كتاباً في نقط المصحف مثل السجستانى من علماء القرن الثالث الهجرى - في كتابه « نقط المصاحف » وكذلك أبو عمرو الدانى وغيرهما وقد توالى المؤلفات فى رسم المصحف (٢) .

وظل المصحف يتداول مكتوباً بالخطوط العربية المتنوعة على أيدي كتابين مهرة للجماهير المسلمة وعلى أيدي كتابين لأنفسهم أحقاها طريلة .

(١) انظر كتابنا مناهج البحث في اللغة والمعلم ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) انظر المقنع في رسم المصحف لأبي عمرو الدانى وعنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل لأبي العباس المراكشى واللؤلؤ المنظرم في ذكر جملة من المرسوم للشيخ محمد بن أحمد الشهير بالقرلى وعقبة أثراب القصائد للشاطبى - وراجع البرهان للدركشى والإتقان للسبطى وفتون الفنان لابن الجوزى فإنها تضمنت مباحث تتعلق برسم المصحف .

وقد طبع المصحف الشريف لأول الأمر في البندقية بإيطاليا
حوالى سنة ١٥٣٠ م ولكن السلطات الكنسية أعدمت هذه الطبعة
ثم طبع في سانت بطرسبرج في روسيا سنة ١٧٨٧ م طبعها مولاي
عثمان .

ثم طبع في مصر بإشراف الأزهر الشريف سنة ١٩٢٣ م على ما
يوافق رواية حفص عن عاصم ثم تابعت طبعات المصحف بعد ذلك .

الفصل الثاني

بين التجويد والقراءات

التجويد مصدر للفعل جود مضعف العين يُجَوِّد إذا عمل عملاً على الوجه الحسن متقدماً ويأتي الثلاثي منه فيقال جاد الشئ إذا صار جيداً ويأتي مزيداً بالهمزة فيقال أجاد فلان كذا ومزيداً بالتضعيف فيقال جود الشئ وجود فيه إذا أتى به في صورة جيدة :

وأجوده ضد الرداءة وتعنى المادة (جود) في معجمات اللغة معنى الإتقان والإحسان سواء كان ذلك في الأفعال أو في الكلام ^(١) وتجوييد النطق عبارة عن إحسانه وإتقانه وهو في تجويد القرآن كما يقول ابن الجزرى بإعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف .

فأول ما يجب في التجويد تصحيح إخراج كل حرف من مخرج المختص به تصحيحاً يمتاز به من مقاربه وتوفيقه كل حرف صفتة المعروفة به توفيقه تخرجه عن مجانيه بعمل لسانه وفمه . بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك له طبعاً وسلقة ^(٢) .

وقد قال مكى نصر - أيضاً - التجويد بإعطاء كل حرف حقه ومستحقه ^(٢) وذلك فيما يتعلق بالخارج والصفات وهذا يتطلب معرفة مخارج الحروف وصفاتها وائتلاف الكلمات والعبارات وما يتطلبه ذلك من الإظهار والإخفاء والإدغام والإقلاب والمد والقصر إلى غير ذلك .

(١) راجع معاجم اللغة - اللسان (جود) .

(٢) الشتر ١ / ١٢ .

(٣) نهاية القول المقيد ص ١١ .

ومعنى هذا أن يتقن النطق دون تكلف أو إسراف بطريقة حلوة
لطيفة لا يعتمد على قضيغ اللسان ولا تعويج الفم ولا ترعيه
الصوت ولا تُعطي الشفة حتى لا يخرج عن طباع العرب وكلام
الفصحاء بوجه من الوجه^(١) ، والأمة كما هم متبعون بفهم معانى
القرآن وإقامة حدوده متبعون بتصحيح الفاظه وإقامة حروفه على
الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرى النبوية الأفصحية التي
لا يجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها^(٢) :

وأمام الأداء : فهو نطق ما تكون منه اللغة من أصوات وكلمات
وجمل نطقاً وافية من حيث الخارج والصفات لتبدو كاملة لا نقص
فيها Intensity مستغرقة الحد الزمنى المقرر لها Duration ويطلق فى
العربية على إخراج الحروف من مخارجها .

وهو فى قراءة القرآن - يطلق - كما قال المرعشى - على النطق
بالحرف بإعطائه حقه بمخرجها وصفة كما يتلقى عن الشيخ مشافهة
وهذا المعنى يرادف المراد من التجويد .

ففى كل منها إخراج للأصوات من مخارجها ومراعاة صفاتها
مفردة ومركبة وكلا الأمرين يتطلب الأخذ عن الشيخ وقد أصبحت
معرفة القواعد التى ترشد إلى هذا النطق السليم علماً من العلوم
سمى علم التجويد وتعلم قواعده وتتلقى طريقة تطبيقها عن شيخ
هذا الفن .

ولذلك نجد بعضهم يعرف علم التجويد بأنه العلم الذى يبحث
فيه عن مخارج الحروف وصفاتها وما يتعلق بها إفراداً وتركيباً فى
القرآن الكريم^(٣) وهذا التعريف يعني البحث فى مسائل هذا العلم

(١) النشر ١ / ١٢ .

(٢) النشر ١ / ٤١٠ .

(٣) جهد المقل للمرعشى ، الورقة ١ وبيان جهد المقل الورقة ٧ .

وقوانينه التي تتعلم من كتب هذا العلم وشيوخه ويعرف علم التجويد - كما ذكرنا - بأنه إعطاء الحروف حقوقها كما ذكر ابن الجوزي .

وهذا يقتضى أن للعلم جانبياً نظرياً وتطبيقياً وقد اختلف في ارتباط الجانب العملي بالسائل النظرية فهل لابد من معرفة الأمرين أو يمكن أن يكتفى بأحدهما ليكون المرء عارفاً بالتجويد .

أما تحصيل قواعده دون القراءة على الشيخ فيEDA أمر عسير المنال إذ يمكن معرفة القاعدة دون إمكان التطبيق لأن الإنسان كثيراً ما يعجز عن أداء الحروف إذا اعتمد أساساً على معرفة مخارجها وصفاتها من المؤلفات ما لم يسمع من فم الشيخ^(١) وقد قيل يمكن أن يتلقى علم التجويد مشافهة عن الشيوخ دون إمام أو معرفة بقواعدة المدونة في كتابه^(٢) .

والواقع أن المتعلم للتجويد ينبغي أن يجمع بينهما فمن يعرفه ساعاً وتقلیداً فقط يدخله الوهن والضعف إذ لا يثبت أن يشك في دخله التحرير والتصحيف لأنه لم يبن على أصل ولا نقل عن فيه^(٣) .

أما من يعلم التجويد روایة عن الشیوخ وقياساً مبنياً على الاستنتاج من قواعده التي درسها - في كتابه - واعتماداً على التمييز بين الأداء الصحيح وال fasid لعلمه بقواعدة وأصوله الكلية فذلك هو الخاذق الفطن لعلمه ذلك روایة وقياساً وغایباً^(٤) .

ولذلك يقول الشيخ عبد الدايم الحديدي الأزهري^(٥) .

(١) المنح الفكرية ص ٢٣ والنشر .

(٢) جهد المقل للمرعشى الورقة ١ وبيان جهد المقل الورقة ٧ .

(٣) تجوييد التلارة وتحقيق القراءة للدادنى الورقة ٤ والرعاية لكتى ص ٦٩ .

(٤) الصادر السابقة وبيان جهد المقل الورقة ٧ .

(٥) ت ٨٧٠ هـ .

وطريقة التجويد الأخذ عن أفواه الشيوخ العارفين بطريق التجويد بعد معرفة مخارج الحروف وصفاتها وكيفية الوقف والابداء وما يتبع ذلك من المقطوع والموصول ومعرفة رسم ما يحتاج إليه والإدمان في ذلك حتى يألفه طبعه ويصير سجية له^(١).

وقد أوضح ابن الجزرى طرق الأخذ عن الشيوخ وأنها نوعان :

الأولى : طريقة المتقدمين وهي : أن يسمع من لسان الشيخ .

والثانية : طريقة المتأخرین وهي : أن يقرأ المتعلم في حضرة الشيخ وهو يسمعه .

وجمع بعضهم بين الطريقتين بأن يقرأ الشيخ أولاً ليسمع التلميذ ثم يعقبه المتعلم ليقف الشيخ على الأخطاء في قراءة المتعلم ينبهه على كل منها في مكانها أو في نهاية القراءة وأكمل ذلك السيوطى في حديثه عن القراءة على الشيخ والسماع من لفظه وقال : إن الصحابة أخذوا من رسول الله ﷺ القرآن وكان الصحابة بطبيعتهم فصحاء لهم قدرتهم على الأداء ورسول الله ﷺ قال لأبى بن كعب رضى الله عنه إن الله أمرنى أن أقرأ القرآن عليك ، والمراد أن قراءته عليه الصلاة والسلام على أبى تعليمه وإرشاده وهو أول قراءة الصحابة وأشدهم استعداداً لتلقى القرآن منه ﷺ كتلقيه عليه الصلاة والسلام من أمين الوحي جبريل عليه السلام^(٢).

حكم تعلمه وفائدة :

لا شك أن لعلم التجويد جانبياً نظرياً ويتمثل في معرفة أصوله وسائله وعملياً وهو القراءة الفعلية للقرآن حسب هذه القواعد والأصول .

(١) الطرزات المعلمة للشيخ عبد الدايم الحديدى الورقة ٥ :

(٢) نهاية القول المفيد ص ١٣ ، ١٤ .

أما الشق الأول فهو : من فروض الكفاية إذا تعلمـه البعض سقط عن الباقيـن لكنـه يـصبح فـرض عـين إذا تـوقف تحـصـيل التـجوـيد على تـعلم مـسائلـه ، وـفـقد الشـيخ المـحـود الذـي يـمـكـن مشـافـهـتـه والتـلقـى عـنـه .

أما الشـق الثـانـي فهو : فـرض عـين وـقد نـقلـنا عـنـ ابنـ الحـزـرـى ما يـفـيد أـنـ الـأـمـةـ مـتـعـبـدـةـ بـتـصـحـيـحـ الفـاظـ الـقـرـآنـ وـإـقـامـةـ حـرـوفـهـ كـمـاـ نـقـلـتـ عـنـ النـبـىـ عـلـيـهـ وـجـعـلـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ ذـلـكـ وـاجـبـاـ عـلـىـ كـلـ مـنـ قـرـأـ شـيـئـاـ مـنـ الـقـرـآنـ كـيـفـمـاـ كـانـ لـأـنـهـ لـاـ يـتـرـخـصـ أـبـداـ فـيـ تـغـيـيرـ الـلـفـظـ فـيـ الـقـرـآنـ أـوـ الـلـحنـ فـيـ وـقـصـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ ذـلـكـ عـلـىـ مـاـ يـلـزـمـ الـمـكـلـفـ قـرـاءـتـهـ فـيـ الـمـقـرـضـاتـ فـإـنـ تـجـوـيدـ الـلـفـظـ ، وـتـقـوـيمـ الـحـرـوفـ وـحـسـنـ الـأـدـاءـ وـاجـبـ فـيـهـ فـحـسـبـ .

ويـذـكـرـ الشـيـخـ عـلـىـ الـقـارـىـ فـىـ كـتـابـهـ الـمنـحـ الـفـكـرـيـةـ أـنـ تـجـرـيـدـ الـقـرـآنـ مـنـ الـلـحنـ الـجـلـىـ فـرـضـ عـينـ وـتـجـرـيـدـهـ مـنـ الـلـحنـ الـخـفـىـ الذـيـ يـعـرـفـهـ عـامـةـ أـهـلـ الـأـدـاءـ وـاجـبـ وـتـجـرـيـدـهـ مـنـ الـلـحنـ الـخـفـىـ الذـيـ لـاـ يـعـرـفـهـ إـلـاـ مـهـرـةـ أـهـلـ الـأـدـاءـ مـسـتـحـبـ وـعـلـىـ ذـلـكـ فـإـنـ عـلـمـ التـجـوـيدـ لـهـ فـائـدـةـ جـلـيلـةـ هـىـ صـونـ الـلـسـانـ عـنـ الـخـطـأـ فـيـ مـاـ نـزـلـ مـنـ الـقـرـآنـ وـهـذـهـ الـفـائـدـةـ تـؤـدـىـ إـلـىـ فـائـدـةـ أـخـرـىـ هـىـ الـفـوزـ بـسـعـادـةـ الدـارـيـنـ لـاـشـغـالـ صـاحـبـ هـذـاـ الـعـلـمـ بـكـتـابـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ وـقـرـاءـتـهـ تـحـقـقـ الـفـضـلـ الـعـظـيمـ لـأـهـلـهـاـ .

فـعـنـ عـلـىـ كـرـمـ اللـهـ وـجـهـهـ قـالـ سـمـعـتـ رـسـولـ اللـهـ عـلـيـهـ يـقـولـ :
سـتـكـونـ فـتـنـ قـلتـ : مـاـ اـخـرـجـ مـنـهـ يـاـ رـسـولـ اللـهـ ؟ـ قـالـ : كـتـابـ اللـهـ ؛
فـيـهـ نـبـأـ مـاـ قـبـلـكـ وـخـبـرـ مـاـ بـعـدـكـ وـحـكـمـ مـاـ بـيـنـكـمـ وـهـوـ الـفـصلـ لـيـسـ
بـالـهـزـلـ ،ـ مـنـ تـرـكـهـ مـنـ جـيـارـ قـصـبـهـ اللـهـ وـمـنـ اـبـتـغـىـ الـهـدـىـ فـيـ غـيـرـهـ
أـصـلـهـ اللـهـ وـهـوـ جـبـلـ اللـهـ الـمـتـينـ وـهـوـ الذـكـرـ الـحـكـيمـ وـهـوـ الـصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ
وـهـوـ الذـىـ لـاـ تـرـيـغـ بـهـ الـأـهـوـاءـ وـلـاـ تـلـتـبـسـ بـهـ الـأـلـسـنـةـ وـلـاـ يـشـبـعـ مـنـهـ
الـعـلـمـاءـ وـلـاـ يـخـلـقـ عـنـ كـثـرـةـ الرـدـ وـلـاـ تـنـقـضـ عـجـائـبـهـ وـهـوـ الذـىـ لـمـ تـنـتـهـ

الجبن إذ سمعته أَنْ قَالُوا : ﴿إِنَا سَمِعْنَا قِرآنًا عَجَبًا﴾ من قال به صدق ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إِلَيْهِ هُدًى إِلَى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١) :

وقال عليه السلام : «إن الله أهلين من الناس قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : هم أهل القرآن أهل الله وخاصةه^(٢) .»

وقال عليه السلام : «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتعنت فيه وهو عليه شاق له أجران^(٣) » ولذلك قال ابن الجزرى إن : أولى العلوم ذكرا وفكرا وأشرفها منزلة وقدرا وأعظمها ذخراً وفخراً كلام من خلق من الماء بشراً فجعله نباً وصبراً فهو العلم الذى لا يخشى معه جهالة ولا يفتشى به ضلاله وإن أول ما قدم من علومه معرفة تجويده وإقامة ألفاظه^(٤) .

علم القراءات والصلة بينه وبين علم التجويد :

يقول الزركشى القرآن والقراءات حقيقةتان متغيرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزّل على محمد عليه السلام للبيان والإعجاز والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفياتها من تخفيف وتشديد وغيرهما والقراءة مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع إتقان الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه الخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها^(٥) .

(١) جامع الترمذى ٨ / ٢١٨ وسن الدارمى ٢ / ٤٤٤ .

(٢) سن الدارمى ٢ / ٤٣٣ وسن ابن ماجة ١ / ٧٨ وانظر النشر ١ / ٦٥ .

(٣) مسلم بشرح النووي ٦ / ٨٤ وسن أبي داود ٢ / ٧١ وجامع الترمذى بشرح الأحوذى ٨ / ٢١٦ وهو حديث حسن صحيح عن السيدة عائشة رضى الله عنها .

(٤) التسبيد في علم التجويد ٤٠ .

(٥) مناهل العرفان للذرقاوى ١ / ٤٠٥ والاختلاف هنا اختلف نوع لا اختلف تعارض :

﴿رَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ^(٦) ، النساء ، الآية ٨٥ .

وعلم القراءات كما يقول ابن الجزرى علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزراً لناقله^(١) :

ويقول البنا الدمياطى : « علم يعلم منه إتقان الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع^(٢) » وهو على هذا علم يتعلق بالمعرفة والبحث في الاختلافات الواردة المسماة على لسان القراء وأصولها المبنية عليها . وهذه الاختلافات أنواع منها المتراتر وغيره ، وقد خص حاجى خليفة هذا العلم بالتراث من الاختلافات فقال : هو « علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتراثة^(٣) » .

ولكن تعريف غيره كابن الجزرى والبنا الدمياطى يجعله أعم من ذلك فيشمل الاختلافات المتراثة وغير المتراثة وهذا كما يشمل الأصوات المفردة يشمل المركبات فهو يتعلق بنطق الأصوات بإخراج الصوت من مخرجه صحيحاً فصيحاً وفق المقاييس الموقلة عن العرب ونطق الأصوات في التراكيب وما يعروها من تحقيق وتغيير .

فعلى هذا فالقراءات هي وجوه متعددة في طريق الأداء للقرآن الكريم مثله لطائق النطق لدى القبائل العربية وهي مأثورة يجوز اتباع ما صح منها تسهيلاً على الأمة الإسلامية .

وعلى هذا يشترك مع علم التجويد في موضوعات كثيرة كالبحث في مخارج الأصوات وصفاتها وما يعروها حال التركيب من أحكام وذلك من أحكام كتلك التي تتعلق بالترقيق والتفخيم

(١) منجد القرنين ص ٣ .

(٢) الإتحاف ١ / ٦٧ ولطائف الإشارات ١ / ١٧٠ .

(٣) كشف الظنون ٢ / ١٣١٧ ط ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

والإدغام والفك والمد والقصر والإملاء والفتح والإشمام والاختلاس إلى غير ذلك إلا أن البحث في هذه المسائل يتعلّق بتحديد مواضعها وحقائقها ووظائفها حين تدرس في علم التجويد ومدى مطابقتها لما نقل عن العرب .

أما في علم القراءات فتدرس لمعرفة ما يناسب منها إلى قارئ معين دون غيره وقد يرجع الباحث فيها على معرفة مطابقتها لقوانين العربية من غيره وارتباطها ببيئاتها اللغوية إلى جانب صحة السند فيها .

فقد يدخل العلمان في مباحثهما لكن لكل منها مباحث أصلية تعدد في العلم الآخر تتميّزاً للفائدة ومع ذلك يعد كل واحد من العلمين متاماً للآخر .

يقول مكي بن أبي طالب وغيره من كتبوا في القراءات والتجويد : إن الغرض الأساسي من علم التجويد : معرفة ماهيات صفات الحروف واختلاف القراء ليس داخلاً فيه .

فحينما يذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فإنما هو من باب ما يتم الموضوع .

وكذلك الغرض الأساسي من علم القراءات معرفة اختلاف أئمة الأمصار في نظم القرآن في نفس حروفه أو في صفاتها وما يتعلّق بماهيات الحروف وصفاتها خارج عنه فإذا ذكر فيه شيء من ذلك فهو من باب الإلعام لأن الغرض الأساسي لا يتعلّق بذلك ^(٢) .

ويتفقان في الهدف العام وهو صون كلام الله تعالى عن التحريف والتغيير وبذلك يتضح ما بينهما من وشائج القربى فكل

(١) كشف الظuros ٢ / ١٣١٧ ط ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

(٢) الرعاية لكتاب من ٤٢، ٤٣، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٥، ١٦٤، ١٧١، ٢٩٩ وجهد المقل .
لساچقلى ١٢ / ش .

من العلمين يستند إلى ما في الآخر من بحوث ويحتاج دارس التجويد إلى معرفة المنقول من القراءات كما يحتاج دارس القراءات إلى معرفة أصول فن التجويد .

وقد يترتب على الجهل بأحد هما فقدان الصواب العلمي لأى منهما وكما يقول ساجقلی زاده : إن من لم يعرف القراءات إذا سمع قراءة متواترة لم يعرفها ينكرها وفي ذلك يخشى عليه أمر عظيم^(١) .

وفي علم القراءات عدة مصطلحات وتسميات خاصة يجب على الباحث فيها معرفتها وهى :

الإمام - الراوى - الطريق - الوجه .

فالمأمور هو صاحب القراءة .

والراوى هو الآخذ عنه .

والطريق هو الآخذ عن الراوى .

فكما أن لكل إمام راويا فلكل راو طريق .

فيقال قراءة نافع رواية قالون عن طريق أبي نشيط^(٢) ويقول السيوطي « فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الروايات ، والطرق عنه فهو قراءة وإن كان للراوى عنه فرواية أو كان بعده فنازاً لفطريق ، أولاً على هذه الصفة ما هو راجع إلى تخيير القارئ فيه فوجه^(٣) .

ونسبة القراءة للإمام لا تعنى أنه يقرأ عن اجتهاد أو رأى وإنما أنه اختار هذه القراءة وفضلها على غيرها يقول الزركشي عن القراءات السبع : هذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء فإن كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءة ما هو الأحسن

(١) جهد المقل ٧ / ش .

(٢) كشف الظنون ٢ / ١٣١٧ وانظر، إتحاف فضلاء البشر ص ٨٨ وغيره النفع ص ١٤ .

(٣) الإتقان ١ / ٧٤ وانظر إتحاف فضلاء البشر ص ٢٠ .

عنه والأولى ولزم طريقة منها وروها وقرأ بها واشتهرت عنه ونسبت إليه فقيل : حرف نافع وحرف ابن كثير ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر ولا أنكره بل سوّجه وحنته وكل واحد من هؤلاء روى عنه اختياران أو أكثر وكل صحيح^(١).

وعلى ذلك فكل قارئ اختار من بين ما قرأ وروى عمن قرأ عليه مثل نافع فإنه قرأ على سبعين من التابعين ولكنه جعل اختياره لما اتفق عليه اثنان وترك ما عداه وكذلك القراء الآخرون فالقارئ لم يختر القراءة اختياراً ولا هي من اجتهاده ورأيه وإنما له فيها مجرد الاختيار من المسنون المنقول المؤثر عن النبي ﷺ ونقله صحابته والتابعون من بعدهم وكانت هناك أسس تبني عليها المعرفة بالقراءة الصحيحة لاختيارها وترك ما عداها وذكر ابن الجزرى هذه الأسس والمعايير :

يقول : كل قراءة وافتقت العربية ولو بوجه ووافتقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردتها ولا يتحمل إنكارها^(٢).

القارئ أنواع :

المبدئ : من شرع في الإقراء إلى أن يفرد ثلاث قراءات .

المتوسط : من ثلاثة إلى أربع أو خمس .

المستهنى : من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها^(٣) .

المقرئ :

هو العالم بالقراءات إذا رواها مشافهة لا من الكتب فهو حفظ الشاطبية - مثلا - فليس له أن يقرئ بما فيها إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً وذلك لأن القراءات لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة^(٤).

(١) البرهان ١ / ٢٢٧ والنثر ١ / ٥١ ، ط . القاضى .

(٢) النثر ١ / ١٩٣ ط . القاضى .

(٣) القراءات المسوترة ص ٦٦ .

(٤) انظر لثائق الإشارات ١ / ١٧١ ومنجد المقرئين لابن الجزرى .

وكان القرآن في عهد الرسول ﷺ محفوظاً في صدر الحفظة وفي عهد عثمان رضي الله عنه لما خيف من اختلاف النص القرآني على الألسنة ومات كثير من الحفاظ وضعفت المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الأمصار^(١) وقد زاد عدد القراءات وكثرت في الأمصار الإسلامية كالمدينة ومكة ودمشق وحمص والبصرة والكوفة وعكف قوم على القراءة والأخذ وجردوا أنفسهم لذلك ومع كثرة القراءة وجد من يجيد ويتقن القراءة ومن لا يجيد من اعتمد على الصحف التي يطالعها دون روایة أو مشافهة^(٢).

ومن هنا كان اختيار القراءات يتم منذ النصف الثاني من القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني الهجريين وظهرت المؤلفات في القراءات مبكرة منذ القرن الثاني وباستقلال منذ القرن الثالث الهجري على حين ظهرت مؤلفات التجويد المستقلة في القرن الرابع.

(١) مصحف إلى البصرة ومصحف إلى الكوفة ومصحف إلى الشام ومصحف إلى المدينة بقى فيها ومصحف للإمام عثمان وهو الذي يسمى المصحف الإمام ومصحف إلى مكة ومصحف إلى اليمن ومصحف إلى البحرين ، ومن كان له مصاحف قبل ذلك من الصحابة مثل علي أو أبي بن كعب أو ابن مسعود تركه إلى المصحف العثماني وقد أحرق عثمان كل هذه المصاحف التي تختلف المصحف العثماني ونزل الصحابة على الإجماع الإسلامي .

(٢) الجامع للأداء للمعدل المصري ج ١ ص ٤٤ .

أئمة القراءة وأشهر رواياتهم

القراء الأربع عشر ورواتهم

أولاً : القراء العشرة ورواتهم^(١)

١ - ابن عامر : (٨ - ١١٨ هـ) :

وُعِرَفَ بِالرَّوَايَةِ عَنْهُ :

١) ابن ذكوان (١٧٣ - ٢٤٢ هـ).

(ب) هشام بن أبيان (١٥٣ - ٢٤٥ هـ).

: ۲ - این کشیر : (۴۵ - ۱۲۰ هـ) :

بڑی عنہ :

(أ) البرزى : أحمد بن محمد مولى بنى مخزوم المكى

(- ۲۰ - ۱۷)

(ب) فَنِيل : تولى مشيخة القراء بالحجاز (ت ٢٩١ هـ)

٣ - عاصم بن أبي النجود : (ت ١٢٧ هـ) :

أشهـر من الرواـة عـنـه :

(أ) حفص بن سليمان (ابن زوجة عاصم) ، (٩٠) -

١٨٠

(ب) شعبة بن عياش (ختم القرآن ثمانية عشر ألف ختمة)

• (۱۹۳ - ۹۴)

٤ - أبو عمرو^(٢): (٦٨ - ١٥٤ هـ) تيمي بصرى:

(١) ذكر ابن مجاهد السبعة ونسبهم ورواتتهم واتصالهم بالرسول في الرواية وتلاميذه من حاملي قراءاتهم كاملة أو بعض الحروف . انظر : السبعة لابن مجاهد - تحقيق د / ضيف - ص ٣٥ وما بعدها - الأسانيد ص ٨٨ وما بعدها .

(٤) اكتفى ابن مجاهد بأبي عمرو عن تلميذيه يعقوب الحضرمي (من العشرة) واليزيدى (من الأربعين عشر) .

أشبر رواته :

(أ) الدُّورى (حفص بن عمر) : ضرير ، نسب لموضع قرب
بغداد (١٥٠ - ٢٤٦ هـ) .

(ب) السوسي : هو شعيب صالح بن زياد . نسب إلى السوس
كورة بالأهواز (ت ٢٦١ هـ) .

٥ - حمزة : (٨٠ - ١٥٦ هـ) :

راوياته :

(أ) خلف : هو خلف بن هشام البزار (من بلد فم الصلح من
فوق واسط) .

(ت بغداد ٢٢٩ هـ)

(ب) خلاد : هو خلاد بن خالد الصيرفي - كوفي
(ت ٢٢٠ هـ) .

٦ - نافع : (٧٠ - ١٢٩ هـ) :

أشبر رواته :

(أ) ورش (رئيس الإقراء بالديار المصرية) .

هو عثمان بن سعيد المصري القبطي الملقب بورش لقبه به
نافع لشدة بياضه أو لحسن قراءته ، رحل إلى المدينة ثم رجع
إلى مصر .

(ولد بمصر ١١٠ هـ وتوفي بها ١٩٧ هـ)

(ب) قالون : هو عيسى قالون بن مينا المدنى ، كان أصم يلقم
أذنه فم القارئ ، وهو مولى ، وقالون - بلسان الروم -
معناه « جيد » (١٢٠ - ٢٠٥ هـ) .

٧ - الكسائي : (١١٩ - ١٨٩ هـ) :

أشهر رواته :

(أ) الليث . بغدادي (ت ٢٤٠ هـ) .

(ب) الدورى .

٨ - أبو جعفر : هو يزيد بن القعقاع شيخ نافع^(١) (ت ١٣٠ هـ)

مدني :

أشهر رواته :

(أ) عيسى بن وردان : مدنى (ت ١٦٠ هـ)

(ب) ابن جماز : هو سليمان بن مسلم بن جماز - مدنى
(ت ١٧٠ هـ) .

٩ - يعقوب الحضرمي : (١١٧ - ٢٠٥ هـ) بصرى :

رواياته :

(أ) روح ، واسمها روح بن عبد المؤمن مولى هذيل .
(ت ٢٣٤ أو ٢٣٥ هـ) .

(ب) رويس : هو أبو عبد الله بن المسوكل المؤلثي - بصرى -
(ت بالبصرة ٢٣٨ هـ) .

١٠ - خلف : خلف بن هشام (١٥٠ - ٢٢٩ هـ) بغدادي :

أشهر رواته :

(أ) إسحاق : هو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان المروزي ثم
البغدادي (ت ٢٨٦ هـ) .

(ب) إدريس بن عبد الكريم البغدادي الحداد .

(ولد ١٩٩ هـ - ت ٢٩٢ هـ يوم الأضحى) .

(١) اكتفى ابن مجاهد بالتلمساني نافع عن الأستاذ أبي جعفر .

الأربعة الشواذ :

١١ - الحسن البصري ^(١) : مولى الأنصار (٢١ هـ) في خلافة عمر ت : ١١٠ هـ

أشهر رواته :

(أ) شجاع بن أبي نصر البلخي البغدادي .

(١٢٠ هـ - ت بغداد ١٩٠ هـ) :

(ب) الدورى .

١٢ - ابن محيصن ^(٢) هو محمد بن عبد الرحمن المكي معاصر ابن كثير (ت ١٢٣ هـ) :

أشهر رواته :

(أ) البزى .

(ب) ابن شنبوذ محمد بن أحمد بن أيوب البغدادي ^(٣) عراقي
(ت ٣٥٨ هـ) .

١٣ - الأعمش : هو سليمان بن مهران شيخ حمزه ^(٤) (٦٠ - ١٤٨ هـ) .

(١) تركه ابن مجاهد بالقياس إلى أبي عمرو بن العلاء إمام القراء البصريين .

(٢) ذكر ابن مجاهد في حديثه عن قراءة ابن كثير أن أهل مكة لم يجمعوا على قراءة ابن معيصن تمنة القراء عشر وإنما جمعوا على قراءة ابن كثير ، ويقول ابن مجاهد - أيضاً - عن ابن محيصن : كان له اختيار لم يتبع فيه أصحابه . ويقول ابن الجزرى فى ترجمته « لولا ما فى قراءته من مخالفات المصحف العثماني لأختنه بالقراءات المشهورة (انظر : طبقات القراء لابن الجزرى) .

(٣) ردّه ابن مجاهد خالفته ما تجمع عليه الروايات والقراءات مثل ابن مسمى العطار .

(٤) تركه ابن مجاهد لأن قراءاته لا تخرج عن قراءة الكوفيين .

أشهر رواته :

(أ) المطوعى : هو الحسن بن سعىء المطوعى المصرى (ت ٣٧١ هـ) .

(ب) الشبوذى الشطوى : اسمه محمد بن أحمد بن مطرى ببغدادى (٣٠٠ - ٣٨٨ هـ) .

١٤ - البزيدى : يحيى بن المبارك .

رواياته :

(أ) سليمان بن أيوب بن الحكم الخياط - بصرى (ت ٢٣٥ هـ) .

(ب) أحمد بن فروج (الضرير) - ببغدادى ^(١) (ت ٣٠٣ هـ) .

(١) انظر فى تراجم القراء ورواتهم : لطائف الإشارات ١ / ٩٧ - ١٠٠ ، ومن ١٠٤

الفصل الثالث

من مصطلحات التجويد والقراءات

لابد لنا في هذا الصدد أن نوضح المقصود بأمور مهمة هي :
التلاوة ، والترتيل ، والتجويد والأداء ، ثم نذكر معنى العلم في
التجويد والقراءات .

فالتلاوة : هي قراءة القرآن على التتابع بين آياته وسوره .

وهي في الأصل مصدر للفعل ، تلا يتلو ، والمادة - كما يقول ابن فارس - تفيد « الاتباع » يقال : تلاه إذا تبعه ، وتلوته إذا تبعته .

ويقال تلا يتلو إذا أتبع الكلام بعضه بعضا ، وتطلق التلاوة على القراءة مطلقا ، ويدخل فيها قراءة القرآن . يقول الربيد : « تلوت القرآن أو كل الكلام : قرأته » ^(١). ويدرك ابن دريد : « تلوت القرآن : إذا قرأته ، كأنك أتبعت آية بعد أخرى » ^(٢) .

ويجعل بعض العلماء اتباع الرسم في الكتب المقدسة خط المصحف داخلا في معنى التلاوة ؛ لأنها اتباع لقراءة واتباع للرسم أيضا .

وتلاوة القرآن لابد أن تكون على تؤدة وتأن في القراءة بما تبين معه الحروف والحركات من غير عجلة .

أنواع التلاوة

لتلاوة طرق متنوعة مأثورة عن القراء وهي مستمدۃ مما كانت تجرى عليه طبائع العرب وما فطروا عليه في بيئاتهم المتعددة وما

(١) انظر ناج العروس .

(٢) الجميرة ٤ / ٩٢ .

- ويقول الجوهري : الترتيل في القراءة : الترسل فيها والغبيون بغیر بغی (مادة رتل) .

- وفي القاموس : الرتل : « معركة ، حسن تناسق الشئ .

كانت تقتضيه من تأن أو زيادة أو توسط فيه أو سرعة في النطق . وهذه الطرائق تتفق مع الطابع البشري الذى لا تخرج عن واحد منها فالإنسان إما أن يبطئ فى النطق أو يسرع أو يتوسط^(١) وهذا خاص للمرة الزمنية التى يستغرقها الناطق طولا وقصرا ، وهذا القدر الزمنى يتفاوت حسب البطء والسرعة ويتناسب معهما تناسبا عكسا .

فالإبطاء يزيد معه الزمن المستغرق والإسراع يقل فيه الزمن وكلما قل الإبطاء أو زاد اختلف الزمن الذى يستغرقه نطق الحروف والكلمات .

ومن هنا وجدت أنواع للتلاوة وهى كالتالى :

١- التحقيق :

فى اللغة هو الوصول إلى حقيقة الشئ ومعرفة كنهه ويراد منه الإتيان بالشئ على حقه أى وجهه من غير زيادة فيه ولا تنقص منه . وهو - عند أهل الأداء - (علماء التجويد والقراءات) بمعنى إعطاء الحروف والحركات حقها دون زيادة على طبيعتها الواجبة لها : وذلك كإشباع المد وتحقيق الهمز وإثمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات وتوفيقية الغفات والوقف فيما يجوز الوقف عليه إلى غير ذلك .

ولكنه يتمس بشئ من البطء والتؤدة أكثر من الترتيل .

وهذا اللون مأثر عن بعض القراء ؛ فمن أصحابه حمزة ورواه قتيبة بن مهران عن الكسائي كما رواه بعض المصريين عن الحلواني وهشام وروى عن ورش ، وهو شائع عند قراء العراق .

(١) هذا أيضا يقع في كل اللغات ويسمونه Tem P0 (مقدار الزمن) ومنه العادي والبطئ والسريع ، انظر :

- Heffner : General Phonet : Gs. P 204,205

- (هيغ너 في كتابه علم الأصوات العام) ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

ويستخدمه القراء وعلماء التجويد - عادة - في التعليم والتمرين والرياضة لِإجادَة قراءة القرآن الكريم وحفظه على النحو السليم .

ومع ذلك يجب أن يحذر فيه من زيادة البطل في نطق الحروف والحركات حتى لا يؤدي ذلك إلى تحرير السواكن ، وتوليد الحروف عن الحركات ، والبالغة في تكرير الراءات ، والبعد عن زيادة الغناء التي تؤدي إلى تطين النونات إلى غير ذلك مما تنفر عنه الطياع السليمة .

وكم قال السخاوي :

للحرف ميزان فلا تك طاغيا

فيه ولا تك مخسر الميزان ^(١)

وقال الحفاظاني :

زن الحرف لا تخرجه عن حد وزنه

فوزن حروف الذكر من أفضل البر ^(٢)

٢ - الترتيل :

وهو في الأصل مصدر رتل فلان كلامه إذا أتبع بعده ببعضه متأنيا فيه .

قال ابن الجزري : الترتيل اتباع القراءة بعضها بعضا على مكث وتفهم في نطق الحروف والحركات من غير عجلة ^(٢) .

وسائل على كرم الله وجهه عن معنى قول الحق تبارك وتعالى :

(١) التربية : عمدة المفید في علم التجوید مخطوطۃ دار الكتب المصرية رقم ٢٣٨ قراءات الورقة ١ .

(٢) القصيدة الحافظية ، مخطوطۃ دار الكتب المصرية ضمن مجموع رقم ٢٤٦ (مجاميع تیمور) الورقة ٨٦ .

(٣) النشر ١ / ٢٩٦ ونهاية القول المفید ص ١٥ .

﴿ وَرَتَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ **﴿ الزَّمْل﴾** فَقَالَ : هُوَ تَحْوِيدُ
الْحُرُوفِ وَمَعْرِفَةِ الْوَقْفِ .

وَقَدْ جَاءَتِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ مُؤْكِدَةً التَّرِيَثَ فِي الْقِرَاءَةِ ، وَتَحْسِينِ
النُّطُقِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : **﴿ وَقَرَأْنَا فِرْقَنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى
مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾** **﴿ الْإِسْرَاءُ﴾** .

وَقَدْ نُزِّلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُجْمَعًا أَوْ مُفْرَقًا فِي ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ سَنَةً
أَوْ عِشْرِينَ سَنَةً لِيُثْبِتَ بِالْتَّرْدِيدِ وَيُسْتَفَرَ فِي الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ . يَقُولُ
الْقَسْطَلَانِيُّ :

« وَفِي إِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُفْرَقًا وَجُرْهُ مِنَ الْحِكْمَةِ ، مِنْهَا
تَسْهِيلُ حِفْظِهِ وَتَكْرِيرُ لِفْظِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ نُزِّلَ جَمْلَةً وَاحِدَةً عَلَى أَمَّةٍ أَمِيَّةٍ
لَا يَقْرَأُ غَالِبُهُمْ وَلَا يَكْتُبُ لِشَقِّ عَلَيْهِمْ حِفْظَهُ وَثُقلَ لِفْظَهُ كَمَا أَشَارَ
إِلَى ذَلِكَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ - رَدًا عَلَى الْكُفَّارِ - : **﴿ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جَمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثْبِتَ بِهِ
فُؤَادُكُمْ ﴾** **﴿ الْفَرْقَانُ﴾** .

كَذَلِكَ أَيُّ أَنْزَلْنَاهُ مُفْرَقًا لِنَقْوِيَّ بِتَفْرِيقِهِ فَؤَادُكُمْ حَتَّى تَعْيَهُ
وَتَحْفَظَهُ لِأَنَّ الْمُتَلْقَى إِنَّمَا يَقْوِيُّ قَلْبَهُ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ شَيْئًا بَعْدِ شَيْئًا
وَجُزْءًا بَعْدِ جُزْءٍ وَلَوْ أَلْقَى عَلَيْهِ جَمْلَةً وَاحِدَةً لَعَجزَ عَنْ حِفْظِهِ ^(١) .

وَقَالَ عَزْ مِنْ قَائِلٍ : **﴿ لَا تُحَرِّكْ بَهْ لِسَانَكَ لَتَعْجَلَ بِهِ ﴾** إِنَّ
عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ **﴿ إِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتِّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾** **﴿ الْفَرْقَانُ﴾** .

٣ - التدوير :

هُوَ التَّوْسُطُ بَيْنَ الْمَاقَمَيْنِ التَّحْقِيقِ وَالْخَدْرِ مَعَ التَّدْبِيرِ وَالتَّفْكِيرِ ،

(١) لِطَافِ الإِشَارَاتِ لِفَنُونِ الْقِرَاءَاتِ ، ص ٢٤ .

وقد قرأ بالتدوير أكثر الأئمة من روى مذ المفصل ولم يبلغ به حد الإشاع كابن عامر والكسائي .

وهو اختيار عند أكثر أهل الأداء .

٤ - الحدر :

في اللغة مصدر حدر - يحدُّر - بالضم - مثل نصر ينصر : أى أسرع .

والحدور : الهبوط - ضد الصعود - ومن خصائصه الإسراع .

وهو في اصطلاح أهل الأداء : إدراج القراءة وسرعتها وتحفيتها وذلك كما يحدث من قصر المنفصل واحتلاس الحركة والتiskin والبدل والإدغام الكبير وتحفيض الهمزة وبشرط ألا يخل بالأحكام التجويدية العامة على وجہ المعتاد من إظهار وإدغام ووصل ووقف ومد وقصر وسائر ما هو معروف منها في التجويد ^(١) .

والقراءة بالحدور مذهب ابن كثير وأبي جعفر وأبي عمرو ويعقوب وسائر من قصر المنفصل كالولى عن حفص و قالون والأصبهانى عن ورش وأكثر العراقيين عن الحلوانى عن هشام .

والحدور ينبع إلى بيئات عربية تميل إلى السرعة وعدم التأنى في النطق كبعض البيئات البدوية .

ويذكر مكي نصر أن الحدر من طبائع العرب وما تكلمت به الفصحاء منهم ^(٢) لكن القارئ به ينبغي أن يحترس من التجاوز والإفراط في السرعة حتى لا يؤدي ذلك إلى الإخلال بقواعد وأصول التجويد كترك المد ، وذهاب صوت الغنة واحتلاس أكثر الحركات .

(١) النشر ١ / ٢٠٧ والقول المفيد ص ١٥ .

(٢) نهاية القول المفيد : ص ١٥ .

فإلا فرط في السرعة يؤدى إلى حالة لا تصح بها القراءة .

وهذه الأنواع الأربعية يتفاوت فيها زمان النطق حسب البطء والسرعة على التقابل فما كان بطئاً احتاج إلى زمن أطول ، وما كان سريعاً إلى زمن أقل ، والتوسط يحتاج إلى زمن على قدره بين بين .
والتحقيق والحدر متبعادان كل منهما على طرف غير الذى عليه الآخر .

فالتحقيق غاية البطء والحدر غاية السرعة والتحقيق يشترك مع الترتيل في البطء إلا أن التحقيق زائد في ذلك على الترتيل ، ولذلك فإن التحقيق أخص من الترتيل ، ونظر بعضهم إلى أن التحقيق في البطء والترتيل نوع داخل فيه فجعل التحقيق أعم من الترتيل ^(١) .
وهما نظرتان مختلفتان في الألفاظ ومتفتتان في المضمون فإذا جعل الثاني هو الأساس والبطء زيادة في الثاني فالترتيل أعم والتحقيق أخص منه ، وإذا جعل البطء هو الأساس والثاني نوع من البطء فالتحقيق أعم من الترتيل والترتيل أخص منه .

وبين الترتيل والتدوير وشائج قربى في بينهما شبه كبير في إعطاء الحروف حقها والثانية في أدائها بحسب اختلاف البيئات العربية وما يميل إليه القارئ مما تحيز القراءة به :

ولا شك أن لكل واحد من هذه الأنواع أثره وأهميته فالتحقيق مطلوب للتعليم والتدريب والترتيل والتدوير مطلوبان للتدبر والفهم ^(٢) وفضل القراءة بهما كثير من القراء للتفقه والتدبر .
وما أنسد الخاقاني :

وترتيلنا القرآن أفضـل لـلـذـى
أـمـرـنـاـ بـهـ مـكـشـنـاـ فـيـهـ وـالـفـكـرـ

(١) المصدر السابق : ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٧ .

ومهما حدرنا درسا فمرخص

لنا فيه إذ دين العباد إلى اليسر

ويفضل بعض القراء القراءة بالحدى للإكثار من القراءة
وللحصول على ثواب أكثر لما جاء في حديث رسول الله عليه السلام الذي
رواه ابن مسعود قال : قال رسول الله عليه السلام : من قرأ حرفًا من كتاب
الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن
«ألف» «حروف» «لام» «حروف» «ميم» «حروف»^(١).

ولكن ما عليه معظم السلف والخلف هو أن أنواع التلاوة
الأخرى التي تشتمل على الثاني كالترتيل والتدوير مع قلة المقروء
أفضل من السرعة مع كثرته^(٢) وليس أحد مكرها على اتباع أحد
هذه الأنواع من التلاوة دون غيره لشأنه يكون في ذلك التكليف بما لا
يستطيع^(٣).

وتجاوز هذه الطرائق الأدائية بالنقص أو الزيادة يعد حراما لا
يجوز اتباعه في القرآن.

وقد ظهر أن التجاوز يتخذ أشكالاً عديدة منها :

١ - طريقة الغناء أو الطرب أو الترقيس :

وذلك بتجاوز الحقوق التي تتبع في نطق الحروف الصامتة
والحركات بتنفيذها بطريقة تشبه الحان الغناء من التكليف
والتمطيط والتعسف والتغيير ، وقد يبدو ذلك في إطالة المد على غير
حده أو تقصيره عن وجيهه المطلوب ، ويدخل في ذلك التكسر في
نطق الحروف والكلمات كأنه يرقص ومن ذلك ما يحدث من محاولة

(١) جامع الفرمذى (نحفة الأبوعذى شرح جامع الترمذى) ٨ / ٢٢٦ ، ودليل الفالحين ٣ / ٤٩٣ ، والنشر ١ / ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) النشر : ١ / ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٣) كما قال الإمام مالك . انظر : نهاية القول المفيد ص ١٧ .

الوقف على الحرف الساكن ثم ترك الوقف عليه والنفور عنه بتحريره .

٢ - الترجمة:

بأن يجعل في صوته أثر رعدة كالذى يرعد من شدة البرد .

٣ - التجزئين:

بأن يظهر في صوته أثر الحزن ويتجه به نحو البكاء وإظهار الخشوع ، فهذا ونحوه يعد نوعا من الرياء .

٤ - التحريف:

كأن يذهب بالحروف والكلمات عن مستحقها الصوتي ، ومن صوره - أيضا - أن تقرأ جماعة في وقت واحد ينطق بعضهم جزءا من الكلمة أو العبارة وينطبق بعضهم الآخر بالجزء الآخر من الكلمة أو العبارة ، وهذا من الابداع والحرمة^(١) .

هذا والنفخ واستخدام الألحان المتبعه فيه حرام في القراءة على
هذا النحو الذي يقوم على الموسيقى مخالفًا الأداء الواجب .

أما قول الرسول ﷺ : « ليس منا من لم يتغنى بالقرآن » ^(٢) .

فالمراد من الفعل (يتغنى) معنى الاستغناء به والاقتصار عليه لما فيه من الخير ولما في العمل به من السعادة والقناعة عن الشهوات والموبقات . أو المراد بقوله (يتغنى) تحسين القارئ صوته أو محاولة ذلك التحسين ، أو اهتمام السامع بهذا التحسين لتلذذه به الأسماع وتأثيره على القلوب ، والمقصود بالتحسين اتباع الواجب في أصوات القرآن بجودة الأداء وتقويم اللفظ والبعد عن مجاوزة الحد بما يفسد القراءة وتجهيز الطياع السليمة ^(٢) .

(١) نهاية القول المفيد : ص ١٨ وما بعدها .

(۲) سن ابی داود ۲ / ۷۴

(٣) النشر : ١ / ٢١٢، ٢١٣ .

وقد دعا الرسول ﷺ إلى تحسين الصوت بالقرآن في قوله :

(زينوا القرآن بأصواتكم) وقوله (حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا) ^(١).

وجاء حديث آخر لرسول الله ﷺ يوضح الأخذ بالواجب في القراءة حسب ما جاء عن العرب من النطق الواضح السليم والبعد عن ما لم تألفه طباعهم وما جرى عليه منطقهم مما عرف عن المنحرفين من أهل الفسق والكبار لقوله ﷺ :

(اقرأوا القرآن بلحون العرب وإياكم ولحون أهل الفست
زالكبائر فإنه سيجيئ أقوام من بعدى يرجعون القرآن ترجيع الغناء
والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من
يعجبه شأنهم) ^(٢) فلحون العرب يقصد بها ما جاء موافقاً لطبع
العرب وسلفيتهم التي جبلوا عليها واعتادوها بلا زيادة أو نقص .

ويقصد بلحون أهل الفسق والكبار اتباع طرائق غريبة عما
عهد عن العرب أصحاب اللغة من لحن موسيقى غريب على سمع
العرب لما جاءت به النغمات الموسيقية وفق التأليف المستحدثة .

وهذا إذا أخذ به القارئ ابتعد عن النهج الصوتي السليم
للقراءة والأخذ به والتمادي فيه يقع في الحرمة .

(١) سنن الدارمي ٢ / ٤٧٤ عن البراء بن عازب ، وسنن النسائي ٢ / ١٧٩ (باب تزيين القرآن بالصوت) .

(٢) سنن النسائي ٢ / ١٧٩ .

الفصل الرابع

التأليف في التجويد والقراءات

لا ريب أن الصلة وثيقة بين هذين العلمين وعلوم العربية إذ يفيد كل منهما من الآخر، ولذلك لا غرو أن نقول: إن دراسة العربية كانت سباجاً لحفظ القرآن الكريم ، وإتقانه إلى جانب معرفة أحكامه والعمل بمقتضاه ، فظل النظر والبحث في التجويد القرآني مرتبطاً بالدراسات اللغوية منذ نشأتها ، وكذلك صلته بعلوم اللغة كال نحو والصرف ، والبلاغة والأصوات ونحوها ، فمباحث التجويد تتناول في علوم اللغة بأنواعها .

وعلوم اللغة نشأت - كما قلنا - للحفاظ على كتاب الله تعالى . ولعلنا نجد أن الدراسات الصوتية الأولى فيما يتعلق بالرسم الكتابي ، كانت خشية التحرير والتصحيف ، حين اهتم بعض العلماء بالحروف الهجائية ووضع رموز الحركات ونظام الإعجام ، والنقط ونظام الشكل ، وساعد ذلك كله على ضبط وصحة الأداء القرآني .

فكان أن بدأ أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) فوضع رموز الحركات من الفتحة والضمة والكسرة ، فوضع نقطة مستديرة فوق الحرف تدل على فتحه ، ونقطة أخرى أسفل الحرف لتدل على كسره ، ونقطة وسط الحرف لتدل على ضمه ، ونقطتين للدلالة على التنوين .

وذلك بعده يخالف المداد الذي كتب به الحزف حتى يميز بينهما .

وتعاون مع أبي الأسود تلميذه نصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ) وبحيبي بن يعمر العدواني (٩٠ هـ) .

ووضع نصر بن عاصم نظام الإعجم والنقط لتمييز الحروف الهجائية بعضها من بعض ، ومن ثم يمكن نطقها نطقاً صحيحاً دون انحراف أو خطأ .

وجاء الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) فعدل نظام الحركات ، واستبدل به نظام الشكل ، فألغى نظام النقط التي تدل على الحركات ، وأحل محلها علامات أخرى توضع فوق الحرف أو تحته فجعل عالمة الفتحة ألفاً مبطوحة على الحرف : والضمة واواً فوق الحرف أيضاً ، والكسرة ألفاً تحت الحرف مبطوحة ^(١) .

وكان للخليل نظراته الصوتية واللغوية الصائبة ، فهو يعد أول من نظر إلى البحث اللغوي نظرة جدية ، وحدد مخاذج الحروف وصفاتها وما يختلف منها وما يختلف ، وبحث قضايا مهمة كالإدغام ، والإبدال والوصل والوقف والابتداء إلى غير ذلك .

وهذه المباحث تتصل بعلم التجويد والقراءات ، وجاء بعده تلميذه سيبويه (١٨٠ هـ) فواصل دأبه على هذه البحوث مما ظهر مدوناً بدقة وحسن نظام في كتابه ، وتأثر كثيراً بأستاذه الخليل . فإلى جانب البحوث الكثيرة في نحو اللغة وصرفها وبلاغتها ، تناول الجانب الصوتي بتوسيع كبير في باب خاص سماه « باب الإدغام » وتحدث فيه عن الحروف مخارجها وصفاتها وإظهارها وإدغامها بما يفيد الدراسات القرآنية للتجويد ، والإتقان في إخراج أصوات القرآن وكلماته وعباراته ، كذلك كان لأبي على الفارسي (٣٧٧ هـ) دراسات قيمة في مضمار العربية والتجويد والقراءات والتعليق لها ، ويكتفى كتبه الشهيرة كالبغداديات ، والشيرازيات والبصريات ، وكتابه الحجة في علل القراءات السبع وهو كتاب قيم في هذا المضمار .

(١) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، غانم قدوري الحمد ط - الأولى ١٤٠١ هـ / ٥١٦ م العراق ص ١٩٨٢ .

وكان لابن جنى (٣٩٢ هـ) جولات واسعة في الحديث عن المخارج وصفات الحروف وأختلفها ، وما يحسن وما يقبح ، وقد عالج في كتابه « سر الصناعة » هذه المباحث ، وغيرها من قضايا الإعلال والإدغام ، والنقل والحدف ، ولابن جنى كتاب المحتسب في توجيه شواذ القراءات وتخریجها على أساس لغوی ، وتلت تلك الدراسات دراسات أخرى موصولة بها على يد من جاء بعد ابن جنى من العلماء كابن سنان الخفاجي (٤٦٩ هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) والسكاكى (ت ٦٢٦ هـ) وابن سينا (٤٨٢ هـ) وغيرهم ولا شك أن هؤلاء العلماء شغلوا أنفسهم بعلوم اللغة ، وما يتعلق منها بالقرآن الكريم ، فكانت دراساتهم مزيجاً من هذا وذاك . وقد أفادتهم القرآن الكريم كثيراً في دراساتهم اللغوية ، ووجهوا كل اهتمامهم إلى العناية بالعربية من أجله .

وقد ظهرت منذ القرن الرابع الهجري طائفة من العلماء بدأت تنمو وتكاثر ، خصصت بحوثها بعلم التجويد ، وعلم القراءات على استقلال وهؤلاء هم أهل الأداء ، وأهل القرآن .

وظهرت مؤلفات عديدة منذ القرن الرابع الهجري حتى الآن تتناول مباحث التجويد القرآنية والقراءات وما يتصل بها رواية ودرایة وتوجيهها ، ومن أهم هذه المؤلفات :

أولاً - التأليف في علم التجويد

لقد غلب النظم على أكثر المؤلفات في التجويد وأهمها كالتالي :

١ - القصيدة الخاقانية التي تسمى الرائية لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ^(١) المتوفى في سنة ٣٢٥ هـ . وذكر

(١) انظر : ترجمة ابن خاقان في غایة النهاية في طبقات القراء لابن الجزری ٢ / ٣٢١ . وفهرسة ابن خير الإشبيلي سنة ٧٢ ، ٧٣ .

ابن الجزرى أنها أول ما ألف فى التجويد ^(١) . وقد شرحها أبو عمرو الدانى ^(٢) المتوفى سنة (٤٤٤ هـ) .

٢ - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ل McKى بن أبي طالب القىسى القيروانى (٣٥٥ - ٤٣٧) وقد حقق هذا الكتاب .

٣ - ولأبى عمرو الدانى التحديد فى الإتقان والتسديد فى صنعة التجويد وقد حقق هذا الكتاب .

٤ - نهاية الإتقان فى تجويد القرآن لشريح الرعينى المتوفى ٥٣٧ هـ .

٥ - كتاب تجويد القراءة ومخارج الحروف لأبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن وثيق الأشبىلى المتوفى ٥٦٧ هـ ومنه نسخة فى معهد المخطوطات برقم ٦٢ قراءات .

٦ - عمدة المفيد وعدة الجيد فى معرفة لفظ التجويد للإمام السخاوى المتوفى ٦٤٣ ويسمى أيضاً عمدة الجيد وعدة المفيد فى علم التجويد .

وهذا الكتاب أرجوزة فى علم التجويد ، وجاءت هذه الأرجوزة باسم « روضة الدر والمرجان فى تجويد القرآن » ^(٢) .

وشرحها ابن أم قاسم ، وهو الحسن بن قاسم بن عبد الله بن على المرادى المراكشى المقرى النحوى المتوفى ٧٤٩ هـ - وشرحه - يسمى « المفيد فى شرح عمدة الجيد وعدة المفيد فى النظم والتجويد أو فى معرفة لفظ التجويد » ^(٤) .

(١) النشر ١ / ١٥ وقد نشرت القصيدة بعناية الدكتور عبد العزيز القارى .

(٢) النشر ١ / ١٥ .

(٣) مكتبة الأزهر ٢٧٤ قراءات ، وفى دار الكتب برقم ٢٢٦ ، ٣٤٣ ، ٤٦٢ تفسير .

(٤) مخطوط بدار الكتب رقم ٤٦٢ تفسير تيمور ، ٦٣٨ قراءات .

وللسخاوي أيضاً في علم التجويد:

- ٧ - كتاب جمال القراء وكمال الإقراء وهذا الكتاب قال عنه ابن الجزرى (وهو غريب فى بابه جمع أنواعاً مما يتعلق بالقراءات والتجويد والناسخ والنسخة والوقف والابداء وغير ذلك)^(١).
- ٨ - هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب « السخاوية »^(٢).
- ٩ - منهاج التوفيق فى معرفة التجويد والتحقيق^(٣).

ومن المؤلفات الأخرى في علم التجويد:

- ١٠ - عقود الجمان فى تجويد القرآن ، لبرهان الدين أبي محمد إبراهيم بن عمر الربيعى الجعجرى (ت ٧٣٢ هـ)^(٤). وهى قصيدة نونية تربو على خمسين وسبعيناً بيتاً :
وله أيضاً :
- ١١ ، ١٢ - حدود الإتقان فى تجويد القرآن ، وقصيدته « الواضحة فى تجويد الفاتحة »^(٥).

- ١٣ - منظومة فى التجويد لمؤلفها الشيخ شرف الدين الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبى المتوفى سنة (٧٤٣ هـ)^(٦).
- ١٤ - التمهيد فى علم التجويد^(٧) لابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ .

واتبع فيه منهج مكى والدانى ، ونقل عنهما كثيراً ، وله كذلك متن الجزرية المسماة « بالمقدمة فيما على قارئه أن يعلم » .

(١) راجع غایة النهاية ٢ / ٣٢١ وفهرسة ابن خير الإشبيلي ص ٧٤ .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٦ ، ٣ ، تفسير .

(٣) مع موسوعة جمال القراء وكمال الإقراء ، ومنه نسخة بدار الكتب برقم ٢٩ قراءات .

(٤) مخطوط بدار الكتب برقم ٣٨٩ تفسير تيمور .

(٥) منها نسخة بدار الكتب برقم ١٥١٤ ب .

(٦) مخطوط بدار الكتب برقم ٨٢ قراءات طلعت .

(٧) مطبوع الأولى ١٣٢٦ هـ والثانية ١٩٨٥ م .

وهي أرجوزية مطبوعة مراها .
وللمقدمة شروح كثيرة أهمها شرح ولده أبي بكر أحمد بن
محمد الجزرى (ت ٨٣٥ هـ) ^(١) .

ويعرف بابن المصنف ، وسمى شرحه «الحواشى المفهمة فى
شرح المقدمة » وشرحها أيضاً شهاب الدين أبو العباس أحمد بن
محمد القسطلاني ^(٢) (ت ٩٠٣ هـ) ويسمى شرحه «اللائى
السننية فى شرح المقدمة الجزرية » ^(٢) .

وشرحها الشيخ زكريا بن محمد الأنصارى (ت ٩٢٦ هـ) .

وأحمد الطيبى الدمشقى (ت ٩٧٩ هـ) .

وشرحها - كذلك - عمر بن إبراهيم بن على السعدي المتوفى
(٩٩٩ هـ) ^(٤) وسمى شرحه «الفوائد السعدية فى حل ألفاظ
المقدمة الجزرية » كما شرحها على بن سلطان محمد نور الدين
الheroى المعروف بعلى القارى ^(٥) (ت ١٠١٤ هـ) .

ويسمى شرحه «المنح الفكرية على متن الجزرية » .

- كما شرحها أحمد بن مصطفى الرومى المعروف بطاش كيرى زاده
(ت ٩٦٨ هـ) ^(٦) .

(١) انظر ترجمته فى غاية النهاية ٢٥١ / ٢ ، وهو مخطوط بدار الكتب برقم ١٧ فراءات .

(٢) ترجمته فى البدر الطالع ١ / ١٢ ، والكتاكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة لنجم
الدين العزى ط بيروت تحقيق جبرائيل سليمان جبور ١٢٦ فراءات .

(٣) منها نسخ بدار الكتب برقم ٦ فراءات تيمور ، ورقم ٤٨٢ تيمور ومكتبة الأزهر برقم
٦٣ فراءات .

(٤) ترجمته فى خلاصة الأثر فى أعيان القرن السادس عشر للمحيى ، ط بيروت ج ٣ ، ص
٢٠٧ .

(٥) ترجمته فى خلاصة الأثر ج ٣ ص ١٨٥ ، وفي ريعانة الأدب ج ٤ ص ٣٩٧ .

(٦) ترجمته فى البدر الطالع ج ١ ص ١٥١ .

وكذلك شرحها مارعى بن يوسف المقدسى التوفى

(١٠٣٣ هـ) وسمى شرحه « تحفة المريد لقدمه التجويد »^(١).

١٦ - غنية المريد لمعرفة الإتقان والتجويد^(٢).

وهو لنجم الدين محمد بن أحمد بن مفلح القلقيلى (توفي بعد سنة ٩٠٢ هـ)^(٣).

١٧ - المستطاب فى التجويد ويسمى « هداية القراء » للقسطلاني^(٤) وقد اعتمد على سابقه.

١٨ - در اليتيم فى التجويد^(٥).

لحبي الدين محمد بن بسir على البركلى المتوفى سنة ٩٨١ هـ^(٦).

وشرحه أحمد بن محمد الرومى الأقحشارى المتوفى سنة ١٠٤٣ هـ^(٧) وسماه « شرح در اليتيم »^(٨).

١٩ - « إتقان الصنعة فى التجويد للسبعة »^(٩).

لمؤلفه أحمد بن شعيب الفاسى الأندلسى المتوفى سنة ١٠١٥ هـ.

(١) دار الكتب المصرية مكتبة خليل أغا برقم ٤ قراءات.

وفي هذا الشرح نقول عن المهدوى ومن كتبه : التيسير فى القراءات وتعليق القراءات

والبداية ، وكلها مفقود ، ونقل عن ابن شريح فى كتابه السابق ، نهاية الإتقان ..

(٢) منه نسخة بمكتبة الأزهر رقم ٣٩٣ قراءات.

(٣) ترجمته فى الضوء اللامع ج ٧ / ص ٤٢ .

(٤) منه نسخة بدار الكتب رقم ٥٨٤ تفسير تيمور .

(٥) بدار الكتب تيمور برقم ١٧٦ مجاميع وقوله برقم ٢٢ قراءات .

(٦) ترجمته فى هدية العارفين ٢ / ٢٥٥ ، وإيضاح المكنون ١ / ٢ ، وكشف الظuros ١ /

٥٤ ، ومعجم المؤلفين ٩ / ١٢٣ .

(٧) ترجمته فى هدية العارفين ١ / ٥٧ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٨٣ .

(٨) منه نسخ بدار الكتب رقم ٢٢ ، ٤٥٤ ، قراءات ، ١٨٣٧ ، ١١٨ ب ، تفسير تيمور .

(٩) بدار الكتب برقم ٢١٠٧ تفسير تيمور .

٢٠ - تنبية الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم حال تلاوتهم
لكتاب الله المبين .

وهو مطبوع في تونس سنة ١٩٧٤ م ، ومؤلفه أبو الحسن على
بن محمد النوري السفاقسي المتوفى سنة (١٠٥٣ هـ) .

٢١ - تحفة الأطفال (١) .

٢٢ - هداية الصبيان لفهم بعض مشاكل القرآن (٢) .
والكتابان لعلى بن عمر بن أحمد بن عمر تاجي الميهي المتوفى
سنة ١٢٠٤ هـ .

٢٣ - ٢٤ - جهد المقل :

و « بيان جهد المقل » وهي حاشية على الكتاب السابق (٣) .
الفهما ساجقلى زاده محمد بن أبي بكر المرعشى المتوفى سنة
١١٤٥ هـ .

٢٥ - نهاية القول المفيد ، مؤلفه محمد مكى نصر الجريسى المتوفى
سنة (١٣١٦ هـ) وهو نصوص مختصرة من كتابى « ساجقلى زاده
المرعشى » وبعض المؤلفات الأخرى التي بلغت أربعة
وعشرين كتابا .

٢٦ - تفصيل الدرر ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن غازى
المكناسى (٤) .

٢٧ - البيان في حكم تحويد القرآن (٥) مؤلفه محمد بن حسين
الأصبهانى المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ .

(١) دار الكتب برقم ٦٤ قراءات .

(٢) دار الكتب برقم ١٤٩ قراءات طلعت .

(٣) منه نسخ بدار الكتب واحدة برقم ١٦٣ قراءات ، وطلعت أرقام ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ٧٧ ،
قراءات ، ومكتبة الأزهر ١٢١ قراءات .

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ج ٣ ص ٢٢٩ .

(٥) بدار الكتب برقم ٣١٣٢٦ (ب) .

٢٨ - فتح الكريم^(١) للمتولى محمد بن أحمد بن عبد الله الضرير المتوفى سنة (١٣١٣ هـ) .

٢٩ - ملخص العقد الفريد في فن التجويد «للشيخ على أحمد صبره (ت ١٣٣١ هـ) وهو شرح لتنجز الجزرية وغيرها من المتون .

٣٠ - الإتقان في تجويد القرآن «للشيخ محمد الصادق قمحاوي .

٣١ - مفہم الصبيان في تجويد الفرقان ، مؤلفه حبيب محمد الكندي توفى بعد سنة ١٣٤٦ هـ ، وقد طبع سنة ١٣٤٧ هـ بطبعه صحيح .

٣٢ - «إرشاد الإخوان لهداية الصبيان» مؤلفه محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير بالحداد المتوفى سنة ١٣٥٧ هـ^(٢) .

إلى غير ذلك من كتب التجويد التي ظهرت في السنوات الأخيرة^(٢) .

(١) بدار الكتب برقم ٤٨٨ قراءات .

(٢) مكتبة الأزهر برقم ٢٢٢٣٠ قراءات .

(٣) منها : تجويد القرآن للشيخ عبد الله البنا ، ط القاهرة ١٩٨٠ م ، وفتح المريد في علم التجويد للشيخ عبد الحميد يوسف متصور ، ط الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، دار الدعوة .

ثانياً - التأليف في علم القراءات

بداية محاولات التأليف فيها :

لا شك أن القراءات كانت تستند إلى الوحي الإلهي مأخوذه عن النبي ﷺ تبعاً للحديث المشهور «أنزل القرآن على سبعة أحرف» ونستيقن أنها كانت تواكب نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ في مكة وفي المدينة ، وهذا كان للتيسير على القبائل العربية لتمكن من تلاوة الكتاب العزيز ، وفي الأمسكار الإسلامية المتعددة في مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام واليمن وغيرها .

وقد كثر القراء من الصحابة والتابعين في القرن الأول والثاني وكانت الفتوحات الإسلامية كاشفة عن كثرة الوجوه الأدائية في هذه الأقطار لنطق القرآن الكريم مما استدعى كتابة المصاحف العثمانية حتى يجتمع أهل تلك الأمسكار على قراءات موثقة الرواية حسب الموحى به ، وما كان عليه القرآن الكريم في العرضة الأخيرة .

وكان خط المصاحف العثمانية خالياً من النقط والشكل مما جعله محتملاً لنطق هذه الأوجه الأدائية التي نزل عليها القرآن الكريم هذا ومنذ القرن الثاني ^(١) للهجرة وجدت بواكير التأليف في القراءات فهارون بن موسى (ت قبل المائتين) تلميذ أبي عمرو بن العلاء كتب في الشاذ من القراءات من ناحية السندي ، وليعقوب الحضرمي - أحد القراء العشرة - مؤلف في القراءات اسمه «الجامع» خصصه لبعض أئمة القراءة في عصره ، ويدرك ابن النديم كتاب القراءات لأبي عمرو بن العلاء أحد السبعة .

(١) يرجع بعض المحدثين أول التدوين في القراءات إلى يحيى بن يعمر في القرن الأول البجوري (ت ٩٠ هـ) .

- انظر : تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ١ / ٩ والقراءات تاريخ وتعريف للدكتور عبد الباهي الفضلي ص ٥٧ .

ومنذ القرن الثالث كثر التأليف في القراءات ذلك لأن العصر - كما يقول ابن الجزرى - في المائة الثالثة - قل فيه الضبط . واتسع الخرق فكان هذا دافعا إلى ظهور المؤلفات العديدة حفاظا على الأداء السليم للقراءات المروية وترك ما عدتها - أضف إلى ذلك أن العلم بالكتاب والسنن كان أوفر ما يكون في ذلك العصر مهيئا لـالإخراج المؤلفات في علوم القرآن ومنها القراءات ^(١) فظهرت المؤلفات الكثيرة فيها .

ومنها في القرن الثالث ما صنفه في القراءات يحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ) والواقدى (ت ٢٠٩ هـ) ومحمد بن سعدان (ت ٢٣٠ هـ) وأبو حاتم السجستاني وشلب وابن جبير وأبو عمرو الدورى (ت ٢٤٦ هـ) وهارون بن حاتم (ت ٢٤٩ هـ) وعلى بن نصر الجهمي (ت ٢٥٠ هـ) ^(٢) .

وقراءة أبي عمرو بن العلاء كتب فيها أحمد بن علي الخلواتي (ت ٢٥٠ هـ) وهناك قراءة بن كثير لأبى ربيعة (ت ٢٩٤ هـ) .

ومنها ما يحتوى على ثلاث قراءات أو أربع أو خمس أو ست أو سبع وكان أول إمام يعتبر جمع القراءات في كتاب واحد أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وجعل القراء فيما يحسب ابن الجزرى خمسة وعشرين قارئا غير السبعة عند ابن مجاهد أحمد بن موسى (٢٤٥ - ٣٢٤ هـ) .

وهو أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألف فيها .

(١) انظر : النشر ١ / ٣٤ (بتصرف) .

(٢) انظر : الفهرست ص ٥٣ وغيرها .

(٣) النشر ١ / ٣٤ ، ٣٣ .

وهو لاء القراء الخمسة والعشرون الذين كتب أبو عبيد كتابه في رواتهم كان على سبيل الاختيار الخاص من أبي عبيد وقد فتح ذلك المجال لاختيارات أخرى للعلماء والقراء مما فتح بابا واسعا لظهور الاختلاف في الوجوه الأدائية القرآنية ووسع شقة الخلاف .

وفي القرن الرابع : كثرت القراءات وكثرة الاختلاف فسبع ابن مجاهد السبعة مع العلم بأن قراءة الشواذ مما اشتغلت عليه المصاحف التي كانت لبعض الصحابة مثل مصحف أبي ومصحف ابن مسعود وغيرهما واحتمالات القراءة تبعا للرسم العثماني وما أوجده من صور الاختلافات وكثرتها فقد ألف الطبرى (ت ٣١٥ هـ) كتابه « الجامع في القراءات » ضممه نيفا وعشرين قراءة وتبعه أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجونى (ت ٣٢٤ هـ) فزاد على ما ذكره الطبرى قراءة أبي جعفر غير أن ابن مجاهد قد جمع في كتابه السبعة في القراءات ما تواتر من القراءات واحتمله الرسم العثماني وهى السبع وست من هذه القراءات متواترة السند إلى أبي بن كعب ونافع وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود وحمزة الزيات والكسائي ^(١) .

وقد اختار هؤلاء القراء السبعة من خمسة أمصار هي أهم ما جمع القراء من بلدان العالم الإسلامي (المدينة - مكة - البصرة - الكوفة - الشام) وقد اختار ثلاثة من الكوفة لتميز قراءة كل منهم عن زميليه فأثبتت الثلاثة فصار القراء سبعة وجعل ابن مجاهد ما عدا هؤلاء السبعة شاذًا والصحة والشذوذ في رأيه يرجعان إلى كثرة من يقرأ بهذه القراءة أو قلته فأخذ بما كثر القارئون به في هذه الأمصار وعدًّا من قل القارئون بقراءتهم من الشواذ وإن صح سند قراءتهم ، يقول ابن جنى في المختسب :

القراءات ضربان : ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله كتابه الموسوم بقراءات السبعة ، وضرب تعدى ذلك فسماء أهل زماننا شادأً أى خارجاً عن قراءة القراء السبعة إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالروايات من أمامه وورائه .

وألف ابن مجاهد مع ذلك كتاباً في الشواذ اعتمد عليه ابن جنى في الحتسب فقال : إذ هذا - أى كتاب ابن مجاهد في الشواذ - أثبت في النفس من كثير من الشواذ الحكمة عمن ليست له روایته ولا توفيقه ولا هدایته ^(١) .

وعن القراءات يقول ابن خلدون : « صارت القراءات صناعة مخصوصة وعلماً متفرداً وتناقله الناس بالشرق والأندلس في جيل بعد جيل إلى أن ظهر بشرق الأندلس « مجاهد » من موالي العامريين وكان معتمياً بهذا الفن من فنون القرآن لما أخذته به مولاه المنصور بن أبي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراءة بحضورته فكان سهمه بذلك وافراً ^(٢) .

وقد شرح كتاب السبعة لابن مجاهد وعلل لما جاء فيه -
تلמידه أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) في كتابه الحجة في علل القراءات السبع ^(٣) .

(١) الحتسب من ١١ وهناك شاذ وارد عن القراء السبعة مما لم يختاره ابن مجاهد ليس بسبب مخالفتها للرسم العثماني أو انغرائها عن العربية ولكن بسبب الضعف في الرواية . انظر الحتسب وتاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، باب علوم القرآن والتفسير والقراءات ٣ / ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، تحقيق الدكتور / علي عبد الواحد وافي .

(٣) ط الهيئة المصرية للكتاب بتحقيق دكتور عبد الحليم النجار ، وعلى النجدى ناصف ، ودكتور عبد الفتاح شلبي .

وهناك الحاجة في القراءات السبع لابن خالويه

(ت ٣٧٠ هـ)^(١).

وحجة القراءات لأبي زرعة^(٢) وكذلك كتاب السبعة بعللها وحججاً لحمد بن الحسن الأنباري (ت ٣٥١ هـ) واحتجاج القراءات لأبي محمد الحسن بن مقسم العطار (ت ٣٦٢ هـ)^(٣).

غير أنه مما يلاحظ أن أبي حيان قد حمل على ابن مجاهد حينما قال فيما نقله عنه السيوطي «ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تبعه - يقصد الداني والشاطبي - من القراءات المشهورة إلا النذر البسيط فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً - ثم ساق أسماءهم - وقال : اقتصر في كتاب ابن مجاهد على اليزيدي واشتهر عن اليزيدي عشرة أنفس فكيف يقتصر على السوسي والدورى وليس لهما مزية على غيرهما لأن الجميع مشتركون فيضبط والإتقان فضلاً عن الاشتراك في الأخذ » .

لكن كتاب ابن مجاهد يؤكد أنه لم يقتصر على من ذكرهم أبو حيان بل ذكر غيرهم من الرواة^(٤) .

هذا . وبعد كتاب ابن مجاهد كثرت المؤلفات ومنها ما ألف في ثمانى قراءات وفي عشر وإحدى عشرة واثنتي عشرة وثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة والعشرين والخمسين^(٥) .

وأول من نظم كتاباً في القراءات السبع هو الحسين بن عثمان البغدادي الضرير (ت ٣٧٨ هـ)^(٦) .

(١) تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ط دمشق - دار الشروق .

(٢) تحقيق أ / سعيد الأفغاني ط الأولى جامعة بنغازى ١٩٧٤ م ودار الشروق .

(٣) ذكره ابن النديم .

(٤) انظر تعليق الدكتور شرقى ضيف في كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٢٦ .

(٥) النشر ١ / ٣٣ ، ٣٤ .

(٦) كشف الظنون ٢ / ١٣١٧ .

وذكر ابن الجزرى ما يقرب من سبعين مؤلفا فى القراءات وقد أفاد منها فى كتابه إلى جانب غيرها من الكتب .

ومن كتب القراءات فى القرن الرابع كتاب التذكرة فى القراءات الشمامى لأبى الحسن طاهر بن الإمام أبى الطيب بن غلبون (ت ٣٩٩ هـ) ، وله أيضا كتاب الإرشاد .

وكذلك كتاب : الغاية فى العشر لأبى بكر بن مهران الأصبهانى (ت ٣٨١ هـ) .

وفى القرن الخامس : التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى (ت ٤٤٤ هـ) .

- وكتابه جامع البيان فى القراءات وذكر فيه أكثر من خمسمائة روایة وطريق عن القراءات السبع ^(١) ومن كتبه : الموضع لماه فى القراء واختلافهم فى الفتح والإملاء ^(٢) .

- والعنوان : لأبى الطاهر إسماعيل بن خلف الأندلسى (ت ٤٥٥ هـ) ^(٣) .

- والهادى : لأبى عبد الله محمد بن سفيان القىروانى (ت ٤١٥ هـ) .

- والكافى : لمحمد بن شريح الرعيني الإشبيلي (ت ٤٧٦ هـ) .

- والهداية : لأبى العباس المهدوى (ت بعد الثلاثين وأربعين هـ) .

- والإبانة عن معانى القراءات : ل McKى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) ^(٤) .

- والتبصرة له أيضا .

(١) النشر ١ / ٣٥ ، ٦١ .

(٢) مخطوطه سنة ٨٣٦ هـ بمكتبة الأزهر - قراءات .

(٣) معهد الخطوطات بالقاهرة .

(٤) تحقيق دكتور محى الدين رمضان ، ط دار المأمون بدمشق ، وتحقيق د. عبد الفتاح شلبي ، ط دار النهضة مصر .

- والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها له ^(١).
- والتلخيص للقراءات الشماني لأبي عشر .
- والوجيز في شرح أداء القراء الشماني المشهورين لمؤلفه أبي على الحسن بن علي بن إبراهيم بن بزداد الأهزوي (ت ٤٤٦ هـ) ^(٢).
- والجامع في القراءات العشر وقراءة الأعمش لعلى بن محمد الخياط البغدادي (ت ٤٥٠ هـ) .
- والمفيد في القراءات العشر لأحمد بن مسرق البغدادي .
- ومحضر الاكتفاء في اختلاف القراء السبعة لأبي طاهر إسماعيل ابن خلف بن سعيد السرقسطي (ت ٤٥٥ هـ) ^(٣).
- والمنتهى في القراءات العشر لأبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي (ت ٤٠٨ هـ).

وفي أواخر القرن الخامس موسى بن الحسن المعروف بالمعدل المصري كتابه «الروضة في اختلاف الأئمة الخمسة عشر» ^(٤).

وفي القرن السادس : المبهج في القراءات الشماني لعبد الله بن على المعروف بسيط الخياط (ت ٤١٥ هـ) أضاف إلى السبعة واحدا هو يعقوب الحضرمي ، وأضاف خلف بن هشام ، وأسقط أبا جعفر يزيد بن القعقاع ووضع مكانه ابن محيسن ، وضم كذلك الأعمش واليزيدى تلميذ أبى عمرو بن العلاء ، فوصل عدد من ذكر قراءتهم اثنى عشر قارئا ^(٥).

(١) بتحقيق دكتور محمى الدين رمضان ، ط دمشق .

(٢) منه نسخ بدار الكتب رقمها ١٦٩ ، ٥٩٦ قراءات ، وفي مكتبة الأزهر برقم ٢٧٦ قراءات .

(٣) مكتبة الأزهر برقم ٢٧٦ قراءات .

(٤) حقق .

(٥) منه نسخ مصورة في معهد الخطوطات بالقاهرة .

- الإقاع في القراءات السبع لأبي جعفر أحمد بن علي بن الباذش
(ت ٥٤٠ هـ) ^(١).

- حرز الأمانى ووجه التهانى « الشاطبية »، وهى قصيدة لأبى محمد
القاسم بن فيرة الشاطبى (ت ٥٩٠ هـ) ^(٢).

وقد شرحها جموع من العلماء أولهم علم الدين السخاوى
(ت ٦٤٣ هـ) وسمى شرحه « فتح الوصید فى شرح القصید » ^(٣).

- ومنهم : محمد بن أحمد الشهير بشعلة (ت ٦٥٦ هـ) وسمى
شرحه « كنز المعانى فى شرح حرز الأمانى » ^(٤).

- ومنهم : أبو شامة ، وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل
المقدسى (ت ٦٦٥ هـ) وسمى شرحه « إبراز المعانى من حرز
الأمانى فى القراءات السبع » ^(٥).

وله كتاب آخر : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب
العزيز ^(٦).

(١) نشره مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى بتحقيق دكتور عبد الحميد قطامش .

(٢) ترجمته في غایة النهاية ٢ / ٢٠ وطبقات المفسرين للدارودى ٢ / ٣٩ ومنه نسخة
بدار الكتب المصرية برقم ١٩٦٦ ب مصورة عن مكتبة راغب باشا باستانبول .

للشاطبى قصيدة نونية تسمى « عقيلة أتراب القصائد »، موضوعها رسم المصحف
وشرحها السخاوى بكتاب عنوانه « الوسيلة إلى شرح العقيلة »، ومنه نسخ مخطوطة ،
ينظر : فهرس جامعة الإمام ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٣) منه نسخة كتبت في حياة المؤلف السخاوى سنة ٦١٢ هـ وعليها إجازة بخطه ، ينظر :
فهرس المصاحف والتجويد ، جامعة الإمام ١٣٠ ، ١٣١ ومنه نسخة في مجلدين في
المكتبة التيمورية رقمها ٥٥ تفسير .

(٤) ط القاهرة .

(٥) ط القاهرة ١٢٨٥ هـ / ١٩٥١ م .

(٦) ط بيروت .

- ومنهم : برهان الدين أبو محمد إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢ هـ) وسمى شرحه : « كنز المعانى فى شرح حرز الأمانى » ^(١).

- ومنهم : ابن القاصح أبو القاسم على بن عثمان فى شرحه على الشاطبية ^(٢) المسمى « سراج القارئ المبتدئ وذكرة القارئ المنتهى » .

- ومنهم : الشيخ على بن محمد الضباع فى شرحه على الشاطبية ^(٣) .

وفي القرن السابع ظهرت عدة كتب منها :

- الإعلان لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل الصفراوى الإسكندرى (ت ٦٣٦ هـ) .

- وجمال القراء وكمال الإقراء للسخاوى ^(٤) وقد أشرنا إليه من قبل في حديثنا عن كتب التجويد .

- وبعض شراح الشاطبية أيضا على ما مر مثل السخاوى وشعلة وأبى شامة .

وفي القرن الثامن :

عدا بعض شراح الشاطبية مثل الجعبري وابن القاصح .

- الكنز فى القراءات العشر لأبى محمد عبد الله بن عبد المؤمن الواسطى .

- الكفاية فى القراءات العشر له أيضا .

- البستان فى القراءات الثلاث عشرة لأبى بكر عبد الله بن أيدغدى الشهير بابن الجندى (ت ٧٦٩ هـ) .

إلى جانب مؤلفات أخرى فى القراءات الشاذة .

(١) مكتبة الأزهر برقم ١٥١ قراءات .

(٢) ط الأولى المطبعة الأزهرية ، والمكتبة التجارية الكبرى و ط الحلبي .

(٣) ط صبح مصر .

(٤) حفظ الدكتور على البواب بالرياض إلى جانب جمع آخر من قبله .

وفي القرن التاسع :

إلى جانب بعض شرائح الشاطبية :

- النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد الجوزي (ت ٨٣٣ هـ) ^(١).
- طيبة النشر في القراءات العشر له أيضاً ^(٢).
- تحبير التيسير في القراءات العشر عن طريق الشاطبية والدراة له كذلك ^(٣).
- لطائف الإشارات لفنون القراءات لشهاب الدين القسطلاني ^(٤).
- غيث النفع في القراءات السبع للشيخ علي النووى الصفاقي ^(٥).

وفي القرن الحادى عشر والثانى عشر :

- منهم بعض شرائح الشاطبية مثل على القارى (ت ١٠١٤ هـ).
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للبنا الدمياطى (ت ١١١٧ هـ).

وقد ذكر فيه ما ذكر سبط الخياط لكن أضاف أبا جعفر يزيد بن القعقاع والحسن البصري فأصبحت القراءات أربع عشرة ، وتطرق إلى ما يسمى الأصول والفرش .

- تهذيب القراءات العشر لساجقلى زاده (ت ١١٤٥ هـ) ^(٦).

وهناك مؤلفات فى طبقات القراء منها :

(١) ط. القاهرة بتحقيق الشيخ محمد الضباع ، وط. د. محيسن.

(٢) ط. القاهرة .

(٣) ط. دمشق بتحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق .

(٤) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٥) مطبوع على هامش سراج القارى المبتدى .

(٦) منه نسخة بدار الكتب المصرية - المكتبة التيمورية رقم ١٩ م تفسير .

- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزرى ^(١) .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي
- (ت ٧٤٨ هـ) .

(١) ط. القاهرة الأولى ١٣٥٢ هـ عنى بنشره ح. بر جستراسر .

الفصل الخامس

القراءات والهججات

أولاً - صلة القراءات بالأصوات العربية واتلافها وهججات العرب في ذلك :

اهتم المسلمون - منذ ظهور الدين الإسلامي - بالحفظ على القرآن الكريم ولغته - خوف التحرير والتغيير - حتى لا تتباهم معانيه على أهله ، وكان ذلك بداعي ديني ، فقد نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ دستوراً للأمة الإسلامية لقراءته ، واتباع ما جاء به ، قال تعالى : ﴿ افْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ (٢) افْرَا وَرِبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنْ (٤) عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ « العلق » وقال سبحانه : ﴿ لَا تُحِرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْآنَهُ (٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعْ قُرْآنَهُ (٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (٩) ﴾ « القيامة » .

وما خطط به النبي ﷺ هو خطاب للمجتمع الإسلامي كله .

والمطلوب من المسلم ترتيل القرآن الكريم : ﴿ وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (١٠) ﴾ « المزمل » ، ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوْجٍ (١١) ﴾ « الزمر » وهذا يعني إتقان النطق الصحيح حروفه مفردة ومركبة ، والتحرى والدقة في النطق لهما أهمية في صيانة القرآن الكريم ، وحفظه على مر الأيام لتحقق نبوءة القرآن الكريم بحفظه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) ﴾ « الحجر » .

وهذا الإتقان ، وتلك الإجادة في النطق تبعد بالسلم عن اللحن ، والتحريف ، وذلك لا يكون إلا بالتعلق والمشافهة ، والتدريب

والرياضة ، وفق قواعد مرسومة متلقاة - بصفة خاصة - عن أئمة القراءة المتصلة بالرسول ﷺ .

ولقد لمس العلماء ذلك منذ الصدر الأول ، فوضعوا الضوابط لقراءته . وتحديد نطقه تحديداً سليماً : فيعطي كل حرف حقه في مخرجه وصفته ، سواء أكان مفرداً أو مركباً مع غيره ، وأى بعد عن هذا المنهج المرسوم يعد خروجاً على القراءة الصحيحة ولحناً يؤدي بصاحبها إلى الوقوع في الإثم والضلال .

فلو نطق ناطق (الحمد لله) بقلب الحاء عيناً . أو نطق (الدين) بإبدال الدال تاءً . أو (المغضوب عليهم) بتحويل الغين إلى خاء كان ذلك لحناً صراحاً . وعدت قراءته باطلة^(١) ومعنى هذا عدم إعطاء (الباء) و (الدال) و (الغين) حقوقها الصوتية بنطقها وفق مخارجها . كل ذلك لحن لا شك فيه .

ومن هنا قام علم التجويد والقراءات على أساس وصف مخارج الحروف ، حرفاً حرفاً ، بتحديد لها تحديداً دقيقاً في قواعد تهدى الناطق ، وترشده إلى التمثيل الصحيح للأصوات العربية وطريقة نطقها في القرآن الكريم ، كما حددت - في هذا العلم أيضاً - صفات الحروف وعرفت أنواعها من جهر وهمس ، وشدة ورخاوة وتوسط ، وانفتاح واستعلاء وإطباق ، إلى غير ذلك ، وما يترتب عليها من قوة الحرف أو ضعفه^(٢) .

ومعنى هذا أن الاعتدال على إجادة هذه المخارج والصفات واجب الاتباع لتحقيق النطق الفصيح المحوذ للقرآن الكريم .

(١) ابن الجوزي : النشر في القراءات العشر ١/١٢١، ٢١٢ .

(٢) ابن الجوزي : النشر ١/١٩٩ ، ١٩٨ ، ومحمد مكي : نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ٣٢ ، ٣١ ، وانظر أساس ذلك في الخليل : العين ١/٥٣ ، ٦٤ وما بعدها ، وسيبويه : الكتاب ٤/٤ ، ٤٠٥ ، وما بعدها ، وابن جنی : سر صناعة الإعراب ١/٥٠ ، ٥١ وغيرها .

وهذا النطق يمثل الحروف الهجائية التي استوت - عند العرب
- على أحسن وجه وأكمله ، وتخلصت من الحروف المستقبحة
والسقيةة التي كانت تستعمل عند بعض القبائل وتخلصت منها
العربية النموذجية بفضل تهذيبها ونزول القرآن الكريم بها .

ومن ذلك :

١ - الباء التي كاليم : وهي في لهجات مازن ^(١) وهي قولهم :
باسمك ؟ في ما اسمك ؟

٢ - الجيم التي كالكاف : وكانت شائعة في اليمن وهي موجودة
بكثرة عند أهل البحرين مثل : رجل وجمل يقولون فيهما :
ركل وكمل ^(٢) .

٣ - الصاد التي تنطق كالسين : مثل قولهم في (صالح) : (صالح)
وهي من لغة بنى العنبر (وليس في حسن إبدال الصاد
من السين ، لأن الصاد أصفى في السمع من السين ، وأصغر في
الفم) ^(٣) .

٤ - الكاف التي بين الجيم والكاف : وهي مثل الجيم المصرية في
النطق مثل (جابر) في نطق (كافر) وهي من لغات اليمن
وبغداد ^(٤) .

(١) ابن جنى : سر صناعة الإعراب ١ / ٥١ .

(٢) ابن دريد : الجميرا ١ / ٥ وابن فارس : الصاحبي من ٣٦ ، ٣٧ وابن يعيش . المفصل ١٢٧، ١٠ .

(٣) ابن يعيش : المفصل ١٢٨، ١٠ .

(٤) سيريه : الكتاب ٤٠٤ / ٢ وشرحه للسيرافي ، وابن جنى : سر الصناعة ٥١ / ١
وابن يعيش . المفصل ١٢٧ / ١٠ ، ١٢٨ ، ١٢٧ والرافعى : تاريخ آداب العرب ص ١٠٠ ، ١١١ .

٥ - حرف بين الكاف والقاف ، وقد ذكره ابن دريد وابن فارس ،
قالا : فأما بتو تيم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فيقولون :
(الكوم) ي يريدون (القوم) ف تكون القاف بين الكاف والقاف ،
وهي لغة معروفة فيهم ، قال الشاعر :

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجت ولا أكول لباب الدار مكفور
يريد في كل ذلك القاف ^(١) .

وي يكن أن ندرج تحت التحولات الصوتية لبعض الحروف تلك
الظواهر التي نسبت لبعض القبائل كالعنعنة ، وهي قلب الهمزة
المصدرة عيناً في المشهور من ذلك وأصحابها هم تيم وأسد وقيس
وذلك مثل (أن) يقولون فيها : (عن) كقول الشاعر :

أعن ترسّمت من خرقاء منزلة ماء الصباية من عينيك مسجوم
وقول الآخر :

فما أبن حتى قلن يا ليت عننا تُراب وعن الأرض بالناس تخسف
وقلب العين الساكنة نونا - وهو ما يسمى بالاستنطاء - مثل :
اليد المنطية خير من اليد السفلية ، وهي من لهجات سعد بن بكر
وهذيل والأزد وقيس والأنصار ، وقلب الكاف - في خطاب المؤشّة
 شيئاً - فيما يسمى (الكشكشة) مثل : منش وعليش وهي في ربيعة
ومضر ، وقلب الكاف - مطلقاً - شيئاً مثل : لبيش اللهم لبيش ،
وتسمى الشنشنة وتتنسب لأهل اليمن .

وإبدال السين تاء كقول الشاعر :

يا قاتل الله بنى السعّلة عمرو بن يربوع شرار النات

(١) ابن دريد : الجمهرة ١ / ٥ وابن فارس : الصاحبي : ص ٣٦ ، ٣٧ وابن يعيش : المفصل . ١٢٧ / ١٠

وتسمى (الوتم) وهي لأهل اليقين أيضاً^(١).
وإن مخارج الحروف وصفاتها المشار إليها إما أن تبتعد ، وإما
أن تتقارب أو تتجانس .

فالمبتعدان : هما الحرفان المختلفان مخرجًا وصفة . كالحاء
والباء .

والتماثلان : هما الحرفان المتضادان في المخرج والصفة كالناءين
والراءين وغير ذلك .

والتجانسان : هما المتفقان في المخرج المختلفان في الصفة كالباء
والطاء والسين والصاد .

والمتقاربان : هما الصوتان اللذان بينهما تقارب في المخرج أو
الصفة أو فيهما ، كالدال والسين أو الشين ، والذال والزاي واللام مع
الراء^(٢) .

ولا شك أن الأصوات المفردة التي تحدثنا عنها تجتمع
لتكون الكلمات ، ويدرك علماء الأصوات أن تأليف الكلمات من
الحروف المتباعدة المخارج يكون أحسن ليختلف الصديان فيعذبا
بتراخيهما^(٣) .

وتنفر اللغة العربية من تركيب الكلمات من حروف متقاربة ،
فقرب مخارج الحروف يمنع من تأليف بعض الكلمات لشقلها على
اللسان ، فالكاف والكاف لا تائف منها كلمة واحدة ، فلا يقال :

(١) السيرطى: المزهر ٢٢١ / ١، ٢٢٢، وانظر كتابنا (العربية - خصائصها وسماتها)
ص ٧٢، ٨٦، ٨٧.

(٢) البنا الدمياطى: إنحاف فضلاء البشر ص ٢١ ، والشيخ على محمد الضباع: شرح
الشاطبية ص ٣٥ .

(٣) ابن جنى: سر الصناعة مخطوطه دار الكتب المصرية من ٤١٥ - ٤١٨ .

(فَكَ) و (كَقَ) ^(١) ، وقد قال ابن جنى : إن حروف أقصى اللسان لا تتجاوز أربطة .

وكذلك لا يقال : سض ولا طس وظث وضس وشض ، وهذا حديث واضح لنفور الحسن عنه ، والمشقة على النفس لتكلفته حروف الخلق - أيضاً - أقل الحروف اتلافاً ^(٢) .

وقد يلتجأ العرب إلى تقريب الصوت من الصوت - مخرجاً أو صفة - حينما تقع في الكلمات بعض الحروف المتشابهة أو المترادفة ، ويتبين ذلك في صيغة (افتتعل) مما فاءه صاد أو ضاد أو طاء . أو ظاء ، أو دال أو ذال أو زاي حيث تقرب تاء الافتتعل مما قبلها بقليلها إلى صوت يناسبه مخرجاً أو صفة ، ومعظم صور هذا التقريب واجبة لاتفاق الصوتين في المخرج واختلافهما في الصفة .

أما بناء (افتتعل) من واوى الفباء أو يائيها فللعربى فيه مسلكان :

أحدهما : ألا يقلب أحد الصوتين الواو والياء تاء الافتتعل بل يتبركان بحالهما بتأثيران بالحركات السابقة عليهما . وهو لهجة الحجازيين الذين لا يعبأون بتلاعب الحركات ، فيقولون في (افتتعل) من (وسم) و (وحد) : ايتسم وايتحد - وأصلهما : اوتسم واوتحد - ومن (بيس) و (يئس) : ايتبس وايتأس .

أما المسلك الثانى : فهو قلب الواو أو الياء تاء وإدغامها في تاء الافتتعل حتى لا تتأثر كل منهما بالحركات السابقة عليها ، وهذا لهجة التميميين ، فيقولون فيما سبق : ائسم - ائحة - اتبس - اياتس . وقد يجتمع في كلمة صوتان تباعد مخرجاهما ، واحتلفا في بعض الصفات - سواء كانوا متقاربين أو فصل بينهما فاصل - فيختلف العرب بعضهم عن بعض في تقريب الصوت من صاحبه .

(١) ابن دريد : الجمهرة ٤ / ١ - ١١ .

(٢) انظر كتابنا (أبجية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي) ص ١١، ١٠ .

ومن ذلك تجاور الصاد الساكنة مع الدال في (يصدر و مصدر) ونحوهما ، فبعض العرب - من أهل الbadia - يشمون الصاد صوت الزاي وبعضهم يقلبها زايا خالصة ، لما بين الدال والصاد من التناقض ، فالصاد مهموسه ، والدال مجهرة ، ويقتضي الانسجام جعلهما معاً مجھورین .

وكذلك اجتماع السين مع الطاء أو القاف أو الغين في مثل : سراط - يساقون - أسبغ ، فأهل الbadia - أيضاً - يقلبون السين صادا ، إذ السين صوت مستفل ، وهذه الأصوات مستعملية فأبدلت السين صادا لتقرب منها بالاستعلاء^(١) .

وكما يكون التأثر بالمجاورة بين الأصوات الساكنة يكون بين أصوات اللين ومن ذلك تأثر الكسرة بالضممة في مثل : (الحمد لله) - بضم الدال واللام - وقراءة (للملائكة اسجدوا) بضم الناء ، وتأثير الضممة بالكسرة في قراءة (الحمد لله) بكسر الدال واللام ، وقراءة (فلإِمَهُ ثَلَثٌ) بكسر همزة (إِمَهُ) ومثل : (اضرب الساقين إِمَكْ هَابِلْ) بكسر همزة وميم (إِمَكْ) وتأثير الفتحة بالكسرة في قراءة (بِرَاءَةُ مِنَ اللَّهِ) بكسر نون (من)^(٢) .

وقد يلجأ العرب إلى الإدغام ، وعرفه ابن جنى بأنه : تقريب صوت من صوت^(٣) ولكن علماء القراءات يقولون : الإدغام إدخال حرف في حرف بحيث يرتفع بهما اللسان ارتفاعاً واحدة^(٤) .

(١) سيربيه ، الكتاب ٤٢٦ / ٢ وابن جنى : الخصائص ٤٤ / ٢ ، ١٦٨ ، وسر الصناعة ٥٦ / ١ ، ٥٧ ، والمحتب ٢ / ٢٨٣ .

(٢) ابن جنى : الخصائص ١٤٤ / ٣ ، ١٤٥ ، والمحتب ١ / ٧١ ، ٢٤٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٣) ابن جنى : الخصائص ٢ / ٢٣٧ .

(٤) محمد مكي : القول المفيد ص ١٠٤ .

وسمه القراء إلى صغير وكبير ، فالصغير هو ما سكن فيه الحرف الأول ، والكبير ما تحرك فيه ^(١) .

ويجري في المتماثلين والتجانسين والمتقاربين .

فإذا سكن الأول وتحرك الثاني في المثلين فالإدغام واجب . ولقاء المثلين متحركين يجب الإظهار - إلا عند أبي عمرو والسوسي فيجوز الإدغام في مثل : (مناسِكُكُمْ) - في البقرة - و (ما سلَّكُكُمْ) - في المدثر - وهذا في الكلمة واحدة ، وفي كلمتين مثل : (لذهب بسمِعِيهِ) - (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) . حيث ثقفتهم ^(٢) .

ولقاء التجانسين والمتقاربين مجال خصب لتأثير أحد الصوتين بالآخر ومن ذلك في التجانسين إدغام القاف في الكاف مثل (أَلْمَ تخلقُكُمْ) والطاء في الصاد في مثل : اصْبِرْ وفِي الضَّادِ مثل : اضْغُنْ ونحو ذلك ، هذا في الكلمة واحدة ، وفي كلمتين كإدغام التاء في الطاء مثل (وقالت طائفة) والذال في الظاء مثل : (إِذْ ظلمْتَ) واللام في الراء مثل : (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) والقاف في الكاف مثل (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) والسين في الزاي مثل (وإِذَا النُّفُوسُ زُوْجَتْ) ^(٢) .

ومنه في المتقاربين إدغام النون في الميم في (امْحَى) و (امْأَزْ) . والباء في التاء نحو (اثاقل) هذا في الكلمة ، وفي كلمتين مثل إدغام الدال في الذال أو الزاي أو الظاء كقوله تعالى : وَلَقَدْ ذَرَأْنَا - ولقد زَيْنَا - لَقَدْ ظَلَمْتَ) وكإدغام التاء في التاء (كذَبْتَ ثَمُودَ) والذال

(١) محمد مكي : القول المفيد ص ١٠٥، ١٠٧، ١١١ والبنا الدمياطي : الإنتحاف ص ٤٢ والضياع : شرح الشاطبية ص ٣٥ .

(٢) البنا الدمياطي : الإنتحاف ص ٢١، ٢٢ ومحمد مكي : القول المفيد ص ١٠٥، ١٠٧ وابن جنى : الخصالص ١٢٧/٣ : جيب بكر - ثوب بكر ونحوهما .

(٣) الضياع : شرح الشاطبية ص ٤، ٤١، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٥ وانظر : الدمياطي الإنتحاف ص ٢١ - ٢٧ .

في الشاء مثل (من يرد ثواب الدنيا) والذال في السين مثل (إذ سمعته)^(١).

ومن هنا بدا لنا أن المطلوب من القاريء إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها ، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله من غير إسراف ولا تعسف ، وكذلك إعطاؤها صفاتها الواجبة لها .

وندرك من ذلك - أيضاً - أن الصوت يأخذ وضعياً خاصاً حال تركبه مع غيره ، فلذلك سمات وخصائص ينبغي للقاريء أن يلم بها ، فقد تجاور الحروف المتماثلة أو التجانسة أو المتقاربة ، والقوى منها أو الضعيف ، والمفخم أو المرقق . فيجذب القوى الضعيف . ويقلب المفخم المرقق ، ولذا فإن هذا يحتاج إلى رياضة شديدة للنطق حال التركيب^(٢) .

وقد ساق ابن الجزرى - رحمه الله - أمثلة كثيرة لذلك وكيفية تحديد النطق أو عدمها في حالات من تجاور بعض الحروف مع مجانيتها أو مقاربها ، وحروف القلقلة ، وتكرير الحروف وغير ذلك .

فالحاء - مثلاً - تجب العناية بإظهارها إذا وقع بعدها مجانية أو مقاربها ، لا سيما إذا سكنت نحو (فاصفح عنهم) و (فسبحه) فكثيراً ما يقلبونها في الأول عينا ، ويدغمونها كذلك ، وكذلك يقلبون الهاء في (سبحة) حاء لضعف الهاء وقوة الحاء فتجذبها فينطقون بحاء مشددة ، وكل ذلك لا يجوز إجماعاً .

والذال يعني بإظهارها إذا سكنت وأتى بعدها نون نحو (فنبذناه) (وإذا نتقنا) ، وكذلك يعني بترقيقها وبيان افتتاحها ، واستفالها ، إذا جاورها حرف مفخم ، إلا ربما انقلبت ظاء نحو

(١) الدمياطي : الإتحاف ص ٢١ .

(٢) ابن الجزرى : الشر / ٢١٤ و ٢١٥ بتصرف كبير .

(ذهم) - (ذره) - (أنذرتكم) - (الأذقان) - ولا سيما في نحو :
المنذرين - ذلتنا - لثلا تشبه ب نحو : المنظرين - ظلتنا ، وبعض
العجم يجعلها زايا .

والرأى يحفظ بيان جهرا ، لا سيما إذا سكت نحو
(تزدري) و (أزكي) و (رزقا) و (مزجاًة) و (ليزلقونك)
و (وزرك) ، ولكن التحفظ بذلك إذا كان مجاورها حرفًا مهموساً
آكد ، لثلا يقرب من السين نحو (ما كنزنتم) .

والسين يعني بيان انفتاحها واستفالها إذا أتي بعدها حرف
إطباقي لثلا تجذبها قوته فتقلبها صادا نحو (بسطه) - (مسطورا) -
(تستطيع) - (أقسط) .

ويتحفظ بيان همسها إذا أتي بعدها غير ذلك نحو (مستقيم)
- (مسجد) فربما ضارعت الرأى وهكذا .

والفاء يجب إظهارها مع الباء عند أكثر القراء نحو (نخسف
بهم) .

والمشاهدة هي التي تكشف حقيقة ذلك ؛ والرياضة والدرية
تؤديان إليه ^(١) .

ثانيا، تنوّع القراءات والتالييف فيها والاحتجاج لها وصلة ذلك بالأحرف السبعة ،
مع اختلاف اللهجات داخل الجزيرة العربية ، واختلاف اللغات
خارجها تنوّع القراءات وتعددت .

والمعروف أن المصاحف التي كتبها عثمان - رضي الله عنه -
أرسل بها إلى الأمصار ، وقرأ كل مصر بما في مصحفهم ، وتلقوا ما
فيه عن الصحابة الذين تلقوه من (في) رسول الله عليه السلام ووجد في تلك

(١) المصدر السابق ٢١٨ / ٢٢٤ بتصريف .

الأمسار - فيما بعد - من يقوم في أمر القراءة مقام الصحابة رضوان
الله تعالى عليهم .

وقد قام بذلك كثير منهم في الأمصار الإسلامية كالمدينة ومكة
والكوفة والبصرة والشام^(١) .

ثم بُرِزَ أعلام للقراءة تجردوا للأخذ ، واعتنوا بضبط القراءة أتم
عناية . حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدي بهم ، ويرجع إليهم ،
ويؤخذ عنهم^(٢) وربما كان عددهم كثيراً إلا أن الذين اشتهروا منهم
في نهاية القرن الثاني الهجري سبعة عرفوا بالعدالة والضبط والإتقان
وهم : عبد الله بن كثير^(٣) وكان بمكة ، ونافع بن عبد الرحمن^(٤)
وكان بالمدينة ، وعبد الله بن عامر^(٥) وكان بالشام ، وأبو عمرو بن
العلاء^(٦) ويعقوب بن إسحاق الحضرمي^(٧) وكان بالبصرة ، وحمزة
بن حبيب الزيارات^(٨) وعاصم بن أبي النجود^(٩) وكان بالكوفة .

ثم جاء ابن مجاهد^(١٠) فسبع السبعة وشدّد ما عدّها ، وكانت
كتبه التي ألفها في القراءات محوراً لدراسات كثيرة في القراءات ،
وتواترت مؤلفات العلماء في القراءات والاحتجاج لها^(١١) .

(١) المصدر السابق . ٩١١ .

(٢) المصدر السابق . ٨٧١ .

(٣) ت ١٤٠ هـ .

(٤) ت ١٦٩ هـ .

(٥) ت ١١٨ هـ .

(٦) ت ١٥٤ هـ .

(٧) ت ٢٠٥ هـ .

(٨) ت ١٥٦ هـ .

(٩) ت ١٢٧ هـ .

(١٠) ت ٣٢٤ هـ .

(١١) يقصد بالاحتجاج هنا بيان سبب اختيار القراءة أو بيان قوتها أو ضعفها وترجيمها .

وفي غضون كتب النحو والتفسير نجد احتجاجاً للقراءات
كتاب سيبويه ، والبحر الخيط لأبي حيان وغيرهما .

(أ) **تفسير الحديث المشهور في إنزال القرآن على سبعة أحرف :**

الواقع أن الاحتجاج للقراءات ينبغي أن يقوم على أساس
اللبيجات العربية ، فهي تمثل القسم الأعظم من هذه القراءات .

وللتوضيح ذلك نسوق الحديث المشهور في هذا الصدد . ونورد
الآراء في تفسيره ، ونرجح ما نميل إليه بما يؤيد هذا الرأي الذي
يجعل اللبيجات أساساً للقراءات القرآنية .

فقد « روى أن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال : دخلت
المسجد أصلى ، فدخل رجل فافتتح النحل ، فقرأ فحالقى في
القراءة ، فلما انفتل من صلاته قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله
عليه السلام قال : فدخل قلبي من الشك والتکذيب أشد مما كنت في
الجاهلية ، ثم جاء رجل فقام يصلي ، فقرأ وافتتح النحل فحالقى
وخالف صاحبى ، فلما انفتل من صلاته قلت : من أقرأك ؟ قال :
رسول الله عليه السلام ، قال : فدخل قلبي من الشك والتکذيب أشد مما كنت
في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما إلى النبي عليه السلام فقلت :
استقرئ هذين فاستقرأ أحدهما وقال : أحسنت ، فدخل قلبي من
الشك والتکذيب أشد مما كنت في الجاهلية ، ثم استقرأ الآخر وقال :
أحسنت ، فدخل صدرى من الشك والتکذيب أشد مما كنت في
الجاهلية ، فضرب رسول الله عليه السلام صدرى بيده وقال : أعيذك بالله يا
أبا من الشك ثم قال : إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : إن ربك
عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : اللهم
خف عن أمي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ

القرآن على حرفين ، فقلت اللهم خفف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف »^(١) .

وقد اضطربت أقوال العلماء في تأويل هذا الحديث وتفسيره .
وببيان الأوجه السبعة التي نزل عليها القرآن وزادها السيوطي تفصيلا
في كتابه (الإتقان) .

ومن ذلك ما ذهب إليه ابن قتيبة والرازي والباقلاني ، وابن الجزرى من أن المراد من الحرف : الوجه وبالأحرف السبعة : أوجه سبعة من الاختلاف لا تخرج عنها هي :

١ - الاختلاف في الحركات بلا تغير في المعنى أو الصورة نحو
 ﴿قَرَحٌ﴾ (١٤٠) «آل عمران» بضم القاف وفتحها - ز
 ﴿بِالْبَخْلِ﴾ (٣٧) «النساء» بضم الباء مع سكون الخاء .
 وبفتح الباء مع سكون الخاء أو فتحها .

٢ - اختلاف الحركات مع تغير في المعنى فقط نحو ﴿وَادَّكَرْ بَعْدَ أُمَّةً﴾ (٤٥) «يوسف» - القراءة المشهورة بضم الهمزة وتشديد الميم - أى مدة طويلة ، وقرئي بعد أمه بفتح الهمزة والميم الخففة وهاء - بمعنى النسيان .

٣ - اختلاف الحروف بتغير في المعنى لا الصورة نحو :
 ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ (٢٠) «يونس» (٢).
 قرأها حمزة والكسائى بتأنيين من (التلاوة) أو (التلود) ، قال

(١) صحيح مسلم ١٠١ / ٦ - ١٠٤ والنسائي ١٤٩ / ١ ، ١٥٠ ، والبخاري ٢٠ / ١٩ .
 ٢١ والنشر ٢٠ / ١ .

(٢) ابن الجزرى : النشر ٢ / ٢٨٣ .

الأخفش : تتلو من التلاوة أى تقرأ كل نفس ما أسلفت ، و قال
آخرون : تتبع أى تتبع كل نفس ما أسلفت ^(١) .

والقراءة المشهورة بالباء والباء أى تختبر كل نفس ما أسلفت
من العمل فتعرف كيف هو ، أقيبح أم حسن ، أنافع أم ضار ، أمقبول
أم مردود ، كما يتعرف الرجل الشئ باختباره .

٤ - اختلاف الحروف بتغيير في الصورة لا المعنى نحو : ﴿ وَزَادُكُمْ
فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ ^(٢٩) « الأعراف » رسمت بالصاد وقرئت
بالصاد والسين .

٥ - اختلاف الحروف مع تغير الصورة والمعنى نحو : ﴿ فَاسْعُوا إِلَى
ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٣٠) « الجمعة » قرئ : (فامضوا إلى ذكر الله) .

٦ - الاختلاف في التقديم والتأخير نحو : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ
بِالْحَقِّ ﴾ ^(٣١) « ق » . قرأ أبو بكر وابن مسعود (وجاءت
سكرة الحق بالموت) .

٧ - الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو : ﴿ وَصَنَّى بَهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُهِ
وَيَعْقُوبُ ﴾ ^(٣٢) « البقرة » قرئ (وأوصى بها) ^(٤) .

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالأوجه السبعة القراءات
السبع ، وهذا وهم ربما نشأ عن اختيار ابن مجاهد سبع قراءات فقط

(١) أبو زرعة : حجة القراءات ص ٣٢١ .

(٢) يلاحظ أن قراءة (وادرك بعد أنه) بفتح الهمزة والميم وهاء مكسرة متونة وقراءة
(وجاءت سكرة الحق بالموت) وقراءة (فامضوا إلى ذكر الله) من القراءات الشاذة التي
ليست قرآنًا فلما تخل القراءة بها . وانظر الأرجح السبعة المذكورة في النشر ٢٦ / ١ .

فأشكل ذلك على العامة ، ووهم من قل نظره أن هذه القراءات السبع هي المقصودة في الحديث النبوي ^(١) .

ولعل هذا التفسير مبني على الموافقة في العدد (سبع) مع أن ذلك خلط بين ، لأن القراءات السبع هي تلك الصفات التي وردت عليها القراءات النموذجية التي نسبت إلى أشهر القبائل العربية . واشتهرت في العصور الإسلامية الأولى ، ولا شك أن هناك الكثير غيرها من الوجوه التي تنسب إلى القبائل العربية الأخرى لم تدون في كتب القراءات ، أو دونت ولكنها لم تأخذ الاهتمام به مثل ما أخذته تلك المشهورات ، ولذلك فإننا نجد بعض العلماء يذكر أن القراءات عشر أو أربع عشرة .

« ويقول الشيخ الإمام المجتهد أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية - رحمه الله .

« لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة ، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن ، لا اعتقاده ، واعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هي الحروف السبعة أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم ، ولهذا قال بعض من قال من أئمة القراء : لو لا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة ، وإمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين » ، ثم قال العلامة ابن تيمية : « ولذلك لم يتنازع علماء الإسلام المتعون من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين ، بل من ثبتت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة ، أو قراءة يعقوب

(١) ابن الجوزي : النشر ١ / ٣٦ ، ٣٧ بتصريف .

الحضرمي ونحوهما كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها ، بلا نزاع بين العلماء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف .

بل أكثر العلماء الأئمة الذين أدركوا قراءة حمزة كسفیان بن عبینة وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وغيرهم يختارون قراءة أبي جعفر بن القعقاع ، وشیبة بن نصاح المدنيين ، وقراءة البصریین کشیوخ بعقوب وغيرهم على قراءة حمزة والكسائی ، وللعلماء الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف عند العلماء ، ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشرة والأحد عشر کثیبوت هذه السبعة يجمعون في ذلك الكتب ، ويقرأونه في الصلاة ، وخارج الصلاة ، وذلك متافق عليه بين العلماء لم ينكروه أحد منهم ^(١) .

فليس المراد - إذا - بالأحرف السبعة تلك القراءات السبع وذلك باتفاق علماء السلف والخلف ^(٢) .

ويبدو أن المراد بالسبعين أوسع مما هو مدون في كتب القراءات عن السبع المعروفة ، وليس معنى الاتفاق في لفظ العدد (سبع) أنها سبعة أوجه على التحديد ، فلفظ (سبع) في الحديث لا مفهوم له ، فهو يعني الكثرة المطلقة ، لأن هذا العدد يدل على الكثرة في اللغات السامية .

يقول ابن الجزری :

« ليس المراد بالسبعين حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل المراد السعة والتيسير ، وأنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب من حيث إن الله تعالى أذن لهم في ذلك ، والعرب

(١) المصدر السابق ٤٠، ٣٩ / ١ .

(٢) المصدر السابق ٤٠ / ١ .

يطلقون لفظ (السبعة والسبعين والسبعمائة) ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل يريدون الكثرة والبالغة من غير حصر ، قال تعالى : ﴿ مَثُلُ الَّذِينَ يُنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمْثُلِ حَبَّةِ أَنْبَاتٍ سَبْعَ سَابِلًا فِي كُلِّ سُبْلَةِ مَائَةِ حَبَّةٍ ﴾ (٢٦١) «البقرة» وقال : ﴿ إِنَّ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ حَبَّةً ﴾ (٨) «التوبه» وقال ﴿ فِي الْحَسَنَةِ : (إِلَى سَبْعِمائَةِ ضَعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ) ﴾ (١) .

ولذا فإننا نلاحظ أن القراءات أوسع من هذه السبع المعروفة في كتب القراءات ، وهناك قراءات كثيرة وصفت - أحياناً - بالشذوذ لعدم تراطها أو لعدم توافر شروط الصحة فيها حسب ما يذكره المحققون للقراءات ، وفي كتاب المحتسب لابن جنی كثير من تلك القراءات التي حاول وصلها بالعربية .

ويرى أكثر العلماء أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات أو لهجات وهي - فيما رأى بعضهم - قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتيم واليمن ، وقيل غير ذلك . وفسر ذلك بعضهم بأن أصول قبائل العرب تنتهي إلى سبعة ، أو أن اللغات (اللهجات) الفصحي سبع لا أقل ولا أكثر (٢) .

وتحديد العدد بسبع فقط تعسف ، فالواضح أن العدد لا مفهوم له على ما ذكرنا ، والمراد السعة والتيسير كما يذكر ابن الجزر . فاللغة عادة اجتماعية من الصعب التنازل عنها ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وقد تستعصي على القاريء بعض النواحي الصوتية التي لا تتوافر في لهجته ، فجاء هذا الحديث ليؤكّد صحة القراءة حسب لهجة القارئ على ما تعود لسانه في بيته .

(١) المصدر السابق / ١ / ٣٦ .

(٢) المصدر السابق / ١ / ٢٤ ، ٢٥ .

ونحن نعلم أن القبائل العربية كثيرة ، وب بيئاتها مختلفة ، وطرائق النطق عندهم متفاوتة ، فأتتيح لكل منهم أن يقرأ بطريقته الخاصة وأن يؤدى النطق على ما تعود ، يقول ابن الجزرى :

(وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة ، وأالستheim شتى ، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج ، لاسيما الشيخ والمرأة ، ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه عليه ^{عليه} ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطيع)^(١) . فالواضح أن المراد بالأووجه السبعة هنا اللهجات العربية المتعددة ولا يطلب تكفل الخروج عليها .

وبهذا يتضح أن القراءات القرآنية لها صلة قوية باللهجات العربية وفقاً لشرحنا للحديث المشهور (أنزل القرآن على سبعة أحرف) .

(ب) تدوين القرآن في المصاحف وعلاقة ذلك بالأحرف السبعة :

ويقتضينا المقام أن نبين أمر تدوين القرآن في المصاحف وعلاقة ذلك بالأحرف السبعة ، وما تتضمنه من اللهجات . وعلاقة القراءات التي بين أيدينا اليوم بذلك أيضاً .

وهنا نقول :

يذهب بعض العلماء من الفقهاء والقراء والتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية - التي كتبت على يد عثمان رضى الله عنه وأرسلت إلى الأمصار الإسلامية - تضم جميع الأحرف السبعة بما

(١) المصدر السابق . ٤٤ / ١

ذكر لها من تفسيرات ، إذ يدعوا الحديث المشار إليه آنفًا إلى حفاظ الأمة على تلك الأوجه ، لأنها متفوقة مأثورة عن النبي ﷺ ، وقد تناقلتها الصحابة ، وأن تلك المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار نقلت من الصحف التي كتبها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولو ترك شيء من هذه الأوجه لكان تركاً لبعض الوجوه المروية التي نزل عليها كتاب الله العزيز ^(١) .

ولعل المراد بالسبعة عند هؤلاء - وهو ما لا نراه مراداً - من أنها سبعة أوجه لغوية أو سبع لهجات ، لعل ذلك هو الذي سوّغ لهم هذا الرأي .

أما على ما نراه من أن الأوجه السبعة يقصد بها اللهجات العربية - لأن العدد لا مفهوم له - على ذلك فإن اعتبار المصاحف العثمانية مشتملة عليها جميعاً اعتبار غير مقبول ، إذ إن اللهجات كثيرة إلى حد غير محتمل التحقيق في كتاب الله العزيز بتلك الصورة الواسعة .

فالقرآن ليس كتاباً أعد للمبارزة باللهجات ، وإنما يضم الفصيح الواسع الانتشار منها .

ولعل الرسم الخطي في تلك المصاحف يؤكّد ما نذهب إليه . فالكتابة العثمانية التي دونت بها تلك المصاحف تشتمل على صور لهجية يمكن تحويلها بالنطق المنقول على لسان القراء .

ولذا فالرأي الدقيق والمعقول هو أن المصاحف العثمانية تشتمل على بعض الأوجه السبعة دون بعض ، وهو ما نفسره عملياً ببعض اللهجات العربية دون البعض الآخر ، المعروف أن جبريل - عليه السلام - كان يأتي إلى النبي ﷺ فيدارسه القرآن ، ويروى أن النبي

(١) المصدر السابق ٣١ / ١ بتصريف .

كان يعرض القرآن على جبريل كل عام مرة ، وعرضه في عامه الذي قبض فيه مرتين ، وفي تلك العروض كانت بعض الآيات تتناول بالنسخ أو التبدل ، حتى استقر الأمر على ما كتبت عليه صورته الأخيرة التي ضمتها المصاحف العثمانية .

وإذا فهذه المصاحف تتضمن ما عرضه النبي ﷺ في العرض الأخير . وما تحقق صحته عنه ﷺ ما لم ينسخ ^(١) .

فمثلاً : أسلوب الإملاء والفتح مما اختلفت فيه قبائل العرب . والإملاء . هي أن تحو بالفتحة نحو الكسرة ، فتميل ألف إن كان بعدها ألف نحو الياء ، وإلا فالمماطلة الفتحة وحدها مثل : الفتى . والهدى ، وملهى ، وأرطى ، وباع ، وهاب ، عالم ، وكاتب ، والضحى . ورأيت خطب رياح ، ومن عمزو ، ونعممة ^(٢) .

وقد اشتهرت الإملاء عند قبائل شرقى الجزيرة ووسطها ، مثل : أسد ، وعبد القيس ، وقيم ، وتغلب ، وطن وبكر بن وائل .

كما اشتهرت على السنة قراء الكوفة بالعراق في القرن الثاني الهجرى أمثال حمزة والكسائى وخلف ، كما كان لها تأثير واضح أيضاً على السنة علماء الكوفة ، وأهلها ، واستمر ذلك حتى عصر أبي عمرو الدانى في القرن الخامس الهجرى ، حيث قال : (إن الكسائى يعني بذلك ^(٢) أن الإملاء لغة أهل الكوفة وهى باقية فيهم إلى الآن ، وهم بقية أبناء العرب ^(٤) .

(١) المصدر السابق ٨/١، ١٤، ٢١، ٣٢.

(٢) ابن جنى ، سر الصناعة ١/٥٨ والأشمونى ٤/٢٢٠ وابن هشام : أوضح السالك مع النار ٢/٣٠٠ ، وابن الجزرى : النشر ٢/٣٠ .

(٣) الإشارة إلى إملاء ما قبل هاء الثائب .

(٤) ابن الجزرى : النشر ٢/٨٢ .

أما الفتح فاشتهر عند قبائل غربى الجزيرة من سكان الحجاز
كقرىش وثقيف وسعد بن بكر والأنصار وكنانة وهوازن .

واشتهر الفتح عند قراء الحجاز كنافع وأبى جعفر من قراء
المدينة وابن كثير من قراء مكة .

وهذا الأسلوب - بطريقته - واضح فى خط المصاحف
العثمانية فقد كتب فيها بالباء نحو : هدى والهدى ويحيى وموسى
ويغشىها وسوتها وجلوها وآتكم .. مما يمثل صورة الإملالة . وورد فى
خط المصاحف أيضاً أمثل هذه الموضع مكتوبة بالألف كقوله تعالى :
 ﴿وَمَنْ عَصَنِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٦) «إبراهيم» وما يؤكّد
ذلك كتابة (سيماهم) بطريقته الإملالة والفتح فى موضعين
مختلفين ، ففى سورة البقرة : ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسَمَائِهِمْ﴾ (٢٧٣) كتبت
بالباء على طريقة الإملالة ، وفى سورة الفتح ﴿سَيْمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثْرِ السُّجُودِ﴾ (٢٩) كتبت بالألف على طريقة الفتح .
ولذلك نظائر كثيرة مما يتضح فى خط المصاحف العثمانية
كالإظهار والإدغام والمد والقصر ، والتحقيق ، والتشديد ، وإبدال
أحرف من أخرى .

ولذا فكل ما جاء موافقاً لرسم المصحف يعد من الأوجه السبعة
التي نزل بها القرآن الكريم إذا صح سنته واستقام وجهه فى
العربية (١) .

أما ما جاء مخالفاً للمصاحف العثمانية فإنه يعد منسوحاً أو من
قبيل التفسير الذى يكتب مع النص أو خبر آحاد لا يثبت به القرآن (٢) ،

(١) المصدر السابق : ٣١١، ٤٤ .

(٢) المصدر السابق : ٣٢/١ ، وانظر : الأستاذ عبد الوهاب حمودة : القراءات واللبيجات
ص ٤٣ .

ومن ذلك بعض ما أورده ابن قتيبة ورفاقه فيما ذكرناه في الوجه الخامس عندهم ، كقراءة (فامضوا إلى ذكر الله) بدل (فاسعوا) والوجه السادس عندهم كقراءة (وجاءت سكرة الحق بالموت) مكان (وجاءت سكرة الموت بالحق) ، والوجه السابع كقراءة ﴿ وَكَانَ رَوَاءُهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصَّاباً ﴾^(٧٧) ونحوه مما يعد تفسيراً الحق بالنص كما أشرنا إلى ذلك في موضعه مما سبق .

(ج) القراءات وتمثيلها للأوجه السبعة :

ونحب أن نشير في هذا الصدد إلى القراءات التي بين أيدينا اليوم من حيث تمثيلها للأوجه السبعة أو بعضها ، والقول الفصل في هذا الموضوع يبني على ما ذكرناه من أن المصاحف العثمانية تشتمل على بعض الأوجه السبعة ، وهي التي وافقت الرسم الذي جاءت عليه تلك المصاحف ، وأما ما عدا ذلك فيعد منسوخاً أو خبر آحاد . فالقراءات تجري على هذا المنوال .

والقراءات ليست على درجة واحدة ، فمنها المقبول والم ردود وقد وضع العلماء قواعد لذلك :

فتعد القراءة صحيحة إذا توافرت لها ثلاثة عناصر :

- ١ - أن توافق القراءة العربية ولو بوجه كقراءة ﴿ فَتُوبُوا إِلَيْنَا بَارِئُكُمْ ﴾^(٧٨) « البقرة » - بـإسكان همزة بـأدائكم - على لهجة قيم وأسد الذين يـحدـفـونـ بـعـضـ الـحـرـكـاتـ عـنـ تـوـالـيـهـاـ وـكـقـراءـةـ أـبـىـ جـعـفـرـ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجَدُوا ﴾^(٧٩) « البقرة » - بضم تاء الملائكة مع أنها مجرورة - تبعاً لضمة الجيم بعدها ، إذ الحاجز غير حسين وهو السين الساكنة .

٢ - أن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً كان يثبت رسمها في بعضها دون البعض الآخر كقراءة ابن عامر (وبالزبر وبالكتاب المنير) ^(١) « آل عمران » بإثبات الباء في (الزبر) و (الكتاب) فهذا موجود في مصحف الشام ، وكقراءة ابن كثير ^(٢) جنات تجري من تحتها الأنهر ^(٣) « في آخر سورة براءة وهي التوبة » - بزيادة (من) فهذا ثابت في المصحف المكي ، والمراد بعبارة (ولو احتمالاً) أن يوافقها تقديراً ، وذلك كمخالفة صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو ممحون أو نحو ذلك فلا يعد خلافاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة ألا ترى أنهم لم يعدوا إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء ^(٤) تسألني ^(٥) « الكهف » وقراءة ^(٦) وأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ^(٧) « المنافقون » بإثبات الواو (وأكون) بالرفع والظاء من ^(٨) بضمين ^(٩) « التكوير » ونحو ذلك من مخالفة الرسم المردود فإن الخلاف في ذلك يفتقر إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد ، وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقص أخرى وتقديمها أو تأخيرها حتى ولو كانت حرفًا واحدًا من حروف المعاني فإن حكمه في حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه ^(١٠) .

٣ - أن يصح سندها عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومعنى (صحة السند) أن يرويها العدل الضابط عن مثله (كذا) حتى تنتهي مع الشهرة .

يقول ابن الجوزي في ذلك :

(كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا

(١) ابن الجوزي : النشر ١٢ / ١٣ .

يجوز ردها ولا يحتمل إنكارها ، المراد بالوجه ما كان من وجوه التحو سواء كان أفعى أم فصيحاً ، مجمعاً عليه أو مختلفاً فيه ، اختلافاً لا يضر مثله ، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع ، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح ، وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشي في اللغة ، والأقيس في العربية . بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة «^(١)» .

وعلى هذا فما روى من قراءات في القرآن ثلاثة أقسام :

- ١ - قسم يقرأ به اليوم : وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال ، وهن : أن ينقل عن الشفاف عن النبي ﷺ ، ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن سائغاً ويكون موافقاً لخط المصحف .
- ٢ - القسم الثاني : ما صح نقله عن الآحاد . وصح وجهه في العربية ، وخالف لفظه خط المصحف ، فهذا يقبل ولا يقرأ به . لا في الصلاة ولا في غيرها .
- ٣ - والقسم الثالث : ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية ، فهذا لا يقبل ، وإن وافق خط المصحف ^(٢) .

وعلى هذا فالقراءات التي بين أيدينا تمثل بعض الأوجه السبعة ، وهي تلك التي توافق خط مصاحف الأمصار سوى ما وقع فيه الخلاف من الحروف البسيطة أما ما عدا ذلك فلا يدخل في الأحرف السبعة ولا يمثلها مما أشرنا إلى أنه من المنسوخ أو مما ألحق بالنص ، مما يعد تفسيراً له .

فلا ريب أن القراءات الصحيحة لا تمثل - كما قلنا - كل لهجات العرب - التي تفسر بها الأوجه السبعة - بل تمثل بعضها ، وذلك ما أكدته النصوص القرآنية والرسم العثماني الذي وردت عليه .

(١) المصدر السابق ١١/٩ .

(٢) المصدر السابق ١٤/٤٤ .

ثالثاً : منهج اللغويين والنحاة في معالجة القراءات والأسس الصحيح لتفسيرها :

وتدفعنا النتائج التي توصلنا إليها فيما سبق أن نتناول - بالبحث والتحليل - منهج اللغويين والنحاة في معالجة القراءات القرآنية و موقفهم منها ، ونبين أن الأساس الصحيح لفسيرها يقوم على اعتبار صلتها باللهجات العربية ، حيث تبين عدم وفاء المنهج النحوي بالتفسير المطلوب .

وبين يدى القاريء والباحث المتأمل نذكر أن لكل لغة أنماطاً معينة ترسم طريق توليد الصيغ ، وارتباط الألفاظ بالمعانى فيها . وليس بمستطاع المتحدث باللغة أن يضع لفظاً لكل معنى يرد على خاطره ، كما أنه لا يستطيع أذ يستعمل صيغة لكل غرض ، أو تركيباً لكل حديث .

وإذا كان هذا شأن اللغات - فإن لغتنا العربية بلغت الذروة في دقتهما ، وتناسقها ، ووضوح طرق استعمالها . فأمام المتحدث بها منهج مرسوم يسير وفقه في توليد الألفاظ من المواد اللغوية ، وقواعد ونظم موروثة في استعمالها ، وتراكيبها اللغوية ، فليس عليه إلا أن يسمع ما يقوله العربي ، ويسيير على منواله .

وهذا هو القياس الذي يؤدى إلى الاقتضاء في المجهود الذي يتوجب إثقال الذاكرة بمتاع غير مفيد^(١) ويحفظ للغة قواعدها وينمى ألفاظها .

وأساس القياس هو المسموع عن العرب وهو يتمثل في الآتي :

١ - القرآن الكريم : فلا ريب أنه يحمل طابع الاستعمالات العربية

(١) فنديس : اللغة . ٢٠

الأصلية ، وهو موثوق به غاية الثقة ، ويعد أقوى النصوص التي يجب اتخاذها أساساً للقياس عليها .

وتعتبر قراءات القرآن الكريم - التي ثبتت صحة روايتها - مصدراً مهما للقياس لأنها تعبر عن لهجات عربية صحيحة .

٢ - الحديث الشريف : يعد مصدراً يحتاج به في اللغة ، ويقاس على ما ورد من الفاظ ، واستعمالاته ، لأن الرسول ﷺ أفصح العرب - كما قال - : (أنا أفتح العرب بيد أني من قريش) . وقد أتى جوامع الكلم كما قال عليه الصلاة والسلام .

والذى تحدى الإشارة إليه هو عدم اهتمام اللغويين والباحثين بالاستشهاد على الظواهر اللغوية ، وقوانينها بالقرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة اهتماماً واسعاً ، فالباحث يرى أنهم يأتون بالشاهد من مؤثر الكلام شعراً ونثراً ، وربما اعتمدوا في تقييد قواعدهم على شاهد واحد - كما هو معروف عند الكوفيين - وربما لم يعرف قائله ، وقد يكون مصنوعاً ، فقد أجاز الكوفيون دخول اللام في خبر (لكن) واستشهدوا بهذا الشطر الذي لا تعرف له تتمة :

ولكنى من جبها لعميد^(١)

وورد صريحاً أن «سيبويه» سأله اللاحقى : هل تعدى العرب (فعل) - بفتح الفاء وكسر العين - قال : فوضع له هذا البيت :

حضر أموراً لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الأقدار^(٢)

ومع ذلك لم يهتموا بالاستشهاد بالقرآن الكريم ، وفي القليل يرجون على نصوص منه ، فيستشهدون بأية بدلاً من هذا البيت

(١) العيني : شرح شوادر الأشموني ١ / ٢٨٠ أورديه ابن عقيل صرداً هو (يلوموني في حب ليلي عوادلى)

(٢) المصدر السابق . ٢٩٨ / ٢ . وسيبويه بالكتاب بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . ١١٣ / ١

المجهول ، أو هذه العبارات السقئية ، أو تلك التراكيب المصنوعة . ولو أنهم استشهدوا بالقرآن لرجعوا إلى النص الصحيح الأقدم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ^(١) .

كذلك جرى جمُهور النحاة على عدم الاحتجاج بالحديث الشريف في تقرير الأحكام العربية ، لروايته بالمعنى ، وكان الأولى بهم أن يعتبروه حجة في اللغة ، وبخاصة بعد أن دون (وتدوين) الأحاديث وقع في الصدر الأول حين كان أولئك الرواة الذين يتصرفون في ألفاظ الحديث - على تقدير تصرفهم - من يوثق بهم . ويحتاج في أحكام الألفاظ بعباراتهم ^(٢) .

وقد أدى عدم اهتمام اللغويين والباحثة بهذه المصادر في الاحتجاج إلى وجود مشكلات لغوية كثيرة ، وتأويلات معقدة . ربما كان من السهل التخلص منها بالرجوع إلى هذين الأثنين اللذين يثلان اللغة في صورتها الماثلة .

٣ - ما ورد إلينا من اللغة النموذجية ، ألفاظ ونصوصاً .
٤ - ما ورد من لهجات العرب ، فقد جمعت ألفاظ واستعمالات لغوية تنسب إلى قبائل متعددة في الجزيرة وتعد كلها حجة .
ويعتمد في ذلك على ألفاظها ، وشهادتها نثراً وشرعاً .
ويشترط - فيما نقل عن العرب - للقياس عليه أن يكون مما قاله العرب الذين عاشوا خلال فترة الاحتجاج ، وقد حددها الجمع اللغوي في القاهرة بنهاية القرن الرابع الهجري - في البداية - وينتصف القرن الثاني الهجري في الحضر ، فلا يحتاج بما ورد بعد ذلك في مكانه بدوا أو حضرا .

(١) عبد الحميد عابدين : المدخل إلى دراسة النحو العربي في ضوء اللغات السامية ص ٩٦ .

(٢) الإمام محمد الحضر حسين : القياس في اللغة العربية ص ٣٢ ، ٣٣ بتصرف .

والملاحظة ترينا أن سيلاً عارماً من اللهجات قد ذاب في الإطار اللغوي العام ، وأصبح داخلاً فيه ، فاللغة النموذجية التي صارت لغة العرب جمِيعاً قبل الإسلام بحوالي قرن ونصف أو قرنين من الزمان – وإن أدعى بعض الباحثين أنها تمثل في لهجة قريش – كانت تحوى عناصر أخرى من لهجات كثيرة غيرها .

وقد ثبت – باعتراف الباحثين – أن لهجة قريش استمدت من اللهجات الأخرى ما رأته حسناً ومحبلاً من أصوات ، ومفردات وتركيب .

ولما جاء عصر التقنين اللغوي استتبط علماء العربية القواعد من كل ما وصلوا إليه دون تمييز بين ما هو عام ، وما هو خاص . وبذلك صنعوا بناء لغوياً متكاملاً لم يفرقوا فيه بين ما هو أصل لغة عامة للعرب ، وما هو إحدى اللهجات المنزوية .

وكانت مقاييسهم – في هذا الصدد – صارمة ، وقد فلسفوا لها ، وعدوا ما خرج عليها شاداً أو مؤولاً .

وكان لهم – في هذه المقاييس – منهج معروف يتمس بالتحكم العقلي . فهم يدخلون الشواهد (العينات اللغوية) في بوتقة واحدة ، ويصهرونها حتى تلائم ما وضعوه من قواعد مناسبة لها .

وقد طبقوا هذا المنهج على القراءات ، وإن كان بعيداً عن السلوك اللغوي للظواهر اللهجية المتمثلة في القراءات ، فقد أدخلوها أو حاولوا إدخالها في إطار النسق العام للقواعد المستتبطة ، وأخضعوها لمقاييسهم .

ف ERAHم عند الاحتجاج لها يسلكونها في هذا المسلك ،

ويؤصلونها بهذا التأصيل ، سواء في المجال الصوتي أو مجال التقني .
وضع القواعد المعيارية .

لو وقفنا أمام بعض القراءات لنرى رأيهم فيها لبدا لنا ذلك
واضحًا في مجالات متعددة .

(١) المجال الصوتي :

١ - الاختلافات الصوتية وهي - كما تعلم - الظاهرة الواسعة التي
تمثل لنا أهم اتجاهات القراءات .

والمعلوم أن الأصوات العربية نوعان :

حركات وساكن أو كما يسميتها الباحثون المحدثون : صوائت
وصوامت ، فالحركات أو الصوائت هي الألف والواو والياء - إذا
كانت مدة وأحركات القصار : الفتحة والكسرة والضمة ، أما
الساكن أو الصوامت فهي بقية حروف الهجاء .

ونلاحظ أن بعض القراءات تأخذ صوراً متعددة في هذا الإطار
الصوتي بنوعيه وتبدو كما يلى :

١ - قراءات تفضل حركة معينة : فتحة - كسرة - ضمة .

٢ - قراءات تثبت حركة أو تحذفها .

٣ - قراءات تبدل حرفًا من آخر .

٤ - قراءات تقرب صوتاً من آخر بما يحقق الانسجام والتماثل .

ومن خلال عرضنا البعض القراءات في هذه المجالات التي أشرنا
إليها وتحليلنا لها نبين أن التخريج اللهجي هو السائد وأنه هو الذي
تؤيده البراهين العلمية والصوتية قديماً وحديثاً .

وفقاً للتقسيم المشار إليه نرى أن بعض القراءات يفضل فيها

القاريء حركة على أخرى وأحياناً صوتاً صامتاً على آخر . ففضيل حركة على أخرى يتمثل في النطق بفتحة في موقع معين على حين يفضل قارئ آخر النطق بكسرة أو ضمة .

فمن المفاضلة بين الفتحة والكسرة ما ورد في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بِرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ الزخرف﴾ قرأ (براء) وقرأ بعضهم (برى) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخْيَ لَهُ تَسْعَ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ (٢٣) ﴿ ص﴾ قرأ الحسن بن هرمز (نعجة) - بـ كسر النون - وقرأ الباقيون بفتحها .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَيَجِدُوا فِيْكُمْ غُلْظَةً ﴾ (٢٤) ﴿ التوبَة﴾ قرأ الجمهور (غلوظة) - بـ كسر الغين - والأعمش . وأبان بن تغلب والمفضل - كلاهما عن عاصم بفتحها .

وكذلك قوله سبحانه : ﴿ فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوْلِيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٥) ﴿ مُحَمَّد﴾ قرأ الجمهور (عسيتم) بفتح السين وقرأها نافع بـ كسر السين وكذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَا تَقَاتِلُوا ﴾ (٢٦) ﴿ الْبَقْرَة﴾ بفتح سين عسيتم وكسرها .

وقوله جل شأنه : ﴿ وَقَرَنَ فِي بَيْوِتِكُنَّ وَلَا تَبْرُجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (٢٧) ﴿ الْأَحْزَاب﴾ قرأ (قرن) - بفتح القاف - نافع وعاصم وأبو جعفر ، وقرأها الباقيون بـ كسر القاف .

ومن المفاضلة بين الضمة والكسرة ما ورد في قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرِيمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (٥١) ﴿

« الزخرف »، قرأ (يصدون) - بضم الصاد - نافع وابن عباس والكسائي وأبر جعفر وخلف ووافقيهم الحسن والأعمش ، وقرأها الباقون بكسر الصاد ..

وقوله تعالى : ﴿ لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَفَغَّطُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾^(٨) « الحشر ». قرأ أبو بكر - عن عاصم - (رضوان) بضم الراء هنا ، وفي جميع القرآن إلا في سورة المائدة ، فقد نقل عنه كسر الراء ، وقرأ الباقون بكسر الراء ..

وقوله تعالى : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرُانِ ﴾^(٢٥) « الرحمن ». قرأ الجمهور : (شواظ) - بضم الشين - وقرأها ابن كثير والحسن وابن محيصن والأعمش - بكسر الشين ..

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا نَتَمْ بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصُوْى ﴾^(٤٢) « الأنفال »، قرأ (العدوة) بضم العين وكسرها .

وقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمَمُهُنَّ إِنْسَانٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾^(٥٦) « الرحمن »^(١) نسب إلى الكسائي ضم الميم من (يتممهن) - في الآيتين - ونسب كذلك إلى أبي الحارث ، ومعظم القراء بكسر الميم وقرأ أبو هريرة ^(٢) ويتوم نحشرهم جميعاً ^(٢٢) « الأنعام »، بكسر الشين ..

ولو راجعنا تحليل هذه القراءات في كتب اللغة لوجدنا النظرة

(١) سورة الرحمن الآياتان ٥٦ ، ٧٤ .

إليها من خلال القوانين المعيارية ، والتفسيرات النحوية والصرفية ،
وكان المسألة لا تعود أن تكون نطقاً صادراً عن اختيار القاريء ،
وعلى أساس من علمه بالقوانين اللغوية ، وليس منبعثاً عن الفطرة ،
والسلبية وما يقتضيه البيئة التي عاش فيها :

فالفراء - وغيره - يحللون قراءة الفتح في (براء) على أن
الكلمة مصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث ، والمفرد وغيره . فلا
يؤنث ، ولا يثنى ، ولا يجمع كالمصادر في الغالب ، أما (بريء) فهو
مفرد . وهو مؤنث . ويثنى ويجمع .

وقراءة (عسيتم) بكسر السين يعرضها الفراء وغيره على
مقاييس معيارية بعيدة عما يقتضيه المقام من النظر إلى القراءات في
ظلال صحة الرواية والنقل ، ولذا نرى الفراء يشك في صحة القراءة
بالكسر . ويقول : لو كان كذلك لقال (عسى) - بكسر السين -
في موضع (عسى) بفتحها - وبناء على ذلك اتهم العرب بأنهم
غيروا ما لا يصح تغييره ، وعلى حد قوله : (ربما اجترأ العرب على
تغيير بعض اللغة ، كما قالوا : لست - بضم اللام ، يريدون ، لست
- بفتحها ، لأنه فعل لا يتصرف ليس له (يفعل) ، وكذلك (عسى)
ليس له (يفعل) فلعله اجترأ على (عسى) كما اجترأ على
(لست) ^(١) .

ومع ذلك يعتبر كسر السين لهجة نادرة .

ويوافقه أبو عبيد الذي يقول : (القراءة عندنا هي الفتح لأنها
أعرف اللغتين ، ولو كان لست لقرئت (عسى ربنا) وما اختلفوا في
هذا الحرف) ^(٢) .

(١) البحر ٤/٩٤ .

(٢) حجة القراءات لأبي زرعة ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

فلم يقم هذا التحليل على أساس لهجى أو علمى بقدر ما هو قائم على أساس قواعد مرسومة في الذهن لا ينبغي وفق رأى الفراء إلا تتعذر ، ومن هذا المنطلق يتهم الفراء العرب بالجرأة على التغيير ، وكان ذلك إجراء من غير موجب ، ومن غير من يملك التصرف اللغوى ، مع أنه صادر من العرب أصحاب اللغة الذين يعد كلامهم حجة .

وقراءة (قرن) - بفتح القاف أو كسرها - يحللها الفراء في ضوء القواعد الصرفية المألوفة ، فالقراءة بالفتح أصلها (اقررن) - بفتح الراء الأولى وسكون الثانية وهي مأخوذة من (قر يقر) - بكسر الراء الأولى في الماضي ، وفتحها في المضارع ، وقراءة كسر القاف أصلها (اقررن) - بكسر الراء الأولى وسكون الثانية - وهي مأخوذة من (قر) بفتح الراء الأولى في الماضي ، وكسرها في المضارع .

ويجوز أن تكون مأخوذة من الوقار ، تقول للرجل : قد وقر في منزله يقر - بفتح القاف في الماضي وكسرها في المضارع - وقوراً .

وفي قراءة (يصدون) بضم الصاد - و (يصادون) - بكسرها - يذكر الفراء أن العرب تقول : يصد بضم الصاد وكسرها ، مثل يشد - بضم الشين وكسرها - وكان المسألة لا تتعذر جواز الأمرتين معاً عند العرب لأنهما لهجتان لطائفتين مختلفتين بحيث كانت كل طائفة من القبائل الناطقة لا تستعمل النطق الخاص بصاحبها إلا على سبيل العدوى اللغوية ، ومعروف أن العربي كان يتمسك بلهجته لا يفارقها تعصباً لها في معظم الأحيان كما ثبت كتب اللغة ذلك .

وقد حاول بعضهم أن يوجد فرقاً في المعنى بين (يصادون) بضم الصاد وكسرها فمعناها بضم الصاد يعرضون عن الحق من أجل

ضرب المثل ، ومعناها - بكسر الصاد - يصيرون وترتفع لهم حمية
بضرب المثل ^(١) .

والواقع أنهما لغتان (لهجتان) .

وأغرب من هذا أن بعضهم فسر القراءتين في (رضوان) -
بكسر الراء وبضمها - على أنه للتفریق بين الاسم والمصدر ، وذلك
أن اسم خازن الجنة (رضوان) - بكسر الراء - كما جاء في الحديث
(ورضوان) بضم الراء - مصدر (رضى) ، يرضى رضا ومرضاة
ورضواناً) - بضم الراء في (رضوان) ففرق بين الاسم والمصدر ^(٢) .

ونحن نسأل : كيف يكون المعنى مقبولاً في الآية على قراءة
الكسر اعتماداً على أساس هذا التفریق ؟ الواقع أن ذلك لا يمكن
قبوله في تفسير الكسر والضم .

والأولى أن يؤخذ باعتبار كل منهما لهجة ، والكلمة مصدر
وردت بلغتين معروفتين ، فال المصدر يأتي - وفقاً لهما - مرة على
(فعلان) - بكسر الفاء - ومرة أخرى على (فعلان) - بضم الفاء -
من الفعل رضى ^(٣) .

ويفسر الفراء قراءة (شوااظ) بضم الشين - و(شوااظ)
بكسرها على جواز النطق بالوجهين ، فالعرب تقول : صوار بكسر
الصاد وضمها ، وهو في هذا التحليل يجري في ذلك معياري
قياسي ، فكما تقول هذا وذاك بجوز النطق بهما معاً ، والقاريء
يتمثل الوارد في ذلك .

(١) البحر ٤٥/٨ .

(٢) حجة القراءات لأبي زرعة من ١٥٧ .

(٣) المصدر السابق من ١٥٧ .

وقراءاتنا (لم يطمحن) - بضم الميم تارة وكسرها تارة أخرى - يعتبرهما الفراء من الأمور الجائزة ، فضم الميم أو كسرها وارد عن العرب ، والقارئ الذى قرأ الكلمة بضم الميم قرأها كذلك بكسرها ، وકأن القضية ليست قضية رواية ، وتدقيق في التثبت فيما بقدر إرادته أن يطبق عليها ما عرفه من قواعد ، فطالما أنه سمع من العرب الضم والكسر فالقارئ أراد أن يتمثل الناحيتين معاً ، فنطق الكلمة بالكسر والضم وكأن القارئ ليس أكثر من مقلد لا أنه عربي ينطق بفطرته .

والواقع أن القضية ليست معيارية بهذا المعنى ، وأن التحليل الأصيل يجري في ذلك لهجى ، إذ إن الساطقين العرب - في المناطق المختلفة - كانت لهم أحوالهم المكانية والزمانية والاجتماعية التي كانت تجعلهم يتوجهون اتجاهات نطقية مناسبة لطبيعة البيئة التي يعيشون فيها ، ففضيل حركة على أخرى ليس أمراً مشتركاً بين جميع العرب : بل إن من يفضل الفتح في موضوع معين لا ينطق بالكسر فيه ، ومن يفضل الضم لا يستعمل الكسر كذلك ، ولنست المسألة فوضى يستعمل كل واحد ما يستعمل الآخر ، وهذا واضح في دراسة الفصحى والعاميات على سواء .

ولذا فإن التأمل في كتب اللغة والقراءات يلمح ما يهديه إلى التحليل الصحيح ففي بعضها ينسب الفتح أو الكسر أو الضم أحياناً إلى بعض قبائل العرب ، وقد تشير بعض تلك الكتب إلى أن هذا النطق أو ذاك من اللغات (اللهجات) ويلاحظ أن الضم نسب للقبائل البدوية كتميم وأسد وأهل البدية من العالية وبحد ، أما الفتح أو الكسر فهو لهجة أيضاً للقبائل الحضرية من أهل الحجاز .

وهذا الذى نقله تلك الكتب تؤيده قوانين علم الأصوات

الحديث كما ذكرنا من قبل في حديثنا عن تبادل الحركات في
اللهجات العربية .

ولعلنا لو تأملنا قراءة ﴿مَا أَنَا بِمُحْكِمٍ حَكْمٌ وَمَا أَنْتُمْ
بِمُصْرِخٍ﴾ (٢٢) «إبراهيم» نجد كيف يدور التحليل القديم في إطار
معيارى . والصواب أن توجهه في إطار لهجى .

قرئ (بمصرخى) بفتح ياء المتكلم ، وقد كسرها حمزة والأعمش ويحيى بن وثاب ، وحمدان بن أعين ، وجماعة من التابعين .
وأهل النحو يلحنون من قرأها بالكسر - حمزة ومن معه -
قالوا : وذلك أن ياء الإضافة (أى ياء المتكلم) إذا لم يكن قبلها
ساكن حركة إلى الفتح . تقول : هذا غلامي قد جاء - بفتح ياء
المتكلم - وذلك أن الاسم المضمر لما كان على حرف واحد ، وقد منع
الإعراب حركة بأخف الحركات ، كما تقول : هو قام ويجوز إسكان
الياء ، لشقل الياء التي قبلها كسرة ، فإذا كان قبل الياء ساكن
حركة - إلى الفتح لا غير مثل هدای ومحیای لأن أصلها أن تحرك
ولا ساكن قبلها فإذا كان قبلها ساكن صارت حركة لها لازمة لالتقاء
الساكين فتقول : (ما أنت بحصرخى) بالفتح ^(١) .

وكغيره من النحاة نقل الفراء القراءتين في (مصرخى) بالفتح
والكسر ، وسough قراءة الفتح بأن ياء المتكلم يجوز أن تسكن إذا تحرك
ما قبلها مثل كتابي وغلامي ، فإذا سكت ما قبلها ردت إلى الفتح
الذى كان لها مثل هدای ومحیای ، والياء من (مصرخى) ساكنة .
وياء المتكلم بعدها ساكنة فحركة قد كانت لها ، فهذا
مطرد في الكلام ، والياء المدغم فيها تفتح أبداً .

وبناء على هذه القاعدة المعيارية لاحظنا أنه نظر إلى قراءة كسر
الياء على أنها خارجة عن القاعدة وعددها وهما - على حد تعبيره -
يقول : (ولعلها من وهم القراء طقة يحيى ، فإنه قل من سلم منهم
من الوهم ، ولعله ظن أن الياء في (بمصرخى) خافضة للحرف كله ،
والياء من المتكلم خارجة من ذلك) .

وقد حاول بعض النحويين أن يوجهها - كذلك - في إطار

(١) المصدر السابق ص ٣٧٧ .

القواعد فقال : إن الياء حركت بالكرة للتخلص من التقاء الساكنين ، وأصله : (بمصر خين لى) حذفت النون للإضافة فالتفى ساكنان ياء الإعراب ، وباء الإضافة - وهي ياء المتكلم - وأصلها السكون . فكسرت للتخلص من الساكنين .

وقال أبو زرعة : وأما حمزة فليس لاحنا عند الخداق ، لأن الياء حركتها حركة بناء ، لا حركة إعراب . والعرب تكسر للتقاء الساكنين كما تفتح ^(١) .

ولعل هؤلاء النحاة قد تناسوا اللهجات العربية . وأنها تخضع للبيئات . وأن القواعد التي وضعوها قد صيفت - أحياناً - بعيدة عن النهج الذي ينبغي اتباعه ، واتجهت إلى غير الواقع ، فنطق ياء المتكلم مكسورة هنا لهجة لبعض العرب . وهم بنو يربوع . وإذا ثبتت صحة القراءة ، وكان لها سند لهجى لا يجوز الطعن فيها . وهذه القراءة بكسر الياء متواترة صحيحة . فالطاعن فيها غالط . والنفي لسماعها لا يدل على عدمها ، فمن سمعها مقدم عليه إذ هو مثبت .

فإذا انتقلنا إلى مجال آخر وهو حذف الحركات وإثباتها وجدنا أن بعض القراء يثبت حركة معينة في مكان معين على حين أن غيره يحذفها .

فقد ورد في بعض القراءات حذف الفتحة والألف ، كما نقل حذف الضمة أيضاً إذا توالت الحركات .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رَسُولًا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِيِّ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ ، قرأ (قال سلام) - بسين مفتوحة وألف جمهور القراء نافع وابن كثير ، وأبو عمرو وابن عامر

وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وخلف، وقرأ (قال سلم) بسین مكسورة وبلا ألف - يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعى وحمزة والكسائى ، وذكر عن النى عليه السلام أنه قرأ بها .

وقوله تعالى : ﴿ وَحِرَامٌ عَلَىٰ قُبْرِيَّةِ أَهْلِكَنَا هَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ قرأ الجمهور (حرام) - بفتح الحاء والراء والألف - وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائى والأعمش و (حرم) بكسر الحاء وسكون الراء بلا ألف .

وكان تحليل بعض اللغويين للقراءات هنا معيارياً أيضاً . فقراءاتنا حذف الألف في سلام وحرام أو ذكرها - في رأي الفراء - جائزتان وواردتان عن العرب ، فيقال : حل وحلال وحرم وحرام ، لأن التفسير جاء (سلمو عليه فرد عليهم) فمعنى سلم وسلام وحرم وحرام واحد ، وأشار الفراء - مع ذلك - إلى أن كلا الاستعمالين لهجة عربية ، فالقراءة بذكر الألف لأهل المدينة ، وهي الأفши : وكان الأنسب والأجور به أن يقرر أن الأمر ليس على سبيل الجواز بهذه الصورة الواسعة ، بل إنه محدود في إطار النطق الذي يلهم به فريق من العرب دون آخر .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ « النساء » ﴿ قرآنافع وابن عامر فيما) بغير ألف ، وقرأ الباقون (قياما) بـألف . فالواضح في هاتين القراءتين الاتجاه اللهجي ، فقياماً وقياماً لهجتان والمعنى واحد ، وهو ما يقيم شأن الناس ويعيشهم ^(١) .

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ فَآتَتْ أُكُلَّهَا ضِعَفَيْنِ ﴾ ^(٢)

(١) المصدر السابق ص ١٩١، ١٩٧.

« البقرة » ، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (أكلها) بسكون الكاف ،
وقرأ الآبقون بضم الكاف .

وقوله تعالى : ﴿ وَبَدَلْنَا هُمْ بِجَهْنَمِ جَنَّتِينِ ذَوَاتِي أَكْلٍ حَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سَدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ (٦٦) ﴿ سَبَا » قرأ (أكل) بضم الكاف
ابن عامر وعاصر وحمزة والكسائي وأبو جعفر ، والأعمش وخلف ،
وأبو عمرو ويعقوب ، واليزيدى والحسن ، وقرأها بسكون الكاف
نافع وابن كثير .

ولم يفكر الفراء فى توجيه قراءة (أكل) بضم الكاف
وسكونها ولكنه فكر فى توجيه تنوين (أكل) وعدم تنوينها ،
وجرى ذلك فى ذلك النحو للبرهنة على صحة التنوين وعدمه .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَتَخْذَنَا هَزْوًا ﴾ (٦٧) ﴿ « البقرة » قرأ حمزة وإسماعيل عن نافع (هزوا) ساكنة الزاي ، وقرأ
الآبقون بضمها .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَبَعُوا خُطُواتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُّبِينٌ ﴾ (٦٨) ﴿ « البقرة » قراء نافع وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر
والبزى (خطوات) بتسكنين الطاء ، والآبقون بضمها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُوَسِّلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدِي رَحْمَتِهِ ﴾ (٤٧) ﴿ « الأعراف » قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (نشراء)
بضم اللون والشين ، والآبقون بضم اللون وسكون الشين .

فقراءة (أكل) بتسكنين الكاف وضمها و (هزوا) بتسكنين
الزاي وضمها لهجتان التخفيف لتميم والتثقيل لأهل الحجاز ، فكل
اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم ، فمن العرب من يشقله ومنهم من

يخففه ، فمن خفف طلب التخفيف لأنّه استثقل ضمتيں في الكلمة واحدة ، المستعمل في العربية هو الضم في (خطوات) وقد تخفف ^(١) ، وكذلك من قرأ (نشرا) - بسكون الشين - قد خفف مثل (رسل) ^(٢) .

فبالإطار الذي تذكر فيه هذه القراءات والذى يجب أن يحتذى هو ما يوجه إليه من اختلاف البيئة والأحداث اللغوية المحيطة بها .

فاللماحظ من تتبع الدراسات اللغوية أن توالى الحركات (الصوائت) من لهجة المحجاز ، وأن التخفيف وحذف الحركات من لهجات بنى تميم وأسد وبعض نجد» ، وذلك يكشف عما تميل إليه البيئة الحضرية من التأني في النطق بحيث تعطى كل صوت حقه ، كما أن القبائل البدوية تميل إلى السرعة والاقتصاد في الجهد العضلي ، وهذا الحذف يوفر لهم ذلك ، وقد يحدث العكس أحياناً فيحذف بعض الحضريين الحركات ويثبتها بعض البدويين ، وهذا محمول على تأثير الفريقين أحدهما بالأخر ، وقد ذكر ابن جنى أن المحجازين يستبدلون كسرة الشين في عشرة المفردة بسكونها عند التركيب فقالوا : أحدى عشرة إلى تسع عشرة بكسر الشين - مع أنهم يسكنون في الإفراد وهم يعكسون في نظائره من (فخذ ونحوه) .

وباستعراضنا للقراءات الواردة في قوله تعالى : ﴿الصِّرَاطُ
الْمُسْتَقِيمُ﴾ «الفاتحة» ، نلاحظ تعدد النطق بكلمة (الصراط) ،
فهي بالصاد - عند أكثر القراء - وبالسين والصاد - عند ابن كثير -
وبهما وبالمضارعة بين الزاي والصاد - أى إشمام الصاد صوت الزاي

(١) المصدر السابق ص ١٠٤، ١٠٦، ١٢١، ١٢٠، ١٠٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٥، ٢٨٦ .

- عند أبي عمرو وحمزة - وبالزاي الحالصة - عند أبي عمرو - أيضاً - كما رواه الأصممي ^(١) .

وفي كتاب الحجة لأبي على الفارسي بيان لاحتجاج أبي بكر بن السراج لهذه القراءات المتعددة في الآية السابقة .

فقراءة الكلمة بالسين جاءت - في رأيه - على الأصل ، إذ إن السين هي الصوت الأساسي في هذه الكلمة والصاد بدل منه ، « ولا ينقل عن الأصل إلى ما ليس بأصل » ^(٢) .

وقراءة الصاد لها - أيضاً - وجه ، إذ هي أخف على اللسان لاتفاق الصاد مع الطاء في الاستعلاء والإطباقي .

وهو يرجع القراءة بالصاد على القراءة بالسين لهذا الانسجام الصوتي ، فالسين مستفلة منفتحة ، والطاء مستعملة مطبقة ، والانتقال بينهما صعب ، فلما قلبت السين صاداً زالت تلك الصعوبة وأمكن النطق بسهولة .

وقراءة الزاي لها وجهة أيضاً ، لاتفاق الزاي مع الطاء في المهر ، ولكنها - في رأيه - ضعيفة ، وروايتها عن أبي عمرو غير دقيقة . ولعل أذن الأصممي قد خانته في السمع الصحيح .

وكا قال : « إن الأصممي غير نحوى ، وأحسب أنه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة للزاي فتوهمها زايا » ^(٣) .

وقراءة المضارعة - عنده - تستند إلى مبدأ الخفة ، والبعد عن الالتباس ، يجعلها زايا حالصة ، أو صاداً حالصة .

(١) أبو علي الفارسي : الحجة في علل القراءات السبع . ط دار الكاتب العربي ١ / ٣٦
والبنا الدمشقي : إعاف فضلاء البشر من ١٢٣ :

(٢) أبو زرعة : حجة القراءات ط . بيروت .

(٣) أبو علي الفارسي : الحجة ١ / ٣٧ .

ولكنه يضعفها أيضاً ، لما في صورة النطق بها من صعوبة إذ
فيها (تكلف حرف بين حرفين ، وليس هو بحرف يبني عليه الكلم .
ولا هو من حروف المعجم) ^(١) .

ويأتى بعد ذلك احتجاج أبي على الفارسى لهذه القراءات
فيتفق مع صاحبه - ابن السراج - فى بعض الوجوه ، ويختلف معه
فى بعضها الآخر .

قراءة السين صحيحة ، وقراءة الصاد أقوى منها ، ويعلل أبو
على لذلك بما علل به ابن السراج مع زيادة في الإيضاح لظاهره
الانتقال الصوتي .

فالانتقال من السين إلى الطاء انتقال من المستغل إلى المستعمل .
وفي ذلك لون من صعوبة النطق على حين أن الانتقال من الصاد إلى
الطاء انتقال من مستعمل إلى نظير مستعمل آخر وذلك سهل .

وقد أورد لذلك نظائر قياسية كإبدال السين المستفلة صاداً قبل
الكاف المستعملة للتناسب ، وكمنع إمالة الألف في (واقد) ونحوها
لأنها مجاورة للكاف المستعملة بعدها ، والسبب في المنع كراهة أن
يصعدوا بالمستعمل بعد التسفل بالإمالة .

وإذا كان التصاعد أمراً صعباً فإن النزول من المرتفع إلى
المستغل أسهل ، وذلك واضح في أن العربي أجاز ذلك لسهولة على
اللسان فقال : قست وقوت بقاف مستعملة بعدها سين مستفلة
وأمال (قادر) ونحوها مما وقعت فيه الألف بعد حرف الكاف المستعمل
(لأنه الآن ينحدر بعد الإصعاد ، وهذا يستخف ولا يستشقل كما
استشقل عكسه) ^(٢) .

(١) المصدر السابق ٣٨ / ١ .

(٢) المصدر السابق ٣٨ / ١ .

.. وعلى هذا فإن إبدال السين صاداً يؤدي إلى تشاكل الصوتين وتجانسهما .

وينتسب أبو على إلى نقطة أخرى : كيف يترك الأصل وهو السين في (صراط) إلى ما ليس بأشد وهو الصاد ؟ .

ويجيز على هذا التساؤل بأن ذلك مبني على أصول كلام العرب . وليس مستغرباً ، إذ إنهم في مواضع أخرى تركوا ما هو أصل في كلامهم إلى ما ليس بأشد ، طلياً لاتفاق الصوتين إلا تراهم قالوا : شباء ونم بك ، فلم يبينوا النون التي هي الأصل في الشب ومن عامر لما أرادوا أن يوفقاً بين الصوتين .

ويضعف أبو على القراءة بالزاي بعدة نظائر قياسية : أولها : أن السين هنا نظير الصاد المتحركة التي لا يبدلها العرب زايا . فكلمة (صراط) في نظره شبيهة بكلمة (صدرت) . وكلمة (صدق) ونحوهما ، فالسين نظير الصاد ، والطاء نظير الدال ، وكما أن الصاد في الكلمتين الأخيرتين لا تبدل زايا لتحرركها فكذلك السين في (صراط) لا تبدل زايا لتحرركها .

ثانيها : بعد موقع السين عن موقع الطاء في الكلمة لوجود الفاصل بينهما - وهو الألف - مما يضعف القول بإبدال ، إذ الحاجز يمنع إبدالها زايا .

ونظير ذلك تحقيق الصاد وعدم قلبها زايا لوجود الفاصل بينها وبين الدال من حركة أو حرف ، مثل : صدق ومصادر كما ذكر سيبويه .

وكذلك الإدغام ، فالستقاريان إذا وقعا في كلمة واحدة ، وفصلت الحركة بينهما لم يدغما ، وذلك نحو (وتد) فكما لم يقو الإدغام ، ولم يكثرا مع حجز الحركة كذلك لا يقوى البديل مع الحركة .

أما قراءة المضارعة فيقويها أبو على باعتبارات معيارية .

أولها : أن وجود الفاصل يحسن المضارعة فالصاد في (صدق) و (مصدر) والصاد في (صراط) امتنع إخلاصها زايا ، ولكن ينطوي بها بين الصاد والزاي على سبيل المشاكلة .

ثانيها : نقل عن العرب أنهم يشربون الشين والجيم صوت الزاي - على سبيل المضارعة - إذا وقعتا قبل الدال في مثل : (أشدق) و (أجدر) فإشراب الصاد في (صراط) صوت الزاي أولى وأجدر ، فالصاد والزاي من مخرج واحد ، ومتقاربان في الصفات . على حين أن الشين أو الجيم والزاي متباعدة مخرجًا ، وإن تقاربتهما في بعض الصفات .

ثالثها : أن أهل مكة قرأوا بالمضارعة ، وقد وازن بينها وبين قراءة إخلاص الصاد وتحقيقها وأعمل فكره المعياري في الاحتجاج لاختيار الصاد . فالصاد الحالصة أولى من وجوه :

الأول : أن الصاد منقلبة عن السين ، وهذا نوع من الإعلال . فإذا ضرورة بها فقد أعلت مرة أخرى ، والعرب يكرهون إعلال حرفين متاليين ، ولذلك نلاحظ أنهم لم يحذفوا التون من بني النجار مع توالي التونات حيث كانت اللام قد أعللت بالقلب لكلا يتواли إعلان ، الحذف والقلب ، وإن كانا في كلمتين مختلفتين ، فإذا كره هذا النحو كان توالي إعلالين في حرف واحد أبعد .

والثاني : قياس على الإدغام ، فالمضارعة تشبه الإدغام في أنه تقريب الحرف الأول من الثاني ، وكما أن الصاد لا تدغم في الطاء لانتفاخ صوتها بذلك فكذلك لا ينبغي أن يضارع بها لأن هذه المضارعة في حكم الإدغام^(١) .

(١) ينظر في كل ما تقدم المصدر السابق ج ١ ص ٣٦ - ٤٢ بنصرف .

ونلاحظ من استعراض هذا الاحتجاج للقراءات المتعددة في (الصراط) ومقارنته باحتجاج ابن السراج السابق أن كلاً منها مبني على إعمال المقاييس المعيارية التي توصل إليها العلماء آنذاك وتحكموا بها في النصوص المروية ، ولم يميلوا إلى جانب الرواية والأثر بقدر ما كانوا يضربون في التواحي العقلية ، ومن هذا الاتجاه رأينا أن كلاً منها يضعف إحدى القراءات اعتماداً على هذا النهج دون الاعتبار للنقل والرواية . وكانت النتائج التي توصل إليها كل منها مختلفة لا بتنائها على اعتبارات منطقية بحتة ، فقد ادعى ابن السراج - بناء على مقاييس منطقية صرفة - أن الأصمعي لم يكن نحوياً . وأن ذاكرته قد خانته في السماع ، وأن تكلف حرف بين حرفين غير معروف في حروف المعجم ، والمناقشة الموضوعية تجعل هذا الاحتجاج ضعيفاً .

كما أن القول بأن الحرف بين الحرفين غير معروف في الأبجدية مبني على ما وصلت إليه الأبجدية العربية من رقى وفصاحة - بعد تهذيبها - ولم يلاحظ ابن السراج بقاء مثل هذه الحروف عند قبيل من العرب ، ولذا فإن تعقيبه بقوله - ولست أدفع أنه من كلام الفصحاء من العرب)^(١) يرد عليه .

ومعظم ما استند إليه أبو على من أصول ونظائر ليؤكد بها اطراد ظاهرة قلب أحد الصوتين إلى الآخر بعيد عن الاتجاه المنهجي في الاستدلال ، وكأنه يريد بذلك أن يجعل هذا الإبدال ظاهرة عامة يراها العرب جمیعاً ، ويسلكون مسالكها حتى إنها تجري وفق حكمتهم وما اقتضت طبيعتهم في كل مكان .

وذلك يجري في ذلك ما وضعه من أصول وقواعد يريدون لها الأطراد .

(١) المصدر السابق ٣٨ / ١

ولكن علم اللغة الحديث يبين أن هذه الاستعمالات المتعددة ليست شائعة عند العرب جميعاً، بل هي تعدد لألوان النطق وفقاً لاختلاف الناطقين، وما يناسب بيئاتهم التي يعيشون فيها. والمؤثرات الحضارية، والثقافية، والنفسية، وغيرها.

وفي إطار التحليل اللهجي للقراءات، والذى نجده ونعتضده نستطيع - بإذن الله - أن نحتاج لهذه الألوان المختلفة من القراءات فى ضوء البيئة العربية، وظروفها الاجتماعية.

فليست قراءة السين أصلاً، وقراءة الصاد فرعاً - كما تورهم المحتجون من اللغويين - إذ إن ذلك كان يتأتى لو أن الناطقين بالصاد هم الناطقون بالسين في عصرين متاليين مثلاً.

لكن الواقع أن السين جماعة، والصاد جماعة أخرى، والزاي وغيرها، والمضارعة لفريق غير هؤلاء، ولعلنا نلمح أن تلك جميعها لهجات من القصة المشهورة التي رواها الأصممعي، وهي قوله: اختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما بالسين، وقال الآخر بالصاد، فتحاكما إلى ثالث فقال: أما أنا فأقول: الزقر، فدل على أنها ثلاث لغات (لهجات) ^(١).

ونخلص من ذلك إلى أن الفكر القياسي الذي انتهجه بعض اللغويين والناحة القدامى لم يصل إلى المطلوب في تفسير القراءات، وأن وصلها باللهجات هو الحل العلمي المنهجي السليم.

وفي ضوء علم اللغة الحديث يمكن تحرير القراءات في الآية المذكورة.

فالمعروف أن العرب فريقيان: بدو وحضر، ولكل منها طرائق خاصة بالنطق، ويثبت علم اللغة الحديث أن البدو يميلون إلى

(١) ابن جنى: المختسب ٤/٢٦٩، ٢٨٣، والسيوطى: المزهر ١/٢٩٩.

الأصوات الواضحة أو الأكثـر وضـحاً ، عـلى حين أنـ الحـضـر يـمـيلـون إـلـى الأصـواتـ الخـافـةـ ، ولـذـا يـفـضـلـ الـبـدوـ الأـصـواتـ المـجـهـورـةـ ، أوـ المـسـتـعـلـيـةـ المـطـبـقـةـ لـشـدـةـ وـضـوحـهاـ وـعـلـوـهاـ المـنـاسـبـ خـلـاءـ الصـحـراءـ التـيـ يـضـيـعـ فـيـهاـ الصـوتـ مـاـ لـمـ يـكـنـ عـالـيـاـ ، عـلـىـ حـينـ يـفـضـلـ الـحـضـرـيـوـنـ الأـصـواتـ الـمـهـمـوـسـةـ أوـ الـمـسـتـفـلـةـ الـمـنـفـحـةـ لـنـاسـبـتهاـ خـفـضـ الصـوتـ الـلـازـمـ لـلـبـيـئةـ الـحـضـارـيـةـ ذـاتـ الـمـساـكـنـ وـالـجـدـرـانـ التـيـ تـحـجـزـ الصـوتـ ، وـتـنـقـلـهـ دـوـنـ أـنـ يـتـبـدـلـ ، فـلاـ تـحـتـاجـ إـلـىـ عـلـوـ الصـوتـ ، بلـ تـدـعـوـ إـلـىـ خـفـوـتـهـ .

وـتـنـقـلـ لـنـاـ كـتـبـ الـلـغـةـ اـسـمـاءـ بـعـضـ الـقـبـائـلـ التـيـ تـنـسـبـ إـلـيـهاـ تـلـكـ الـطـرـائـقـ الـنـطـقـيـةـ مـنـ اـسـتـعـمـالـ السـيـنـ أـوـ الصـادـ أـوـ الزـايـ أـوـ الـضـارـعـةـ .

وـقـدـ نـسـبـ أـبـوـ حـيـانـ ظـاهـرـةـ إـشـامـ السـيـنـ صـوتـ الزـايـ إـلـىـ قـبـائـلـ قـيـسـ ، وـقـلـيـهاـ زـاـيـاـ خـالـصـةـ إـلـىـ قـبـائـلـ عـذـرـةـ^(١) ، وـكـعبـ ، وـبـنـيـ الـقـيـنـ . وـقـيـسـ مـعـرـوفـةـ بـبـداـوـتـهاـ ، وـعـذـرـةـ قـبـيـلـةـ اـشـتـهـرـتـ بـالـعـشـقـ ، وـهـيـ بـطـنـ مـنـ قـضـاعـةـ وـهـمـ بـدـوـ ، وـكـعبـ بـطـنـ عـامـرـ بـنـ صـعـصـعـةـ مـنـ هـواـزـنـ ، وـكـانـتـ تـسـكـنـ الـعـرـوـضـ مـجـاـوـرـةـ لـبـنـيـ نـعـيمـ ، وـبـنـوـ الـقـيـنـ بـطـنـ مـنـ بـنـيـ أـسـدـ^(٢) ، وـهـيـ بـدـوـيـةـ عـلـىـ مـاـ نـعـرـفـ .

وـلـعـلـ ظـاهـرـةـ إـلـطـبـاقـ أـيـضاـ تـنـسـبـ إـلـىـ أـهـلـ الـبـادـيـةـ حـيـثـ عـرـفـنـاـ أـنـ صـوتـ إـلـطـبـاقـ فـيـهـ مـنـ الـوـضـوحـ مـاـ يـنـاسـبـ الـبـيـئةـ الصـحـراـويـةـ^(٣) .

وـمـنـ خـلـالـ هـذـاـ المـنـهـجـ الـذـىـ اـتـسـمـ بـالـتـحـكـمـ الـعـقـلـىـ وـفـقـ ماـ صـاغـهـ الـلـغـويـوـنـ وـالـنـحـاـةـ مـنـ مـبـادـىـ وـمـحـاـولـتـهـمـ أـنـ يـدـخـلـوـاـ الـلـهـجـاتـ

(١) أـبـوـ حـيـانـ : الـبـحـرـ الـغـبـطـ / ١٥٤ .

(٢) الـقـلـقـشـنـدـىـ : نـهـاـيـةـ الـأـرـبـ فىـ مـعـرـفـةـ أـنـسـابـ الـعـربـ صـ ٧١ ، ٣٥٩ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ . وـالـهـمـدـانـىـ : صـفـةـ جـزـيـرـةـ الـعـربـ صـ ١٥٩ .

(٣) دـ. عـبـدـهـ الرـاجـحـىـ : الـلـهـجـاتـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ الـقـرـاءـاتـ الـقـرـآنـيـةـ صـ ١٥٠ .

في إطارها كانوا يقفون من بعض القراءات موقفاً بعيداً عن المنهج العلمي الموضوعي ، فرموها بالغلط - في بعض الأحيان ، ولو كانت القراءة صحيحة الرواية أو سبعة .

٢ - إثبات صلة ضمير الغائب المذكر وحذفها :

فقد وردت بعض القراءات بحذف صلة الضمير (الهاء) واوأها كانت أو ياء .

فمن قراءات حذف الواو - مع اختلاس ^(١) حركة (الهاء) وإسكانها :

١ - ﴿ وَإِنْ تُشْكِرُوا يَرْضُهُ لَكُمْ ﴾ ^(٢) « الزمر » .

قرأ حمزة ونافع ويعقوب وحفص باختلاس ضمة الهاء ، وقرأ السوسي بإسكانها ^(٣) .

٢ - ﴿ أَيْحَسْبُ أَنْ لَمْ يُرِهُ أَحَدٌ ﴾ ^(٤) « البلد » .

قرأ يعقوب وابن وردان باختلاس ضمة الهاء والباقيون بإثبات الواو ^(٥) .

٣ - ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ ^(٦) « طه » .

قرئ (نحشره) بإسكان الهاء .

ومن قراءات حذف الياء مع اختلاس الحركة وإسكانها :

٤ - ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمِنَهُ بِقِنْطَارٍ يُؤْدِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمِنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْدِهِ إِلَيْكَ ﴾ ^(٧) « آل عمران » .

(١) الاختلاس : أن يأتي القارئ بثلثي الحركة ولا يكملها . شرح الضباع على الشاطبية ص ١٩٢ .

(٢) البنا الدمياطي : الإنخاف ٣٧٥ وابن الجوزي .

(٣) البنا الدمياطي ، الإنخاف ٤٤٩ وابن الجوزي : النشر ٤٠١ / ٢ .

قرأ قالون ونقل عن هشام - مع الخلاف - باختلاس كسرة
الهاء ^(١).

وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بإسكانها ^(٢).

٤ - **وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتَهُ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ
نُؤْتَهُ مِنْهَا** ^(٣) **«آل عمران»**.

قرأ يعقوب وقالون باختلاس كسرة الهاء.

وقرأ أبو عمرو وحمزة وهشام وأبو بكر بإسكانها ^(٤).

٥ - **فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ** ^(٥) **«النمل»**.

حکى اختلاس كسرة هاء (ألقه) عن أبي عمرو ، وقرأ
بالاختلاس - أيضاً - قالون وهشام ، فيما نقل عنه مع الخلاف ،
والحلواني .

وقرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم بالإسكان .

وقرأ الباقون بإثبات الياء ^(٦).

والمعروف أن هاء الضمير المذكر يلحق بها واو أو ياء زائدة صلة
لها كما تزداد الألف في المؤنث في مثل قوله : ضربتها ومررت بها
وضربته ليستوى ضربته المذكر والمؤنث في باب الزيادة ^(٧).

وقد تمحذف هذه الصلة حسب اتجاهات القبائل ، ويتوقف ذلك
على ما يسبقها من حروف وحركات أو سكون .

(١) البنا الدمياطي : إنحاف فضلاء البشر ١٧٦.

(٢) أبو زرعة : حجة القراءات ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٣) البنا الدمياطي : إنحاف فضلاء البشر ١٧٩ وأبو حيان : البحر الحبيط ٧١/٣ .

(٤) البنا الدمياطي : إنحاف فضلاء البشر ٣٣٦ وأبن الجزرى : النشر ٢ / ٣٣٧
وأبو حيان : البحر ٧ / ٧٠ .

(٥) سيريه : الكتاب ٢ / ٢٩١ وأبو زرعة ، حجة القراءات ١٦٦ ، ١٦٧ .

فإذا سبقت بحرف لين ؛ ألف - واو - ياء ساكنة) فبعض العرب يحذف صلة الضمير (الهاء) في حال الوصل . وبعضهم يثبتها ويرى سببويه أن الأرجود الحذف ^(١) على حين يرى البرد أن إثبات الواو أو الياء صلة للضمير عربي حسن ، وأنه هو الأصل ^(٢) وهذا في مثل قوله : يداه تحودان بالخمر - أكرمهه فإنه جدير بالإكرام - عليه ثوب قشيب .

وبحري على ذلك القراءة في قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ^(٣) ﴾ « الإسراء » ^(٤) وَشَرَوْهُ بِشَمْنٍ بِخَسٍ ^(٥) ^(٦) « يوسف » ^(٧) إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث ^(٨) ^(٩) « الأعراف » .

ويعلل اللغويون حذف صلة الهاء بأن قبلها حرف لين وهي خفية وبعدها يقع حرف لين ، فكرهوا اجتماع حرفين ساكنين كلاهما لين وليس بينهما إلا حرف خفي .

وإن سبقت بحرف ساكن غير لين فالأرجود عند سببويه إثبات صلة الهاء ، والأرجود عند البرد الحذف ، وذلك في مثل أصواتهجائحة ، قوله تعالى مِنْهُ آيَاتٌ مُحَكَّمَاتٌ ^(١٠) ^(١١) « آل عمران » . وقد عللوا بذلك أيضاً بما عللوا به لسابقه ، وهو أنهما كرهوا حرفين ساكنين بينهما حرف خفي .

وإن سبقت الهاء بحرف متحرك ، فالأرجود إثبات صلتها كما تثبت الألف مع المؤنث .

وحذف صلة الضمير - مع إبقاء الحركة واحتلاسها أو مع حذف الحركة وإسكان الضمير - يعده هؤلاء اللغويون - كسببويه والبرد - ضرورة لا تجوز إلا في الشعر .

(١) سببويه : الكتاب ٢/٢٩١ .

(٢) البرد : المقتضب ١/٢٦٦ .

ويعلل المبرد للحذف مع اختلاس الحركة بأن الشعراء يفعلون ذلك لأن الصلة واوا كانت أو ياء - ليست بأصل ، وإنما هي زائدة فيحذفونها كما يحذفون سائر الزوائد ، ومن ذلك قول الشاعر :

رماله من مجد تليد وما له من الريح حظ لا الجنوب ولا الصبا
وحذف الحركة وإسكان الضمير يعد من أشد الضرورات ،
وجاز ذلك أيضاً لأنها زيادة ، كما في قول الشاعر :

فظلت لدى البيت العتيق أخيله ومطواى مشتاقان له أرقان
ويتفق ابن جنى مع العالمين السابقين في اعتبار حذف صلة
الباء ، واختلاس الحركة ضرورة كما في قول الشماخ :

له زجل كأنه صرت حاد إذا طلب الوسيقة أو زمير
فيطبق المنهج العقلى المعيارى حين يقول :

ينبغي أن يكون ذلك ضرورة وصنعة لا مذهبأ لغة ، لأن لا
تعلم رواية حذف هذه الواو وإبقاء الضمة قبلها لغة . وكذلك يجب
عندى وينبغي ألا يكون لغة لضعفه في القياس ، ووجه ضعفه أنه
ليس على مذهب الوصل ، ولا مذهب الوقف ، أما الوصل فيوجب
إثبات واوه (كلفيته هو أمس) وأما الوقف فيوجب الإسكان
(كلفيته) فيجب أن يكون ذلك ضرورة للوزن لا لغة .

وأنشدنى الشجرى لنفسه :

وإنما ليروعى فى الخوف سوانا كأنه لم يشعر به من يحاربه
فاختلس ما بعد هاء (كأنه) ومطل ما بعد هاء (بهى) ،
راختلاس ذلك ضرورة وصنعة على ما تقدم القول به .

بيد أن ابن جنى اعتبر حذف صلة الهماء وإسكانها لغة ، لأنها
سمعت ، ووصل ذلك إلى علمه فقد نقل بيت يعلى الأزدى ، وهو :

فظللت لدى البيت العتيق أخيه .. إلخ .

ثم قال : فهاتان لفتان أعني إثبات الواو في (أخيه) وتسكين الهاء في قوله (له) لأن أبيا الحسن زعم أنها لغة لأزيد السراة ، وإذا كان كذلك فهما لفتان ، وليس إسكان الهاء في (له) عن حذف لحق بالصنعة الكلمة لكن ذلك لغة ^(١) .

والتحويون لعدم درايتهم - أحياناً - باللهجات أو تناسيمها يضعون النصوص الواردة تحت مقاييسهم ويخلطونها لها فإذا اتفقت معها أحازوها وإلا منعوها ، وحدروا من استعمالها .

فحذف صلة الضمير - بعد الحرف المتحرك - قد اعتبروه ضرورة لا تخوز إلا في الشعر ، وابن جنى لما لم يثبت عنده اختلاس الحركة على أنه لغة ضعفه في القياس ، على حين أحاز إسكان الهاء لأنه نقل عن الأخفش أنه لغة لبعض العرب .

ومن هذا المنطلق وجدنا بعض اللغوين والحاة القدامي يحيفون على بعض القراءات الواردة بالاختلاس وبالإسكان للضمير بعد الحرف المتحرك ، فوجدناهم يرمونها بالغلط ، لأنهم جعلوا ذلك من باب الضرورات الشعرية التي لا تخوز في النثر ، ومن باب أولى - عندهم - لا تصح في القرآن .

وبهذا أنكروا قراءات متواترة أو سعية ، منها بعض القراءات السابقة .

فهذا هو الزجاج قد غلط أبو عمرو فيما روى عنه من كسر هاء الضمير في (فالقه) مع اختلاس الحركة ، أو مع إسكانها ، وكذلك في كل ما أشبهه من قراءات في مواضع أخرى .

(١) ابن جنى : الخصائص ١ / ٣٧٠ ، ٣٧١ .

وفي قراءة **يرضه لكم** (٧) « الزمر » باختلاس حركة
الهاء - قال أبو حاتم : هو غلط (١) .

وهذا التغليط مبني على تحكيم النهج النحوي فيما يستعمله
العرب من طرق صوتية خاصة .

ولعل سيبويه والبرد عدا ذلك من باب الضرورة التي لا تجوز إلا
في الشعر لأنَّه لم يصلهما أنها لهجات كما وصلهما ذلك عن حذف
الصلة إذا كان ما قبل الهاء ساكناً .

ومن هنا وجدنا ابن جنى يصرح بأنه لا يعلم ذلك ، فلم يصله
أن اختلاس الحركة مع حذف الصلة لغة لأى قبيل من العرب .

وأنا أعجب منه لأنَّه نقل شعراً لابن الشجري - وهو أعرابي من
عقيل - وقد ورد عنهم أنَّهم يختلسون حركة الضمير فكيف لم
يتبَّه ابن جنى لذلك ؟

فبعض العلماء نقل لنا أن اختلاس الحركة وإسكان هاء الضمير
لهجة بنى عقيل وكلاَب في مثل هذه الحالة التي قرر السابقون أنها
ضرورة . قال الكسائي : سمعت أعراب عقيل وكلاَب يقولون :
لربِّه لكتُود (٦) « العadiات » بالجزم و (لربِّه لكتُود) بغير
تمام . وله ولَه مال ، وغير عقيل وكلاَب لا يوجد في كلامهم اختلاس
ولا سكون في (له) وشبيهه إلا في الضرورة (٢) .

وقد أجاز ذلك الفراء وحكي أنه لغة لبعض العرب (٣) ، وذهب
ابن جنى ينقل عن أبي الحسن الأخفش أن إسكان الهاء لغة لأرد
السراة .

(١) أبو حيان : البحر ٧/٤١٧ .

(٢) المصدر السابق : . ٤٩٩، ٥٠٠ .

(٣) الفراء : معانى القرآن ١/٢٢٣، ٢٢٤ .

ونقل أبو حيان ذلك أكثر من مرة^(١) ومن هنا نعى على الزجاج تغليطه لما نقل عن أبي عمرو من اختلاس حرفة الهاء وإسكنانها لأن القراءة سبعية ، وهي تجرى وفق إحدى لهجات العرب ، قال : (وما ذهب إليه أبو إسحاق من أن الكسر غلط ليس بشيء ، إذ هي قراءة السبعة ، وهي متواترة وكفى أنها منقوله عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء فإنه عربي صريح ، وسامع لغة وإمام في النحو ، ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا)^(٢) .

ونرى أن التهجم على القراءات ، وعدم الاعتداد بشقة النقل والرواية منهج غير سديد ، لأنه إذا ثبتت صحة الرواية والنقل فينبغي أن تخضع القوانين والقواعد لها لا العكس ، فإذا ثبت أن ذلك من لهجات العرب كان النقد غير بناء .

وليس القضية قضية قياس منطقى ، لأن اللغة ليست منطقاً بل هي ظاهرة اجتماعية .

وعلم اللغة الحديث يفسر ظاهرة إثبات صلة الضمير وحذفها وتنوع اللهجات في ذلك .

فالمعروف أن العرب الحضريين يصلون إلى التأني في النطق بإعطاء كل صوت حقه ، فإذا كان الضمير - الهاء - موصولاً بزائدة من واو ، أو ياء أثبتوها ، على حين أن قبائل البدارية تميل إلى سرعة النطق بالأصوات ، وهذا يؤدي إلى الحيف على بعض أصوات اللين بحذفها تارة ، وتقصيرها تارة أخرى .

وبنوا عقيل وكلاب من القبائل البدوية التي تميل إلى اختصار أصوات اللين ولا تأبه بالتأني في النطق .

(١) انظر الموضع السابق وانظر أيضاً : ٢٨٧ / ٦ .

(٢) أبو حيان : البحر ٢ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

والمعروف أن أصوات اللين عرضة للتغيرات كثيرة في اللهجات العربية المختلفة ، ولما كثر فيها هذا النوع من التغيرات جأ علماء اللغة إلى وضع القوانيين الضابطة لطريقة نطقها ، وإعطائهما حقها من المد وغيره ، ولا سيما عند مجاورتها لأصوات يخشى عليها أن تذوب فيها ، أو تفقد بعض خصائصها الصوتية ، ونحن نلاحظ - في اللهجات الدارجة - تغيراً واسع النطاق في أصوات اللين جرء عليها عدم الاهتمام بها وتركها خاضعة للتطور .

٢ - حركة هاء ضمير الغائب المذكر :

وهذه قراءة ابن عامر ﴿ أرجه ﴾ (١١٢) ﴿ الأعراف ﴾ بالهمز ركسر الهاء من غير إشباع تعرض لهجوم النحاة عليها .

« قال أهل النحو : هذا غلط لأن الكسرة لا تجوز في الهاء إذا سكن ما قبلها نحو (منهم) بكسر الهاء ، وإنما يجوز كسر الهاء ، إذا كان ما قبلها ياء أو كسرة فتكسر الهاء من أجلهما (١) .

ونحن نعلم أن هاء ضمير الغائب تحرك بالضم إذا لم تسبق بباء ساكنة أو كسرة مثل (له - يعلمه - منه) ونحو ذلك ، فإذا سبقت بباء ساكنة أو كسرة فللعرب فيها طريقتان ، فبعضهم يبقيها على أصل الضم ، وهم الحجازيون فيقولون عليه وبه ، وقرئ بها في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْفَنِي بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ ﴾ (١٠) ﴿ الفتح ﴾ ، ﴿ فَخَسَفَنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ (٨١) ﴿ القصص ﴾ ، فقال ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾ (١) ﴿ طه ﴾ .

وبقية العرب يكسرون الهاء لمناسبة الباء والكسر فيقولون : عليه - به .

(١) أبو زرعة : حجة الفراءات ٢٨٩ .

وبناء على هذا فإن اللهجات تتعهد فيما سبق بباء ساكنة أو كسرة .

وربما كانت هناك لهجات فيما هو ساكن من غير الياء مثل (منه) ويفيد ذلك القراءة التي معنا (أرجئه) لكن النحويين يجعلونها من باب الغلط .

وبعضهم يفسرها بأن كسرة هاء الضمير ليست محولة عن ضميتها وإنما هي كسرة التخلص من التقاء الساكين ، فقد سكتها القارئ وفقاً لبعض اللهجات التي تمحذف صلة الضمير والهمزة الساكنة قبله فاضطر إلى تحريك الهاء بالكسر للتخلص من التقاء الساكين ^(١) .

ولكن لماذا يذهبون إلى أن القارئ سكن أولأ ثم تخلص بالكسر ؟ وما الداعي له إلى ذلك ؟ ألم يكن من الممكن أن يبقى الضمة طالما أنه يريد التحرير ؟

ولماذا لا تعد هذه القراءة دليلاً لورود كسر هاء الضمير عن العرب إذا سبقت بساكن غير الياء ؟ إن هذا أولى من مثل هذه التخاريج التي لم تكن في ذهن القارئ حال قراءته ، ولا يمكن أن تطرأ في ذهن عربي ينطق بفطنته .

ويظهر أن بعض النحاة كان يعتبر القراءة اجتهاداً ورأياً ، فهذا القراء يعرض لقراءة حمزة في قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ وَلَيْتَهُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَا جِرُوا (٧٧) ﴾ « الأنفال » - بكسر الواو في ولایتهم - ثم يقول : « يريد من ميرائهم ، وكسر الواو أعجب إلى من فتحها لأنه إنما يفتح أكثر ذلك إذا كانت في معنى (نصرة)

(١) المصدر السابق : ٢٨٩ - ٢٩٣ .

قال : فكان الكسائي يفتحها ، ويذهب بها إلى النصرة . ولا أراه
علم التفسير «^(١)» .

فالفراء بفضل الكسر ، ويتهم الكسائي بعدم المعرفة بعلم
التفسير مما أوقعه في هذا الاختيار ، وكأن الأمر جائز له أن يختار هذا
أو ذاك دون رواية مأثورة ، وليس الأمر كذلك .

٤- تخفيف مضارع «رأى» وأمره :

ولقد قرئ الفعل (أرنا) - بسكون الراء - في هذه الآيات :
 «أَرَنَا مَنْاسِكَنَا» ^(٢٦) «البقرة» - «أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً» ^(٣٣) «
 النساء» - «أَرَنَا الَّذِينَ أَصْلَانَا» ^(٢٩) «فصلت» .

وكذلك الفعل (أرني) في قوله تعالى : «أَرِنِي كَيْفَ تُحْبِي
الْمَوْتَى» ^(٢٦٠) «البقرة» و «أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ» ^(٤٣) «الأعراف» .
 فرأها بسكون الراء ابن كثير ويعقوب ، وفي بعضها قرأ أبو
 بكر وابن ذكوان وورد الخلاف في ذلك عن أبي عمرو .. وقرأ الباقيون
 بكسر الراء في جميعها ^(٢) . ومثلها الفعل (تر) ^(٢) .

قال الزمخشري عن هذه القراءة إنها استرذلت ، لأن الكسرة
 منقوله من الهمزة الساقطة ، وهي دليل عليها فاستطاعتها إيجاد ^(٤) .
 وتعليق الزمخشري لرأيه سبق به ابن جنى في حديثه عن قراءة
 أبي عبد الرحمن «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» ^(٥) .

(١) المصدر السابق : ٣١٤ .

(٢) ابن الجوزي : النشر ٢ / ٢٢٢ ، والبنا الدمياطي : الإنحصار ١٤٨ .

(٣) انظر البقرة : الآيتين ٢٤٣، ٢٥٨ والنساء الآيتين ٤٣، ٤٩ وإبراهيم الآية ١٩
 والغيل الآية ١ .

(٤) الزمخشري : الكشاف ١ / ١٨٨ .

« الفيل » قال أبو الفتح : هذا السكون إنما بابه الشعر لا القرآن لما فيه من استهلاك الحرف والحركة قبله ^(١) .

وذكر أبو علي الفارسي أن بعض الناس أنكر القراءة بإسكان الراء في (أرنا) ونحوها ، من أجل أن الكسرة تدل على ما حذف فيصبح حذفها . ثم رد هذا الإنكار والتمس لصحة القراءة وجهاً مناسباً أيضاً فقال : « ما قاله هذا القائل - يعني منكر القراءة - ليس بشئ ألا تراهم أدغموا في ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ^(٢) « الكهف » . فالالأصل (لكن أنا) ثم نقلوا الحركة وحذفوا ثم أدغموا ، فذهب الحركة في (أرنا) ليس بدون ذهابها في الإدغام » ^(٣) .

والواقع أن التعليل النهجي لهذه القراءة يقوم على ربطها باللهجات العربية ، لا على هذه الوجوه القياسية التي فرضها اللغويون والنحاة ، وجعلوها أساس أحكامهم ، حتى أنكر بعضهم هذه القراءة ، وهي متواترة منقولة عن القراء الموثوق بهم .

في هذا الطعن غير لائق ، ولا سيما إذا عرفنا أن بعض العرب كبني تميم يميلون إلى التخفيف بحذف بعض الحركات المترالية كما في فخذ وكتف ورسل .

وأكثر لغات العرب - كما يقول ابن جنى - تخفف المضارع والأمر من الفعل (رأى) بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء قبلها على عادة التخفيف في نحو ذلك ^(٤) .

وزادت بعض القبائل هذا التخفيف بإسكان الراء على حد فخذ وكتف ، وقد نقل أبو حيان أن هذا من لغة بني تميم ^(٤) وله شواهد عربية تدل عليه كقول الشاعر :

(١) ابن جنى : الختب ٢ / ٣٧٣ .

(٢) أبو حيان : البحر ١ / ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٣) ابن جنى : الختب ١ / ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٤) أبو حيان : البحر ٨ / ٥١٢ .

أرنا إداة عباد الله غلؤها من ماء زمزم إن القوم قد ظمئوا
وأنشد أبو زيد في نوادره :

قالت سليمى اشترا لنا دقيقا واشترا فجعل خادما لبيقا^(١)
وعلم الأصوات الحديث يفسر هذا الظاهر الصوتية التي تميل
إليها قبائل الـادية ، فالمعروف أن الـادـوـيـلـون إلى عدم النطق
بالـحـرـكـاتـ الـمـتـوـالـيـةـ وبـخـاصـةـ إـذـاـ كـانـتـ مـخـتـلـفـةـ من فـسـحةـ وـكـسـرـةـ
وـنـحـوـهـمـاـ فـيـخـفـفـوـنـ ذـلـكـ بـإـسـكـانـ الوـسـطـ مـنـهـ ، ولا بـأـسـ أـنـ تـنـسـبـ
تـلـكـ الـظـاهـرـةـ لـبـنـىـ تـمـيمـ ، ولا دـاعـىـ إـلـىـ قـيـاسـهـ عـلـىـ الإـدـغـامـ كـمـاـ فـعـلـ
أـبـوـ عـلـىـ . ولا عـلـىـ إـجـرـاءـ الـوـصـلـ مـجـرـىـ الـوـقـفـ وـنـحـوـ ذـلـكـ مـاـ يـحـاـوـلـ
الـنـحـاـةـ رـبـطـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ بـهـ ، فـكـلـ ذـلـكـ بـعـيـدـ عـنـ التـفـسـيرـ الـحـقـيقـيـ
لـطـرـيـقـ النـطـقـ الـعـرـبـىـ .

٥ - السكون والحركة في الصوامت الحلقية :

ولنتأمل بعض صور التسكين والحركة في الصوامت الحلقية
وكيف يحاول اللغويون تفسيرها بمنطقهم الخاص بعيد عن المنهج
السوى .

ففي قوله تعالى : ﴿مَنِ الْضَّانُ اثْنَيْنِ وَمَنِ الْمَعْزُ اثْنَيْنِ﴾^(٢) «الأنعام» ، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (من المعز)
بفتح العين ، وقرأها الباقيون ساكنة العين .

ونلاحظ هنا أن الفتح جاء مع حرف العين في (المعز) ولم يجيء
مع الهمزة في (الضأن) وهذا جعل بعض علمائنا القدامي يعتبرون
أن تسكين العين هو الأصل وأن الفتح فرع عنه ، يقول أبو زرعة :
الأصل تسكين العين لأنه جمع (ماعز) مثل : تاجر وبحر ، وصاحب

(١) ابن جنى : المحتسب ٢ / ٣٧٢ وأبو حيان : البحر ٢ / ٢٤٩.

وصحاب ، وحجتهم إجماع الجميع على تسكين الهمزة في (الضأن)
وهو جمع (ضائن) كما عز .

ويعللون لعدم القراءة بفتح همزة (الضأن) بقولهم : « إن
الهمزة أثقل من العين ، لأنها تخرج من أقصى المثلث ، وتحريكها أثقل
من تحريك العين ، ولذلك فرق بينهما »^(١) .

وهذا كلام غير واقعى ، فاعتبار التسكين أصلاً ، والفتح فرعاً
غير سديد ، لأن الأصالة والفرعية لا تتأتى إلا عند طائفة واحدة من
العرب في عصرين متاليين ، والثابت تاريخياً ولهجياً أن الفتح لبني
عقيل وأضرابهم .

يقول ابن جنى : (لقد رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيه
يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً لولا حرف المثلث ، وهو قول بعضهم
نحوه يريد نحوه ، وهذا ما لا يتوقف في أنه أمر راجع إلى حرف
المثلث ، لأن الكلمة بنيت عليه أبنته)^(٢) .

وأبو حيان ينسب تلك الظاهرة إلى بعض بنى بكر بن وائل^(٣)
وتشتبه كتب البلدان أن بنى عقيل كانوا يسكنون البحرين^(٤) وأن
بني بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة إلى البحرين^(٥) ومن هذا
تفهم (سر التشابه في اللهجة بين القبيلتين)^(٦) .

فليس الفتح فرعاً عن التسكين كما يقولون .

والتعليق لعدم تحريك الهمزة بأنها أثقل من العين غير مسلم ،

(١) أبرز رزة : حجۃ القراءات ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٢) ابن جنى : الحنفی ١٦٧، ١ .

(٣) أبو حيان : البحر ٢/٤٧ .

(٤) القلقشندي : نهاية الأرب ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٥) البسطاني : صفة جزيرة العرب ص ١٦٩ والقلقشندي : نهاية الأرب ١٧٨ .

(٦) د/ عبد الرافعى : اللهجات العربية ص ١١٣ .

فإن أبا زرعة ينقل أن التحرير جائز فيها لأن كليهما (العين والهمزة) من حروف الخلق ، والعرب تفتح إذا كان في الكلمة حرف خلقى ساكن مثل : النهر والنهر والزهر والطعن والطعن .

ومع هذا فإن إطلاقه الفتح عند العرب دون تحديد لبعضهم يقتضى أن الأمر جائز ، فيسكن حرف الخلق أو يفتح عند العرب جميعاً . مع أن الواقع غير ذلك ، فكل منهما لقبيل من العرب كما عرفت .

وهذا يؤكد عدم دقة المنهج المعياري في تخليل القراءة والنظر إليها .

ويثبت علم الأصوات الحديث ما أثبته علم الأصوات القديم - من حب حرف الخلق للفتحة ، قال ابن جنی - في التعليل لقراءة « بالبخل » « الحديد » بفتح الباء والخاء - : (لابعد أن تكون الخاء لكونها حرفان حلقيان يفتح ما قبلها كما تفتح هي نفسها فيما كان ساكناً من حروف الخلق نحو قولهم في الصخر الصخر)^(١) .

ويقول المحدثون : « إن حرف الخلق بعد صدوره من مخرجه يحتاج إلى اتساع مجراه في الفم ، ولذلك ناسبه من أصوات اللين ، أكثرها اتساعاً وهو الفتح »^(٢) .

٦ - تحقيق الهمز وتسهيله :

ويعلل اللغويون والباحثون بعض الظواهر الخاصة بتحقيق الهمز وتسهيله تعليلاً معيارياً لا يتسع والمنهج اللهجي المطلوب لتفسير القراءات وبيان اتجاهاتها .

(١) ابن جنی : المختسب ١/١٦٧ .

(٢) د. أنيس : في اللهجات العربية ٤٥٨ ص ٢ .

ففي سورة قريش ﴿ لِإِلَافِ قُرَيْشٍ ۖ إِلَافِهِمْ ۚ ۲﴾
« قريش » قرأ يحيى عن أبي بكر : (إللافهم) - بهمزتين الثانية
منهما ساكنة - وروى عن الأعمش : (إيلافهم) بهمزتين مكسورتين
بعدهما ياء .

ولقد حكم النحويون المقاييس المعيارية في هاتين القراءتين
فقالوا : إن تحقيق الهمزتين في (إللافهم) لا وجه له .

وذلك لأن القاعدة تقول : إذا اجتمعت همزتان في أول الكلمة
وال الأولى منها متحركة ، والثانية ساكنة ، فلبت الثانية مدة من
جنس حركة ما قبلها ، مثل : آمن - ألف - إيمان - إيلاف - أمن .

وأكثر منه بعدها - في نظرهم - ما روى عن الأعمش (من
تحقيق الهمزتين وزيادة ياء بعدهما) لأنه حق الهمزتين وأحق ياء لا
مذهب لها ولا وجه .

وقد جرت بعض المحاولات لتفسير تحقيق الهمزتين في هاتين
القراءتين بأنه على سبيل التشبيه بهمزة الاستفهام وهمزة الضمير
المتلقين في (أنت ؟) ووجه الشبه أن الثانية منها أصلية . والأولى
داخلة عليها ، وليس بأصل ، فال المصدر (إللافهم) أصله من الفعل
(ألف) دخلت همزة في أول المصدر لم تكن موجودة من قبل (١) .

واعتراض النحويين وعلماء الصرف قائم على أساس القواعد
التي وضعوها ، ولو رجعوا إلى طبائع العرب في الهمز لوجدوا أن
بعضهم يهمز ، ويبالغ في الهمز - أحياناً - إلى هذا الحد وغيره ،
وهذا عند أصحاب الطباع البدوية ، وزيادة الياء - كما يحكى ابن
الجزرى « على لهجة المشبعين من العرب الذين يقولون : الدرافيم

(١) أبو زرعة : حجة القراءات ص ٧٧٣ ، ٧٧٤ .

والصيارات - في الدرارم والصيارات - وليست ضرورة بل هي لهجة مستعملة^(١).

فإذا أتت بعض القراءات بذلك فلا بأس من الاعتداد به ، وقبوله . أما أن تحكم القواعد في القراءات فينسب إليها الضعف خروجها على قواعدهم فهذا لا ينبغي أن يكون ، بل يجب أن توضع القواعد وفقاً للقراءات الثابتة الرواية .

واللغويون - في بعض الأحيان - يرمون العرب بالغفلة وعدم الحكمة كما نلحظ ذلك عند ترجيحهم قراءة^(٢) وكشفت عن ساقيها^(٣) « النحل » - بهمز (ساقيها) فيدعون أن العرب تهمز ما لا يهمز تشبيها بما يهمز ، فالكلمات (كأس - يأس - ساق) وزنها واحد . ولذا يشتبه بعضها ببعض ، فيهمزنها جمِيعاً ، مع أن الواجب التفريق بين ما يستحق الهمزة وما لا يستحقه - والعرب تقول : حلات السوق - والأصل حلية - تشبيها بـ (حالات الإنسان عن المال والإبل)^(٤) .

والواقع أن الأمر ليس كما تصوروا ، وأن العربي لم يكن غافلاً إلى حد أن تختلط عليه الكلمات بعضها ببعض فلا يميز بين ما يصح همزه وما لا يصح .

وقد يفسر عالم اللغة الهمز بعيداً عن الاتجاه الصحيح كقراءة أبي جعفر وخلال بن إلياس وأبي عمرو - في رواية -^(٥) وربات^(٦) « الحج »^(٧) - بالهمزة -^(٨) .

(١) ابن الأحزم : النشر ٢٩٩ / ٢ عند تحريره لقراءة (أقفيدة) .

(٢) يعني طرد ، أبو زرعة حجة القراءات ص ٤٧٠ .

(٣) الآية ٣٩ من فصلت .

(٤) أبو حيان : البحر ٦ / ٣٥٣ .

قال ابن جنى : « المسموع في هذا المعنى (ربت) لأنه من (ربا
- يربو) إذا ذهب في جهاته زائد ، وهذه حال الأرض إذا ربـت .

وأما الهمزة فمن (ربأت القوم) إذا أشرفت مكاناً عالياً لتنظر
لهم ، وتحفظهم ، وهذا إنما فيه الشخص والانتساب وليس فيه دلالة
على الوفور والانبساط ، إلا أنه يجوز أن يكون ذهب به إلى علو
الأرض لما فيه من إفراط الربـو ، فإذا وصف علوها دل على أن الزيادة
قد شاعت في جميع جهاتها ، فلذلك همز ، وأخذـه من ربـات القوم
أى كنت طليعة لهم » ^(١) .

والتفسير العلمي الصحيح لذلك مبني على أساس لهجـى .
في بعض الأعـراب كانوا يهمـزون ما لا يهمـز مثل (شابة ودابة)
و (جـآن) في شـابة ودـابة وجـآن ، ويقولـون : (حلـات) في (حلـيت)
مبالغـة في الهمـز ^(٢) ، بما يناسب بيـئتهم التي يعيشـون فيها ، ولم
يـكن هذا غـفلة منـهم أو التـباسـ لبعض الكلـمات ببعـض .

ونقل ابن الجـزـرى أن ذلك على لـغـة (لهـجـة) من هـمزـ الأـلـفـ على
حد قولـ أبي حـيـانـ النـميرـى :

أـحـبـ المؤـقـدـينـ إـلـىـ مؤـسـىـ

وقـالـ أبوـ حـيـانـ ، بلـ هـمـزـهاـ لـغـةـ فـيـهاـ ، قـالـ ابنـ الجـزـرىـ : وـهـذـاـ
هوـ الصـحـيـحـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ ^(٣) .

ونلاحظ - أيضاً - أنـ الـلـغـوـبـينـ الـقـدـامـىـ يـجـفـلـونـ الـهـمـزـ جـائـزاًـ
فـيـ صـورـ الـكـلـمـاتـ وـرـدـتـ عنـ الـعـرـبـ مـهـمـوـزـةـ تـارـةـ ، وـغـيرـ مـهـمـوـزـةـ
تـارـةـ أـخـرىـ ، فـعـنـ قـرـاءـةـ أـبـىـ عـمـرـ وـحـمـزـةـ وـالـكـسـائـىـ فـيـ قـولـهـ تـعالـىـ:

(١) ابن جنى : المختسب ٢ / ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) انظر : أبو حـيـانـ : الـبـحـرـ مـنـ كـلـامـ لـلـزـمـخـشـرـىـ عـنـ هـذـهـ الـلـغـةـ ١ / ١٨٥ .

(٣) ابن الجـزـرىـ : النـشرـ ٢ / ٤٣٨ .

﴿ وَأَنِّي لَهُمُ التَّنَاوِشُ ﴾^(١) ﴿ سَبَا « بهمز (التناؤش) ينقل أبو زرعة (أنهم يجوزون أن يكون من (التناؤش) فهمزوا الواو لأن الواو مضمومة ، وكل الواو مضمومة ضمتها لازمة إن شئت أبدل منها همزة ، وإن شئت لم تبدل مثل : ﴿ إِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتِ ﴾^(٢) « المرسلات » .

وابن جنى - كغيره من قدامى اللغويين - يعد ذلك لوناً من ألوان التصرف ، فالكلمات واوية الفاء أو يائيتها تعترى بها - في نظره - تصرفات متعددة ، إذ تأتي مفتوحة ومكسورة ومضمومة . وقد يؤدي الكسر والضم إلى قلبها همزة مثل إسادة . وأجوه ويعصر وأعصر ويسر وأسر^(٣) .

ويقولون في مثل : (جون) : جؤن . وكذلك كل همزة مفتوحة قبلها ضمة ، فإنك إذا خففتها قلبتها واوا مثل لا يواخذكم الله^(٤) لا يواخذكم الله^(٥) « البقرة » والمولفة^(٦) والمُؤلفة^(٧) « التوبه » .

وما سماه هؤلاء تصرفًا وتبدلًا يعد لوناً من ألوان اللهجات المتعددة ، فتحقيق الهمز لتميم ومن على شاكلتهم ، والتسهيل بالواو أو الياء للحجازيين ، وقد اتضح ذلك في القراءات^(٨) .

فعلى هذا ليس الأمران جائزين ، لأن كل فريق من العرب كان له اتجاه خاص ، لا يمكن أن يذهب إلى غيره ، أو يذهب إليه غيره ، اللهم إلا إذا كان هذا الجواز للمستعربين الذين ليسوا من أهل اللغة بالفطرة والسلية أو كان ذلك على سبيل العدوى اللغوية بالتأثير والتأثير بين القبائل المختلفة نتيجة الاحتكاك والاتصال بيئتها .

(١) ابن جنى : الخصانص ١٨٢ / ٣ .

(٢) انظر كتابنا (أسسية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي) ص ٥٢ ، ٥٣ .

٧- الإدغام والفك :

وهذا أبو عثمان المازني يصف قراءة نافع وأبي عمرو : ﴿ عاد
لولي ﴾ «النجم» موصولة مدغمة بأنها سينه .

قال أبو عثمان : أساء عندي أبو عمرو في قراءته ، لأنه أدمغ
النون في لام المعرفة واللام إنما تحركت بحركة الهمزة وليس بحركة
لازمة ، والدليل على ذلك أنك تقول (الأحمر) فإذا طرحت حركة
الهمزة على اللام تقول في (الأحمر) : (الحمر) ولم تُحذف ألف
الوصل لأنها ليست بحركة لازمة .

ثم ينافق المازني نفسه فيروى عن أبي الحسن ما يفيد صحة
هذا الإدغام لروايه عن العرب ، فبعضهم يقول : (هذا الحمر قد
 جاء) وهذا يعني أن الحركة أصبحت بعد النقل لازمة ، ودليل ذلك
أنك حذفت ألف الوصل ولو لم تكن لازمة لما حذفت ، وهذا حجة
لقراءة أبي عمرو .

وحصر الجواز في قضية لزوم الحركة وعدم لزومها حصر يقوم
على المعيارية في نطاقها المحدود ، وعلى أساسه يخطئ أبو عثمان
القراءة ، ويصف صاحبها بالإساءة ، ولكن كيف يمكن أن يقبل
حكمان متناقضان في آن واحد ؟

فمرة يزعم المازني أن قراءة أبي عمرو خطأ إذا اعتبرت الحركة
المنقولة غير لازمة .

ومرة أخرى يزعم أن قراءة أبي عمرو صحيحة إذا اعتبرت
الحركة المنقولة لازمة .

فكيف يصح ذلك ؟ وكيف يؤخذ بمثل هذه الأحكام التي لا
تنطق من النصوص ولا ترجع إلى لهجات العرب وطراائفهم في
الاستعمال ؟

لقد نقل الزجاج أن للعرب طرائق عدة في استعمال كلمة الأولى فأجودها وأعلاها : سكون اللام وإثبات الهمزة ، والثانية التي تليها في الجودة : ضم اللام وطرح الهمزة ، فمن العرب من يقول : (لولى) فيطرح همزة الوصل لتحرك اللام ، وعليها وردت القراءة^(١) .

والإدغام والفك - كما نعلم - يرجعان إلى طائفتين كبيرتين من العرب ، فالحجازيون يفضلون الفك ، والتميميون يميلون إلى الإدغام .

وكمما يبرهن علم الأصوات الحديث نرى أن الفك يقتضي مجهوداً عظيلاً أكبر في تحقيق الأصوات . وفصل بعضها عن بعض على حين تؤدي السرعة في النطق إلى إدخال الأصوات وخلط بعضها ببعض ، وهذا يستدعي مجهوداً عظيلاً أقل من سابقة ، فيكون الإدغام أسرع للنطق عند سكان البداية .

ألا ترى بعد هذا التطراف في المجال الصوتى أن التفسير اللهجى هو الذى يبعدنا عن تحرير القراءات المتواترة أو صحيحة السند ؟ وفي الوقت نفسه يريح عقولنا من الجرى وراء أمور نظرية بعيدة عن التفسير العلمى الصحيح ؟

(ب) مجال الإعراب ونحو الجمل :

ونعرض نماذج أخرى لتحكم النحاة في مجال الإعراب ، ونحو الجمل ، ونبين كيف أعملوا العقل والمنطق في توجيه القراءات ومحاولة إخضاعها للقياس اللغوى الذى استقر في فكر النحاة ، وتبين - كذلك - الرأى الصائب في التوجيه والتحليل وهو الاتجاه اللهجى .

(١) أبو زرعة : حجة القراءات ص ٦٨٧ .

فقد لاحظنا أن طائفة كبيرة من النحويين يتوجهون إلى فرض القيود المعيارية على القراءات ، ومن ذلك ما لاحظناه في كتب النحو من توجيهات لها في مجال الإعراب وتركيب العبارة .

١- إلزام المثنى الألف :

ومن أمثلة ذلك الآية الكريمة : ﴿إِنْ هَذَا نَسَاجِرَانِ﴾ (٦٣) « طه » فتذكر كتب النحو القراءات الواردة فيها ثم تعلل لها بعنطق عقلي مجرد .

يقول ابن هشام : اجتمع النصب بالياء والرفع بالألف في قوله تعالى : ﴿إِنْ هَذَا نَسَاجِرَانِ﴾ .

وفي هذا الموضوع قراءات إحداها هذه وهي تشديد النون من (إن) و (هذين) بالياء وهي قراءة أبي عمرو ، وهي جارية على سن العربية . [لأن ثنية المنصوب والمحروم بالياء لغة فصحاء العرب ، وأبو عمرو مستغن عن إقامة دليل على صحتها] .

والثانية : (إن) - بالتحفيف - و (هذان) بالألف ف (إن) مخففة مهملة [وجعلها بعضهم يعني (ما) النافية واللام يعني (إلا) والتقارير : ما هذان إلا ساحران] (١) .

والثالثة : (إن) - بالتشديد - و (هذان) بالألف وهي مشكلة . وقد أجيئ عنها بأوجه أحدها : أن لغة (لهجة) بلحرة بن كعب وخثعم وزبيد وكنانة وآخرين استعمال المثنى بالألف دائماً ، قال :

ترزود منا بين أذناه طعنة دعته إلى هابي التراب عقيم (٢)

(١) ولكن جعلها مخففة أولى لوجود اللام ، والقراءة بالألف مكتوبة هكذا في الإمام (مصحف عثمان) .

(٢) حكى ذلك أبو عبيدة عن أبي الخطاب ، وهو رأس رؤساء الرواة . أبو زرعة : حجة القراءات من ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

وقال آخر :

إن أباها وأباً أباها قد بلغا في المجد غايتها

الثاني : أن (إن) بمعنى (نعم) [قال المبرد : إنه أحسن ما قيل
في تخریج القراءة على حد قول الشاعر :

ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنه
ومثلها في ذلك ما حکى أن رجلا سأله ابن الزبير شيئاً فلم
يعطه فقال : لعن الله ناقة حملتني إليك ، فقال : إن وراكبها . أى
نعم ولعن الله راكبها .

و (إن) التي بمعنى (نعم) لا تعمل شيئاً كما أن (نعم) كذلك
فيهذا مبتدأ ، مرفوع بالألف و (ساحران) خبر لمبتدأ محذف أى
لبيما ساحران ، والجملة خبر (هذا) ولا يكون (لساحران) خبر
(هذا) لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ [وقيل : اللام
للتوكييد دخلت في خبر المبتدأ كما تقول ، زيد لأخوه . قال الشاعر :
حالى لأنت ومن جرير حاله ينل العلاء ويكرم الأخوالا
وقال قطرب : يجوز أن يكون المعنى . (أجل) فيكون المعنى -
والله أعلم - فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرروا النجوى ، قالوا : (أجل)
تصديقاً من بعضهم لبعض ثم قالوا ، هذا لساحران] .

الثالث : أن الأصل : (إن هذا لهما ساحران) [كما تقول ،
إنه زيد منطلق ثم تقول : إن زيد منطلق] فالهاء ضمير الشأن ، وما
بعدها مبتدأ وخبر ، والجملة في موضع رفع على أنها خبر (إن) ثم
حذف المبتدأ وهو كثير ، وحذف ضمير الشأن كما حذف من قوله
عثثة : (إن من أشد الناس عذاباً يوم القيمة المصوروون) ومن قول
بعض العرب : (إن بك زيد مأخوذ) .

الرابع : أنه لما ثنى (هذان) اجتمع الفان ، ألف (هذا) وألف الثنوية ، فوجب حذف واحدة منهما لالقاء الساكنين ، فمن قدر المخدوفة ألف (هذا) والباقيه ألف الثنوية قلبها في الجر والنصب ياء ، ومن قدر العكس لم يغير الألف عن لفظها [وقال الفراء : إنهم زادوا في (هذان) التون للثنوية ، وتركوها على حالها في الرفع والنصب والجر كما فعلوا في (الذى) فقالوا (الذين) في الرفع والنصب والجر] .

الخامس : أنه لما كان الإعراب لا يظهر في الواحد وهو (هذا) جعل كذلك في الثنوية ، فيكون المثنى كالمفرد ، لأنه فرع عنه^(١) . ولعنة ندرك أن النحويين لما وجدوا هذه القراءة تخالف - من حيث الظاهر - القواعد التي وضعوها حاولوا أن يسلكوها تحتها بتأويلات كثيرة فيها ضرب من التحكم .

ونلمح هذا التحكم واضحاً في جعل اسم (إن) ضمير شأن مخدوفاً أو أن المخدوف ألف الثنوية ، أو إجراء المثنى مجرى المفرد لأنه فرع عليه ، فكل تلك الأوجه اعتبارات لا تؤيدها ظواهر اللغة التي بنيت على أساس اجتماعي ، واقعى ، بعيد عن الفلسفة والخيال .

واعتبار (إن) بمعنى (نعم) لا يؤيده سياق الآية فضلاً عما ترتب عليه من فساد في الإعراب ، إذا اعتبر (لساحران) خبراً لمبدأ مخدوف ، والأصل (لهما ساحران) وقد أحاجاهم إلى ذلك وجود لام الابتداء وهي لا تدخل في خبر المبتدأ ، وهذا دليل فساد هذا الوجه ، وخيالية التي لا تلائم السياق المعنى أو التركيبى .

(١) ابن هشام : شذور الذهب بتحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، ط السعادة ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ ص ٤٦ - ٤٩ وما بين الأقواس بنظر فيه : أبو زرعة : حجة

ولو أنهم اكتفوا في التخريج بالوجه الأول - وهو أنها لهجة بعض العرب الذين يلزمون المثنى ألف - لأراحوا عقولنا من هذه المتأهات الفرضية المجردة .

ولقد جنى المنهج النحوي على بعض القراءات حين تأتي القراءة مخالفة لما جرى عليه النحاة من قواعده ، فإن أفلحوا في ربطها بالتأويل والفلسفة فيها ونعمت ، وإلا فإنهم يرمونها بالضعف أو الرداءة أو اللحن .

فقد رمى بعضهم القراءة المذكورة **﴿إِن هَذَا لِسَاحِرَان﴾** - بتشديد (إن) - باللحن ^(١) ، قال العلامة تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله - « قد زعم قوم أن قراءة من قرأ (إن هذان) لحن ، وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه .

والحقون من العلماء على أنه لا يتوجه إليها الطعن لأنها قراءة سبعة ثابتة في النقل ، والقراءة سنة متبعه ^(٢) ثم إنه قد ثبتت صحة وجهها في العربية بما ذهبنا إليه من توجيه لهجي مدعم بالشاهد والنصوص .

٢ - عطف الظاهر على المضمر المخفي من غير إعادة الخافض :

وما نحن بصدده في اعتراض النحاة على ما يخالف قواعدهم من قراءات ما ورد من قراءة (الأرحام) - بالخفيف - في قوله : **﴿وَأَنْتُمْ أَلَّهُ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَام﴾** ^(١) « النساء » قرأها حمزة - أحد السبعة - وغيره كفتادة والأعمش وابن عباس والحسن .

(١) سيبويه : الكتاب بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون : ٢/١٠٧ ، ٣١٧ ، ٤/١٩٦ ، ١٩٧ . ٣٣٨ . ، وابن هشام : شرح شذور الذهب من ٥٠ ..

(٢) ابن هشام : شرح شذور الذهب من ٥١ ، ٥٠ ..

وقد وصف البصريون هذه القراءة بأنها حزن لا تحمل القراءة به^(١) ، هكذا قال رؤساً لهم - كما ينقل القرطبي^(٢) - وقد نقل الحريري عن البرد قوله : « لو أني صليت خلف إمام فقرأبها لقطعت صلاتي »^(٣) أو كما ينقل القرطبي : (لو صليت خلف إمام يقرأ (والأرحام) لأخذت نعلى ، ومضيت)^(٤) .

وإنما اعتبر البصريون هذه القراءة لحنًا مخالفتها للقاعدة المشهورة وهي أنه : لا يجوز العطف على المضمر المخوض إلا بإعادة الخافض^(٥) وهو الكثير الشائع كقوله تعالى : ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ﴾^(٦) « فصلت » قوله سبحانه : ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمِلُونَ﴾^(٧) « غافر » .

ولا يجوز مخالفة ذلك إلا في الشعر كما قال الشاعر :

فاليلوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب^(٨)
وبناء على خروج القراءة على القاعدة التي وضعوها كان
الحكم عليها عنيناً كما رأيت وهو رميها بأنها حزن .

ونقل الزجاج إجماع النحويين على قبح النسق باسم ظاهر على
اسم مضمر إلا بإظهار الخافض ، وقال المازنی : الثاني في العطف
شريك للأول ، فإن كان الأول يصلح أن يكون شريكاً للثاني وإلا لم

(١) الأشموني : ١٥٥ / ٢ .

(٢) القرطبي : ط الشعب ص ١٥٧٢ .

(٣) الحريري : درة الغواص ٨٣ .

(٤) القرطبي ص ١٥٧٣ .

(٥) يقول أبو علي الفارسي : إن عطف الظاهر على المضمر المخوض بالباء ضعيف في القياس لأن الضمير قد صار عرضاً مما كان به متصلةً بالاسم من التنوين فنفي أن يعطف عليه كما لا يعطف الظاهر على التنوين . أبو زرعة : حجة القراءات . التعليق ص ١٨٨ .

(٦) سيريه : الكتاب ٢ / ٣٨١ ، ٣٨٢ وأبو زرعة : حجة القراءات ص ١٨٨ .

يصلح أن يكون الثاني شريكًا له ، فكما لا تقول : مررت بزید وكذا ذلك لا تقول : مررت بك وزید ^(١) .

بل أكثر من ذلك اعتبر الزجاج هذه القراءة خطأ عظيماً في أصول الدين ، فقد رتب على فساد الإعراب الذي لا تسنده القاعدة فساد المعنى ، فالمعنى على العطف - كما يرى الزجاج - يؤدى إلى جواز القسم بالله وبالرحم مع أن القسم لا يجوز إلا بالله كما في الحديث (لا تختلفوا بأبائكم) .

ولكن هذا التحريف على القراءة غير مسلم ، إذ إن بعض الشواهد العربية جاءت مائلة لها ، وبعضها شعرى ذكره سيبويه وغيره ، وبعضها أيضاً من النثر ، ومنه آيات من القرآن الكريم لا يفهم معناها إلا على هذا العطف كقوله تعالى : ﴿ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفُرُّ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ^(٢) « البقرة » فالمسجد الحرام - بالحجر - معطوف على الضمير المبورو بالباء في (به) دون إعادة الجار . ومن هنا رأينا فريقاً من النحاة - وهم الكوفيون ويونس - والأخفش - يقرر جواز العطف على الضمير المبورو وإن لم يتكرر الجار مع المعطوف ، ويتخذ من تلك الشواهد أدلة على صحته وجري على هذا الرأي ابن مالك حين قال :

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازماً قد جعلا وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنشر الصحيح مشتاً
واعطف (الأرحام) على الضمير لا يفسد المعنى - كما توهם

(١) انظر المصدر السابق لأبي زرعة .

(٢) الأشموني ٣ / ١١٤ ، ١١٥ .

والنكر الذي لا يجوز من النسق هو أن يعطف الظاهر على المضمر الذي لم يجر له ذكر .

الزجاج - فليس المراد الحلف في هذا المقام بل المراد معانٌ أخرى ذكرها القرطبي^(١).

وبعض المعتدلين من النحاة واللغويين يرون تخرير القراءة تخريراً يتفق والمذهبين البصري والковفي ، فالأرحام مجرورة بحرف جر محدود للدلالة المتقدم عليه ، وقد ذكر ابن جنى ذلك ، قال : « وعلى نحو من هذا تتسوّجه - عندنا - قراءة حمزة - وهي قوله سبحانه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ ﴾ لِيَسْتَ هَذَا الْقِرَاءَةُ عِنْدَنَا مِنَ الْإِبَاعَادِ وَالْفَحْشَ وَالشَّنَاعَةِ وَالضَّعْفِ عَلَى مَا رَأَاهُ فِيهَا وَذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ^(٢) بِلِ الْأَمْرِ فِيهَا دُونَ ذَلِكَ وَأَقْرَبَ وَأَخْفَى وَالْأَطْفَافُ ، وَذَلِكَ أَنَّ لِحْمَزَةَ أَنْ يَقُولَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ : إِنِّي لَمْ أَحْمِلْ (الأرحام) عَلَى الْعَطْفِ عَلَى الْمُجْرُورِ الْمُضْمُرِ ، بِلِ اعْتَقَدْتُ أَنْ تَكُونَ فِيهِ بَاءُ ثَانِيَةً حَتَّى كَأَنِّي قَلَّتْ : وَبِالْأَرْحَامِ ثُمَّ حَذَفَتِ الْبَاءُ لِتَقْدِمَ ذَكْرَهَا ، كَمَا حَذَفَتِ لِتَقْدِمَ ذَكْرَهَا فِي نَحْوِ قَوْلِكَ : (مِنْ تَعْرِرِ أَمْرِكَ) وَ (عَلَى مَنْ تَنْزَلَ أَنْزَلَ) وَلَمْ تَقُلْ : أَمْرَرْ بِهِ وَلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ ، لَكِنْ حَذَفَتِ الْحُرْفَيْنِ لِتَقْدِمَ ذَكْرَهُمَا ، وَإِذَا جَازَ لِلْفَرْزَدِقَ أَنْ يَحْذِفَ حَرْفَ الْجَرِ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ مَعَ مُخَالَفَتِهِ لِهِ فِي الْحَكْمِ فِي قَوْلِهِ :

وَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ بِهِمْ يَتَسْقَى الْعَدَا . وَرَأَبَ الثَّائِي وَالْجَانِبَ الْمُتَخَوْفَ

أَرَادَ : وَبِهِمْ رَأَبَ الثَّائِي فَحَذَفَ الْبَاءَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِتَقْدِمَهَا فِي قَوْلِهِ : بِهِمْ يَتَسْقَى الْعَدَا وَإِنْ كَانَتْ حَالَاهُمَا مُخْتَلِفِينَ ، وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ - كَانَ حَذَفَ الْبَاءَ مِنْ قَوْلِهِ : (وَالْأَرْحَامِ) لِمُشَابَهَتِهِ الْبَاءِ فِي (بِهِ) مَوْضِعًا وَحَكِيمًا أَجْدَرَ^(٣) .

(١) القرطبي ص ١٥٧٣، ١٥٧٤.

(٢) يقصد البرد.

(٣) ابن جنى : المصنّص ١/ ٢٨٥، ٢٨٦.

والقول الفصل الذى يوافق معتقدنا فى الرد على من رمى هذه القراءة باللحن هو ما أشار إليه الإمام القشيرى حين قال : « هذا الكلام مردود عن أئمة الدين ، لأن القراءات التى قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ تواتراً يعرفه أهل الصنعة ، وإذا ثبتت شيئاً عن النبي ﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبي ﷺ ، واستقبح ما قرأ به وهذا مقام محظور . ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو ، فإن العربية تتلقى من النبي ﷺ ، ولا يشك أحد في فصاحتها .^(١) وكل ما يمكن أن يقال - حينذاك - أن بعض الظواهر اللهجية أكثر من بعض ، فهذه الظاهرة شائعة وتلك قليلة الشيوع في النصوص التي نقلها لنا رواة اللغة :

٣ - تسكين حركة الإعراب :

ومن ذلك - أيضاً - إسكان راء (بارئكم) في قوله تعالى : « فَرُبُوا إِلَى بَارِئِكُم ^(٤) » « البقرة » وقوله : « ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عند بارئكم ^(٥) » « البقرة » وتسكين راء الأفعال المعرفة المرفوعة في قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بِقَرْبَةً ^(٦) » « البقرة » و « وَإِنْ يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يُنَصِّرُكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ ^(٧) » « آل عمران » ، « وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ^(٨) » « الأنعام » ، « يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ^(٩) » « الأعراف » . « أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ^(١٠) » « الطور » .

فقد روى - في كل ذلك - تسكين الراء عن أبي عمرو ^(٢) .

(١) القرطبي : ص ١٥٧٤ .

(٢) انظر : ابن الجوزى : النشر ٢١٥ / ٢ ، ٢٦١ ، ٢٤٣ ، ٢٦١ ، والبنا الدمشقى والإعماق ٢١٥ ، ٢٣١ وأبو زرعة : حجة القراءات ص ٩٦ ، ٢١٤ بتصريف .

ولم يعترف سيبويه بصحة الرواية بالإسكان ، وقال : إن أبي عمر وقرأ بالاختلاس ولكن الرواى لم يضبط عن أبي عمر لأنه اختلس الحركة فظن أنه سكن .

وقد جعل سيبويه التسكين خاصاً بالشعر ، كقول امرئ القيس :

فال يوم أشرب غير مستحب إثما من الله ولا وأغل
وطعن المبرد في الإسكان ومنعه ، وزعم أن قراءة أبي عمر
 بذلك لحن .

والواقع أن الطعن على الرواى بأنه لم يضبط غير مقبول « فإن
من يزعم أن أئمة القراءة ينقلون حروف القرآن من غير تحقيق ولا
 بصيرة ، ولا توقيف فقد ظن بهم ما هم منه مبررون ، وعنه منزهون » .

وهذا يبطل قول من زعم أن الرواى عن أبي عمر وأساء السمع ،
إذ كان أبو عمر يختلس الحركة في (بارئكم) ونحوها فتوهمه
الإسكان الصحيح فحكاه عنه ، وكيف يقبل أنه يسيئ السمع في
موقع ولا يسيئه في موقع آخر مثله ؟

وقد قرأ آخرون بإسكان لام الفعل في هذه الأسماء والأفعال
المذكورة وغيرها نحو ﴿ وَيَعْلَمُهُمْ ﴾ (١٢٩) ﴿ الْبَقَرَةَ ﴾ ﴿ نَحْشُرُهُمْ ﴾ (٢٢)
﴿ الْأَنْعَامَ ﴾ وأحدهم محمد بن عبد الرحمن بن محيصن أحد
أئمة القراءة بمكة ، وقرأ مسلم بن محارب (وبعولتهن أحق)
 بإسكان النساء ، وقرأ غيره (ورسلنا) بإسكان اللام (١) ولا يسرغ
 وصف هذه القراءات باللحن أيضاً .

(١) ابن الجوزي : النشر ٢ / ٢١٤ ، ٢١٣ بصرف .

« فالإسكان عربي جيد وقد نقله سيبويه في بيت امرئ القيس
ونحوه ، والعرب تفعل ذلك لكرامة توالى الحركات في الكلمة
الواحدة ^(١) وفي الكلمتين ، تخفيفاً ، وقد أكثر الأستاذ أبو على
الفارسي في الاستشهاد من كلام العرب على الإسكان ثم قال : فإذا
ساغ ما ذكر في هذه القراءة من التأويل لم يسع أن يقال : لحن ^(٢) .

وهذه قراءات سبعية فكيف يجوز الطعن فيها ؟

ويقول ابن الجزرى : « إن الطعن مردود على قائله ، ووجهها
في العربية ظاهر غير منكر ، وهو التخفيف ، وإجراء المنفصل من
كلمتين مجرى المتصل من كلمة نحو (إيل وعهد وعنق) على أنهم
نقلوا أن لغة تقيم تسكن المرفوع من (يعلمهم) ونحوه ، وعزاه الفراء
إلى تيم وأسد » ^(٣) .

وإجماع الأئمة على جواز تسكين حركة الإعراب في الإدغام
دليل على جوازه هنا وأنشدوا أيضاً :

رحت وفي رجليك ما فيهما وقد بدا هنك من المثزر
وقال جرير :

سيروا بني العم فالأهواز موعدكم أو نهر تيرى فما تعرفكم العرب
وهذا يكون عند من يميل إلى التخفيف من العرب ، فيسكن
لكرة الحركات ، وهم أرباب البدية كتميم وأسد ، أما بقية العرب
من أهل المدن فيفضلون توفيق كل حرف حقه من الإعراب ونطق
الحركات كالهزاريين ، وجاءت عليها قراءة الباقيين ، (بارئكم -
ويا مركم) بالإتباع .

(١) أبو زرعة : حجة القراءات ص ٩٦، ٩٧.

(٢) ابن الجزرى : النشر ٢/٣٥٢.

(٣) المصدر السابق ٢/٢١٣، ٢١٤.

٤ - الفصل بين المتضاييفين :

ولنقف أمام قراءة أخرى هي قراءة ابن عامر وأهل الشام قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قُتْلَ أُولَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾^(١) « الأنعام » ببناء (زين) للمجهول و (قتل) بالرفع و (أولادهم) بالنصب و (شركائهم) بالخفف فيما حكى أبو عبيد^(٢).

وللنجويين في هذه القراءة مواقف متعارضة من حيث الإنكار والتأييد .

فالمنكرون هم البصريون ومن شايعهم من لا يجيز الفصل بين المتضاييفين ، إلا في ضرورة الشعر ، وفي حالات خاصة ، فقد اعتبروا تلك القراءة من قبيل اللحن^(٣) .

وقال أبو علي الفارسي : هذا قبيح الاستعمال ولو عدل عنها (يقصد قارئها ابن عامر) كان أولى :

وَقَالَ الْفَرَاءُ عَنْ ذَلِكَ وَنحوه إِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ^(٤) .

وقال الزمخشري : « وأما قراءة ابن عامر فشيء لو كان في مكان الضرورات - وهو الشعر - لكان سمجاً مردوداً كما سمج ورد .

زج القلوص أبي مزادة

(١) القرطبي ص ٢٥٢٨ ، والأشموني ٢ / ٢٧٦ ، والبنا الدمشقي : الإعجاز ٢١٧ . ٢١٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الفراء : معانى القرآن ١ / ٣٥٨ ، ٨١ / ٢ ، ٨٢ .

فكيف به في الكلام المنشور؟ فكيف به في القرآن المعجز
بحسن نظمه وجزالته؟ والذى حمل ابن عامر على ذلك أنه رأى فى
بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبًا بالياء ، ولو قرأ بجر (الأولاد
والشركاء) لأن الأولاد شركاؤهم فى أموالهم لوجود ذلك
مندوحة^(١) .

وقال أحمد بن حمدان النحوى : « قراءة ابن عامر لا تجوز فى
العربية وهى زلة عالم ، وإذا زل العالم لم يجز اتباعه ، ورد قوله إلى
الإجماع وكذلك يجب أن يرد من زل منهم أو سها إلى الإجماع فهو
أولى من الإصرار على غير الصواب » .

وكانهم بذلك يتصورون أن القراءة المذكورة ليست منقوله عن
طريق التواتر عن النبي ﷺ بل هي اجتهاد ورأى شخصي لابن عامر ،
ولذلك كانوا ي يريدون أن يتخلّى عنها ، ووصفها الفراء والممخشري
وصفاً سيئاً واعتبرها ابن حمدان زلة عالم .

وقد وصف مكي هذه القراءة بالضعف فقال : وهذه القراءة
فيها ضعف للتفريق بين المضاف والمضاف إليه ، لأنه إنما يجوز مثل
هذا التفريق في الشعر مع الظروف لاتساعهم فيها ، وهو في المفعول
به في الشعر بعيد . فإذا جازت في القراءة أبعد^(٢) .

ولكن هذا التصور المبني على الطعن في هذه القراءة غير سديد
لعدة أسباب .

أولها : أن الفصل بين المتضادين قد جاء في السعة في مواطن
عديدة منها أن يكون المضاف مصدراً ، والمضاف إليه فاعله والأصل
مفصول كالقراءة التي بين أيدينا ، ولها شواهد من الشعر كثيرة مثل .

(١) الزمخشري : الكشاف ٢/٧٠ ، ٥٦٦ وابن الجوزي : النشر ٢/٢٦٣ وأبو حيان :
البحر ٤/٢٣٠ .

(٢) القرطبي ص ٢٥٢٨ .

فِسْقَنَاهُمْ سُوقُ الْبَيْنَاتِ الْأَجَادِلِ

فِرْزِجَتْهَا بِمَزْجَةٍ زَجَ الْقَلْوَصَ أَبَى مَرْزَادَةٍ

فَدَاسَهُمْ دُوسُ الْحَصِيدِ الدَّائِسِ

وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ : فِهِذِهِ الظَّاهِرَةُ الْلُّغُوِيَّةُ جَائِزَةٌ عَرَبِيَّةٌ^(١) .

ثَانِيَهَا : أَنَّ الْقِرَاءَاتِ لَيْسَتْ اجْتِهَادًا وَرَأِيًّا بَلْ هِيَ مَنْقُولَةٌ مَأْثُورَة، وَقَدْ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيَّ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ وَالْتَّشْهِيَّ ، وَهَلْ يَحْلُّ لِسَلْمِ الْقِرَاءَةِ بِمَا يَجِدُ فِي الْكِتَابَةِ مِنْ غَيْرِ نَقْلٍ ؟ وَيَقُولُ أَبُو حِيَانُ فِي الرَّدِّ عَلَى الزَّمْخِشِرِيَّ : « وَأَعْجَبُ لِعْجَمِي ضَعِيفُ فِي النَّحْوِ يَرِدُ عَلَى عَرَبِيٍّ صَرِيحٍ مَحْضٍ قِرَاءَةً مَتَوَاتِرَةً مَوْجُودٌ نَظِيرُهَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي غَيْرِ مَا بَيْتٍ ، وَأَعْجَبُ لِسَوْءِ ظُنُونِ هَذَا الرَّجُلِ بِالْقِرَاءَةِ الْأَئْمَةِ الَّذِينَ تَخْيِرُهُمْ هَذِهِ الْأَمَةُ لِتَنْقِلَ كِتَابَ اللَّهِ شَرْقاً وَغَرْبًا ، وَقَدْ اعْتَمَدَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى نَقْلِهِمْ لِضَبْطِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ وَدِيَانِهِمْ^(٢) . »

وَقَالَ الْإِمامُ الْقَشِيرِيُّ - بِصَدْدِ الدِّفَاعِ عَنْ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ التِّي مَعَنَا - « وَقَالَ قَوْمٌ : هَذَا قَبِيحٌ ، وَهَذَا مَحَالٌ لِأَنَّهُ إِذَا ثَبِيتَ بِالْمُتَوَاتِرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ الْفَصِيَحُ لَا الْقَبِيحُ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَفِي مَصْحَفِ عُثْمَانَ (شَرْكَائِهِمْ) - بِالْبَيَّنِ - وَهَذَا يَدْلِلُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ »^(٣) .

وَقَدْ أَنْحَى صَاحِبُ الْإِنْهَافِ بِاللَّائِمَةِ عَلَى مِنْ خَطَا هَذِهِ الْقِرَاءَةِ ، وَقَالَ : « هِيَ مَتَوَاتِرَةٌ صَحِيحةٌ ، وَقَارِئُهَا ابْنُ عَامِرٍ أَعْلَى الْقِرَاءَةِ السَّبْعَةِ سَنَدًا ، وَأَقْدَمُهُمْ هَجْرَةً ، مِنْ كَبَارِ الْتَّابِعِينَ الَّذِينَ أَخْذُوا عَنِ الصَّحَابَةِ كَعْمَانَ بْنَ عَفَانَ ، وَأَبَى الدَّرَدَاءَ ، وَمَعَاوِيَةَ ، وَفَضَالَةَ بْنَ عَبِيدٍ ، وَهُوَ

(١) سَيْبُوِيَّهُ : طَبَّ بُولَاق١ / ٩٠ - ٩٢ وَالرَّوْضَى : شَرْحُ الْكَافِيَّةِ ١ / ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) أَبُو حِيَانَ : الْبَعْر٢ / ٤ ٢٣٠ .

(٣) الْقَرْطَبِي٢ ٢٥٢٩ .

مع ذلك عربي صريح من صميم العرب ، وكلامه حجة ، وقوله دليل لأنّه كان قبل أن يوجد اللحن ، فكيف وقد قرأ بما تلقى ، وتلقن وسمع . ورأى ، إذ هي كذلك في المصحف الشامي ، وقد قال بعض الحفاظ : إنه كان في حلقة بدمشق أربعين مائة عريف يقومون عليه بالقراءة . قال : ولم يبلغنا عن أحد من السلف أنه أنكر شيئاً على ابن عامر من قراءته ، ولا طعن فيها .

ثم فند مزاعم النحاة في منع الفصل بين المتضايفين قائلاً : « إنه لا يعلو على هذا الكلام ، وإن صدر عن أئمة أكابر لأنّه طعن في المواتير » وبين أن غيرهم قد أجاز ذلك ، وأيده بالتأثر من لسان العرب شراؤ ونظمها .

ونعي على هؤلاء أنّهم قد يعتمدون الشاهد الواحد عن الشخص الواحد ولو كان إمة أو راعياً لا يوثق به ، فكيف بهذه القراءة المنقوله المأثورة ؟ يقول :

« ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب ولو إمة أو راعياً أنه استعمله في التشر لرجوع إليه ، فكيف وفيمن أثبت تابعه عن الصحابة عمن لا ينطق عن الهوى ^{عليه} فقد بطل قولهم وثبتت قراءته سالمة من المعارض والله الحمد » ^(١) .

وقد امتدح ابن الجوزي ابن عامر كثيراً ونقل رأى ابن مالك في إجازة القراءة ، وإجازته الفصل بين المتضايفين مستدلاً بهذه القراءة قائلاً في الكافية الشافية :

وحجتى قراءة ابن عامر فكم لها من عاصد وناصر ^(٢)

(١) البنا الدمياطي : إنحصار فضلاء البشر ص ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩ .

(٢) ابن الجوزي : التשר ٢٦٣ / ٢ - ٢٦٥ .

أما صاحب الشاطبية فقد ذكر أبياتاً هي :

ومفعوله بين المضافين فاصل ولم يلف غير الظرف في الشعر فاصلا

كلله در اليرم من لامها فاما تلم من مليمي النحر إلا مجها^(١)

وهو في ذلك يدعو القارئ إلى أن يتلزم التريث فلا يلوم
المضعف لهذه القراءة ، وإنما يلوم من يجهل ابن عامر لأن هذا الإمام
لم يقرأ بالتشهـى ، بل بالنقل الصحيح وهو - مع ذلك - عربـى
صـمـيم ، من صـمـيمـ العربـ ، وضـبـطـهـ صـحـيـحـ وـكـلامـهـ حـجـةـ .

وقد أردت بذلك العرض للنماذج السابقة من القراءات ،
وتخريجاتها اللغوية وال نحوية وتعليقنا عليها أن أوضح أن تحكيم
القوانين اللغوية دفع المحتجين للقراءات إلى التماـسـ الوجهـ العـقـلـيـةـ
الصرفـةـ التـىـ لاـ تـرـتـبـطـ بـنـظـائـرـهـ إـلـاـ اـرـتـبـاطـ ظـاهـرـيـاـ ، ولـذـاـ لاـ تـرـتـاحـ
النفسـ إـلـىـ مـثـلـ هـذـهـ الأـلـوـانـ مـنـ الـاحـتـجاجـ .

ولو أنهم أرجعوا هذه القراءات إلى أصولها في اللهجات العربية
وربطها ، بالبيئة التي تنتمي إليها بدوية أو حضرية لكن ذلك أنسـبـ
للمقام وأدـعـىـ إـلـىـ الـاطـمـئـنـانـ النـفـسـىـ ، وـأـقـرـبـ إـلـىـ الـبرـهـنـةـ اللـغـوـيـةـ
المـوضـوعـيـةـ .

فاللجوء إلى قانون القياس في التعليـلـ للـقـراءـاتـ غـيرـ سـديـدـ ، إذـ
إنـ الـظـواـهـرـ الـلـغـوـيـةـ لـيـسـ مـطـرـدـةـ ، وـفـيـ كـلـ مـجـالـ نـجـدـ عـنـاصـرـ
تـخـالـفـ الـعـنـاصـرـ الـكـثـيرـ الشـائـعـةـ ، وـهـذـاـ لـاـ يـضـرـ اللـغـةـ ، وـلـاـ يـنـالـ
مـنـهـاـ ، وـلـاـ يـقـتـضـىـ تـأـوـيلـهـاـ بـمـاـ يـدـخـلـهـاـ تـحـ الشـائـعـ الـكـثـيرـ لـأـنـ لـهـاـ
طـبـيـعـتـهـاـ الـمـيـزـةـ الـتـىـ تـجـعـلـهـاـ ذـاتـ طـابـعـ اـسـتـقـالـالـيـ خـاصـ .

وبـهـذـاـ يـنـدـفـعـ التـهـجـمـ عـلـىـ الـقـراءـاتـ الـقـرـآنـيـةـ ، وـتـشـبـتـ صـحـتهاـ

(١) الضياع : شرح الشاطبية ص ١٩٩، ٢٠٠.

فإذا ثبت نقلها عن النبي ﷺ وصحابته والتابعين فإن ذلك - وحده - يكفي في إثباتها ، وصحة الأخذ بها ونحن نرى أنها ترجع إلى اللهجات العربية ، إذ إن القارئين لها عرب يحتاج بكلامهم ، فلا يجوز ردها .

وقد وجدنا أن ابن جنى هذا العالم اللغوى الكبير يذكرنا بأن كل اللهجات الواردة عن العرب حجة ، وذلك في باب عقده بهذا العنوان في كتابه (الخصائص) ويقول فيه - عقب ذكره اختلاف الحجازيين والتميميين في ظاهرة لغوية - (ليس لك أن ترد إحدى اللغتين^(١) بصاحبتها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على اختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنها بها ، فاما رد إحداهما بالأخرى فلا ، أو لا ترى إلى قول النبي ﷺ : «نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف» هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متداينتين متراسلتين ، أو كالمتراسلين ، فاما أن تقل إحداهما جدا ، وتكثر الأخرى جدا ، فإنك تأخذ بأوسعهما رواية ، وأقواهما قياسا ، إلا أن إنسانا لو استعمل القليل لم يكن مخطئا لكلام العرب ، وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ ، وإن كان غير ما جاء به خيرا منه)^(٢) .

وببناء على ذلك وجدنا ابن جنى يحتاج للقراءات - في كتابه المحتسب - معتمدا على الأثر والسماع لا على قواعد النحو ومبدأ القياس^(٣) .

(١) يطلق علماؤنا القدامي (اللغة) ويقصدون بها (اللهجة) .

(٢) ابن جنى : الخصائص ٢ / ١٠ - ١٢ بتصريف .

(٣) ابن جنى : المحتسب ١، ٣٢، ٣٣، ٢٩٢ وغيرها .

ونخلص - بعد هذا التطواف - بعده نتائج تمثل الرأى الذى
ننتمى إليه وهى :

- ١ - متى ثبتت صحة الرواية للقراءة فهى مقبولة لا يجوز الطعن
فيها .
- ٢ - إن محاولة إخضاع القراءات لأصول النحو التى رسمها علماؤنا
لا تعطى التفسير الصحيح للقراءات ، وقد تبين أن التحكم فى
القراءات بهذا المنهج القياسي لم يكن عاماً عند النحاة جمياً .
- ٣ - الأولى تفسير هذه القراءات على أساس لهجى ، من حيث المكان
والزمان ، والاجتماع والثقافة ، والحضارة ، فهى مظهر من
مظاهر اللهجات التى كانت منتشرة في الجزيرة ، وذاب بعضها
في اللغة العامة ، وبعضها ظل محتفظاً بطابعه ، وأضحاً فيما
بقي من اللهجات التى تمثلها لنا هذه القراءات وما بقى من
أشعار العرب وأحاديثهم التى وصلتنا في كتب اللغة والنحو .
- ٤ - إن علم الأصوات الحديث يستطيع وضع التفسير الملائم لهذه
اللهجات التى تمثلها القراءات ، وقد كشف عن كثير من
الجوانب التي توضح آثار البيئة وعوامل الزمن فيها .

الفصل السادس

الإدغام والفك بين القراء واللغويين

الإدغام في القراءات وتفسيره من الوجهة اللغوية :

الإدغام^(١) ظاهرة لغوية واقعة في كلام العرب ، قال أبو عمرو بن العلاء الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها^(٢) .

كما أن الأصل أن يأتي الحرفان دون إدغام وهو ما يسمى بالفك وهو الأصل^(٣) أو اللغة القديمة^(٤) .

وقد وضح كل من ذلك في القراءات وتناوله تفصيلا علماء اللغة والقراءات .

تعريف الإدغام :

في اللغة : الإدخال ، يقال أدخلت اللجام في فم الدابة أي أدخلته فيه ، قال ساعد بن حرمي :

عقربات بأيديهم أعنثها خوص إذا فزعوا أدغمن باللحم ويستعمل - في اللغة أيضا - بمعنى التغطية ، يقال : دغم الغيث الأرض يدغمها : غشتها وغطتها ، وأدغمت الشيء خطبته^(٥) .

(١) على وزن (إفعال) مصدر (أدمغ) - بسكون الدال قبلها همزة القطع وهذا مذهب الكوفيين وعليه علماء التجريد وينطبق بتشدد الدال (افعال) من أدغم وهذا مذهب البصريين ، شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .

(٢) النشر في القراءات العشر ١ / ٢٧٥ .

(٣) الحجة لابن خالويه ص ١٧١ .

(٤) الكتاب ٤ / ٤٧٣ .

(٥) تهذيب اللغة ٨ / ٧٨ وشرح الشافية للرضي ص ٣٢١ والكشف لمكي بن أبي طالب ١ / ١٤٣ .

وهو في اصطلاح القراء وعلماء اللغة له تعاريفات تختلف في
اللفظ وتتحدد في المعنى .

يعرفه بعض أهل الأداء بأنه : إدخال الحرف في الحرف ودفعه
فيه حتى لا يقع بينهما فصل بوقف ولا بحركة ولكنك تعمل العضو
الناطق بهما إعمالا واحدا فيكون الحاصل منهما في اللفظ حرفا
واحدا مشددا ^(١) .

وذكر بعض علماء القراءات أنه اللفظ بمحرفين حرفا كال التالي
مشددا ^(٢) ويقول بعضهم : الإدغام : أن تصل حرفا ساكنا بحرف
متحرك فتصيرهما حرفا واحدا مشددا يرتفع اللسان عنه ارتفاعا
واحدة وهو بوزن حرفين ^(٣) .

وقال مكى بن أبي طالب : الإدغام معناه : إدخال شئ في شئ ،
فمعنى أدغمت الحرف في الحرف : أدخلته فيه فجعلت لفظه كلفظة
الثاني فصارا مثلين والأول ساكن ^(٤) .

وهذا الذي قال به علماء الأداء نقل عن اللغويين .

فينسب إلى الخليل أنه عرف الإدغام بأنه : إدخال حرف في
حرف بحيث يرتفع بهما اللسان ارتفاعا واحدة ^(٥) .

وقال ابن السراج : الإدغام هو : وصلك حرفا ساكنا بحرف
مثله متحرك من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف
فيصيران بتداخلهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة

(١) الدر النثير الورقة ٩ .

(٢) النشر ١ / ٢٧٤ وإبراز المعانى ص ٥٩ .

(٣) سراج القارئ المبتدئ ص ٤٤ .

(٤) الكشف ١ / ١٤٣ والتبصرة ص ٣٥ .

(٥) تبذيب اللغة نسبة إلى الليث ٨ / ٧٨ وانظر القول المفيد في علم التجويد ص ١٠٤ .

ويشتد الحرف ، ألا ترى أن كل حرف شديد يقوم في العروض والوزن
مقام حرفين الأول ساكن (١) .

وعرفه الرضي بقوله : وصل حرف ساكن بحرف مثله متحرك
بلا سكتة على الأول ، بحيث يعتمد بهما على المخرج اعتماداً واحدة
قوية (٢) .

وقال ابن جنى : إنما يجب أن يدغم الشئ في مثله حتى ينبو
اللسان عليهما نبوة واحدة فإذا اختلف الحرفان لم يجز الإدغام (٣)
وفي الإدغام يسوى بين لفظي الحرفين (٤) وفي الإدغام يتسمى
الحرفان (٥) .

وبهذا ندرك صلة التعاريفات الاصطلاحية بعضها ببعض
وصلتها بالمعنى اللغوى العام وهو الإدخال والتقطيع .

الهدف من الإدغام : بعد الإدغام مظهراً من مظاهر تخفيف
النطق فالفك يقتضى تكرار النطق بالحرف فينطق اللسان بالحرف
الأول ثم يعود إلى النطق بالحرف المماثل أو الجناس له مرة أخرى
وهذا أمر مستقل (لصعوبة اللفظ بالمرور على اللسان لأنه منزلة
من يمشي وهو مقيد يرفع رجله مرتين أو ثلاثاً ويردها في كل مرة إلى
الموضع الذي رفعها منه) (٦) .

وقد أشار سيبويه إلى أن ما (يشق عليهم أن يستعملوا
ألسنتهم في موضع واحد ثم يعودوا إليه فلما صعب عليهم أن

(١) الأصول في النحو ٣ / ٤٠٥ .

(٢) انظر : شرح الشافية للرضي ص ٣٣٩ ، وانظر كتب النحو الأخرى مثل الاشموني
بحاشية الصبان ٤ / ٣٤٥ ، والحضرى على ابن عقيل ٢ / ٢١٢ .

(٣) المصنف ٢ / ٩١ .

(٤) المصدر السابق ٢ / ٢٥٣ .

(٥) سر الصناعة ١ / ٦٣ .

(٦) النشر ١ / ٢١٧ بتصرف قليل وشرح الفصل ١٠ / ١٣١ والسبعة لابن مجاهد ص ١٢٥

يدار كانوا في موضع واحد ولا تكون ميّلة كثيرة وأدغموا تكون رفعة واحدة)^(١).

فهم يستقلون التضييف غاية الاستقلال إذ على اللسان كل فة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه ولهذا لم يصوغوا من الأسماء ولا الأفعال رباعياً أو خماسياً فيه حرفان أصليان متماشان منفصلان لثقل البنائي وثقل التقاء الثلين ولا سيما مع أصالتهما فلا ترى رباعياً من الأسماء والأفعال ولا خماسياً من الأسماء وفيه حرفان كذلك إلا وأحد هما زائد إما للإلحاق أو لغيره)^(٢).

ويفسر هذا التخفيف الحادث بالإدغام بأن المخرفين حال الفك يطول زمن النطق بهما أكثر من زمن النطق بالحرف المدغم في صاحبه، فالثانية أيسير وأقل زمناً وإن كان النطق بالمدغم أطول من النطق بالحرف الواحد غير المدغم)^(٣).

ويقول المحدثون : إن لكل صوت حبر كتين في أعضاء النطق إحداهما أمامية والثانية خلفية فالأولى خاصة بوضع أعضاء النطق الوضع الملائم لحدوث الصوت والثانية تعطى وضع الراحة لهذه الأعضاء ، والإدغام يوفر الحركة الثانية من الصوت الأول إذا أدمغ في الثاني المائل أو المقارب له فتصدر حال الإدغام ثلاث حركات - للصوتين - بدلاً من أربع إذ يأتي وضع الراحة - الحركة الخلفية - مرة واحدة بدلاً من مرتين)^(٤).

وبهذه المناسبة نعرض لما قيل : هل المدغم يصير حرف واحداً أو يظل حرفين ؟

(١) الكتاب ٤ / ١٧٤ بشئ من التصرف .

(٢) شرح الرضى للشافية من ٣٤١ .

(٣) شرح الشافية للجعابري ١ / ٢٣٧ .

كل النصوص السابقة التي عرضناها تذكر أن الحرفين - حال الإدغام - يصيران حرافا واحدا أو كحرف الواحد وأن اللسان يرتفع بهما ارتفاعا واحدة.

ويصرح بعض القدماء بأن (الحرف المشدد أبداً حرفان من جنس واحد الأول منها ساكن) ، (وأن المدغم أبداً حرفان الأول منها ساكن والثاني متحرك) ^(١).

ومع ذلك كلهم يعتقدون أن النطق يخف بالإدغام حتى كان الحرفين حرف واحد وسلك بذلك الرضى مسلكاً يقرب فيه الحرفين ويبالغ في صلة أحدهما بالأخر إلى حد أن يجعلهما - في نظره - حرفا واحدا لقوة الصلة الصوتية حال النطق بهما مدغمين في مكان خروجهما يقول : (والذى أرى أنه ليس الإدغام الإتيان بحرفين ، بل هو الإتيان بحرف واحد مع اعتماد على مخرجيه قوى) ، ثم يقول : (يجوز تسكين المدغم اتفاقاً إما لأنه يجوز في الوقف الجمع بين الساكنين - عند من قال هما حرفان - وإما لأنه حرف واحد - على ما اخترنا - وإن كان كالحروفين الساكنين أولهما من حيث الاعتماد التام) ^(٢).

وإذا كان غير الرضى حكموا بأن الحرفين المدغمين يصيران كحرف واحد حال النطق ، فإن الرضى حكم بأن الحرف المدغم حرفا واحدا كالحروفين الساكنين أولهما ، وهذا يعني أن للرضى موقفا يتميز بالتقريب الشديد بين الحرفين ومزجهما مزجا تماما .

(١) شرح المفصل ١٠ / ٩٩ .

(٢) شرح الشافية للرضى ص ٣٣٩ .

ونقل عن الخليل قوله : « إذا أردت مد الصوت ضعفت الحرف فقلت صل »^(١) وفي اقشعر واسبكر يقول : هما راءان أدغمت واحدة في الأخرى والتشديد علامه الإدغام^(٢).

وربما يفهم من كلام الخليل والرضي زيادة زمن النطق بالحرف الواحد لإدغام صاحبه فيه وهذا أمر لا يختلف عن نظرية القدماء الآخرين إلى حادثة الإدغام وإطالتها نطق الحرف ومزج الحرفين بحيث لا يفرق بين المخفف والمشدد إلا الزيادة الزمنية في مدة النطق وأن التشديد مد للحروف الصامتة نظير المد للحروف الصائمة^(٣).

ورأى بعض المحدثين ذلك فقال : (من الخطأ أن يقال : إنه يوجد ساكنان في أتا (ata) وساكن واحد في أتا (ala) فالعناصر المخصوصة بين الحركتين في كلتا الجموعتين واحدة : عنصر انحباسى يتبعه عنصر انفجارى ولكن بينما نجد العنصر الانحباسى في (ata) يتبعه العنصر الانفجاري مباشرة نجد أنه في (ala) ينفصل عنه بإمساك يطيل مدى الإغلاق)^(٤).

وهذا التصور في رأيهما - يرجع إلى طبيعة العملية النطقية ووحدتها فهو صامت طويلاً يشبه الحركة الطويلة التي هي ضعف الحركة القصيرة^(٥).

(فالحروف المشددة وبخاصة المتتمدة - الرخوة - بينها - لها خصائص أهمها امتداد نطقها أكثر من امتداد نطق الحروف غير المشددة)^(٦).

(١) العين ١ / ١٣ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) التطور النحوي لبرجستراسر ص ٥٣ وانظر أنس علم اللغة لماربورغى ص ١٤٦ .

(٤) اللغة لفندريس ص ٤٩ .

(٥) النهج الصوتي للبنية العربية للدكتور عبد الصبور شاهين ص ٢٠٧ .

(٦) التطور النحوي ص ٥٣ .

ونحن لا ننكر - كما ذكرنا - أن الحرف المدغم أطول زمناً من الحرف غير المدغم وذلك ما يعترف به القدماء - أيضاً - لكننا نرجع الرأي القائل بأن المشدد حرفان لا حرف واحد على الحقيقة امتد به الصوت والنطق ، لأن التقسيم المقطعي يرجع أنهما حرفان لا حرف واحد في مثل شد ومد وقد أشار بعض علماء اللغة والقراءات إلى ذلك حين ذكروا أن المشدد يقوم مقام حرفين في الوزن واللفظ^(١) . وأيد ذلك بعض المحدثين بأن المضعف حرفان يستغني به عن كتابة الحرف مكرراً^(٢) ويقسم إلى صامتين من الناحية الصرفية^(٣) .

ويقول كانطيرو : إن الحروف المضعة يتعد النطق بها فيضاها مداها مدى حرفين بسيطين تقريباً^(٤)

شروط الإدغام

هناك شرط يلزم توافرها لصحة الإدغام هي :

- ١ - وجود صوتين متقاربين خطأ لفظاً ، أو خطأ للفظاً وهما متماضيان أو متجلسان أو متقاربان ، مثل (إنه هو) فتدغم النون في النون والهاء في الهاء للتجاور ، وفي نحو (أنا نذير) لا تدغم النون من (أنا) في النون بعدها لفصل الألف بين النونين .
- ٢ - ألا يكون التضييف للإلحاق - في الاسم - كفرد أو في الفعل كجلب لأن الفرض بالإلحاق الوزن فلا يكسر ذلك الوزن بالإدغام .

(١) التمهيد في علم التجويد المورقة ٣٧ والرعاية لمكي ص ٢١٩ وسراج القارئ المبتدئ ص ٤٤ والأصول في الشعر ٣ / ٤٠٥ .

(٢) نحو وعي لغوى للدكتور مازن المبارك ص ٦٤ .

(٣) المنهج الصوتي للبنية العربية ص ٢٠٧ .

(٤) دروس في علم أصوات العربية ص ٢٥ .

- ٣ - ألا يكون الحرف الأول تاء ضمير ، سواء كان متكلماً أو مخاطباً نحو : (كنت تربا - أفأنت تسمع - خلقت طينا) إذ لا يعرف - عند الإدغام - ضمير المتكلم من ضمير المخاطب ، والضمير على حرف واحد يجحفل به الإدغام ، وما قبل الضمير ساكن ، والشرط تحركه حتى لا يجتمع ساكنان حال الإدغام ^(١) .
- ٤ - ألا يكون الحرف الأول مشدداً وإلا امتنع الإدغام مثل ردد و (رب بما - مس سقر - فتم ميقات ربه - وهم بها) لأن المشد بحرفين ، ولا يجتمع إدغامان في مكان واحد ، وهذا لا يحدث في اللغة ، فضلاً عن عدم وقوعه في القرآن الكريم .
- ٥ - ألا يكون الحرف الأول منوناً مثل (غفور رحيم - سميع عليم - سارب بالنهار) لأن التنوين حاجز قوى بين الحرفين فيمتنع الإدغام .
- ٦ - ألا يكون الحرف الأول مداً مثل (قالوا وهم) و (في يوم) فلا يبد من الإظهار ، كلاماً يذهب المد بالإدغام .
- ٧ - ألا يكون أول المجانسين أو المتقاربين حرف حلق مثل (فسبحه - فاصفح عنهم) لأن حروف الحلق تأتي بالإدغام أو يقل فيها - في أحوال خاصة - والبيان في حروف الحلق أحسن من الإدغام .
- ٨ - ألا يكون أول المجاورين هاء سكت مثل (ماليه هلك) ، فإنها لا تدغم لأن الوقف على الهاه منوي .
- ٩ - أن يتحرك ثالث المجاورين (المدغم فيه) فإن سكت امتنع الإدغام مثل : « قال الملا - فإن زلتكم - أقررتم » فالإدغام في هذا ونحوه لا يجري في الأساليب العربية - كما نبه على ذلك علماء اللغة والتجويد - فضلاً عن عدم وقوعه في القرآن .

(١) التعرير السديد الورقة ١٨

١٠ - ألا يؤدي الإدغام إلى اللبس ، كإدغام النون الساكنة في الواو أو الياء في الكلمة واحدة مثل : صنوان وقنان ، ودنيا وبيان فإذا أدمغ الصوتان التبت هذه الكلمات بضعف العين ، ولذا منع اللغويون ذلك في اللغة مثل وتد ووطد وعند وشاة زغاء فإذا أدمغت التاء والطاء والنون في الدال ، وأدغمت النون في الميم لا يعرف تركيب الكلمة . هل عين وتد ووطد وعند - حال الإدغام - دال أو طاء أو غيرهما ؟ وعينها ساكنة في الوزن أو متحركة سكت للإدغام ؟ وهل عين « زغاء » مضعفة أو لا ؟ لذا امتنع الإدغام فيما يؤدي إلى اللبس في هذا ونظائره ، وكذلك مثل شر وقصص وعدده فلو أدمغ فعل - بفتح الفاء والعين - مع خفته - لا لبس بفعل - ساكن العين فيكثر الالتباس ^(١) .

وعلى هذا يلتقي المثلان والتجانسان والمتقاربان :

فالمثلان هما : الصوتان المتحدان في الخرج والصفة كالتاين ،
والراءين ونحو ذلك .

والتجانسان هما : الصوتان المتفقان في الخرج المختلفان في
الصفة كالباء والطاء والسين والصاد .

والمتقاريان هما : الصوتان اللذان بينهما تقارب في الخرج أو
الصفة أو فيهما كالدال والسين أو الشين والذال والزاي واللام مع
الراء ^(٢) .

وإذا سكن الأول منها سميا بالمثلين أو التجانسين أو المتقاربين

(١) شرح الشافية للمرتضى ص ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢) إنحاف فضلاء البشر ص ٢١ وشرح الشاطبية ص ٣٥ وشرح الشافية للمرتضى ص ٣٤٧.

الصغير ، وإن تحرك الأول والثاني معاً سمي بالمثلين أو المتجانسين أو المتقاربين الكبير ، وإن تحرك الأول وسكن الثاني سمي الأنواع الثلاثة بالمطلق .

والموضع الثالث يمتنع معه الإدغام ، لكون الحركة فاصلة بين الحرفين كما أنها لو زالت يلتقي سakan وذلك لا يجوز^(١) .

والأول يجب فيه الإدغام في التماضيين وبعض المتجانسين والمتقاربين حسب الصور التي اتفق فيها القراء على الإدغام أو اختلفوا فيها والثاني يخضع لتعدد الأوجه في الإدغام الكبير :

ولا يمكن إدغام المتقاربين إلا بعد جعلهما متماثلين إذ لا يمكن إخراج المتقاربين من مخرج واحد لأن لكل صوت مخرجه الخاص فيلزم قلب الحرف المراد إدغامه إلى جنس ما يدغم فيه ليتوصل بذلك إلى الإدغام^(٢) .

أقسام الإدغام

جعل القراء الإدغام قسمين : صغيراً وكبيراً ..

فالصغير هو : ما سكن فيه الحرف الأول .

والكبير هو : ما تحرك فيه الحرف الأول^(٣) .

وهذا يعني أن ما يسمى صغيراً يقوم على إدغام حرفين متصلين اتصالاً مباشراً ، وما يسمى كبيراً يقوم على إدغام حرفين تفصل بينهما حركة ، ويقع الإدغام - في هذه الحال - بسقوط الحركة أولاً

(١) شرح الشافية للمرتضى ٢ / ٤٤ ، ٤٥ وشرح المفصل ١٠ / ١٢٢ ، ١٢١ .

(٢) شرح الشافية للمرتضى ٣ / ٢٣٥ وانظر : علم الأمورات عند سبوريه وعندها لشادة ص ٢٣ .

(٣) النثر ١ / ٧٤ ، والقول المفيد ص ٩٥ وإنعاف نضلاء البشر ص ٢٢ وشرح الشاطبية ص ٣٥ .

- أى بذهاب مقطع من مقاطع الكلمة ثم بإدغام أحد الحرفين فى الآخر ، وفي كلتا الحالتين لا يجوز الإدغام إلا إذا كان الحرف الثانى متبعاً بحركة ^(١) .

ويسمى ابن جنى نوعي الإدغام الصغير والكبير بالإدغام الأكبر يقول : الإدغام فى الكلام على ضربين .

أحدهما ، أن يتلقى المثلان على الأحكام التى يكون عنها الإدغام فيدغم الأول فى الآخر ، والأول من الحرفين فى ذلك على ضربين : ساكن ومتحرك ، المدغم الساكن الأصل كطاء قطع وكاف كسر الأولين والمتحرك نحو دال شد لام معتل .

والآخر ، أن يتلقى المتقاربان على الأحكام التى يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه وذلك مثل ود فى اللغة التيممية وامحى واماز واصبر واثاقل عنه ^(٢) .

ويقول بعد ذلك : فهذا حديث الإدغام الأكبر ^(٣) .

وأطلق ابن جنى مصطلح « الإدغام الأصغر » على شيء آخر هو « تقريب صوت من صوت » ^(٤) أو « تقريب الحرف من الحرف وإدناوه منه من غير إدغام يكون هناك » ^(٥) .

(١) دروس في علم أصوات العربية لكانطيتو ص ٣٩ وسمى هذا النوع من الإدغام كثيراً لتأثيره في إنسكاب المتتحرك قبل إدغامه ولشموله نوعي المثلين والمتشاربين وقيل : سمي كثيراً لكثره وقوعه ، إذ الحركة أكثر من السكون ، وقيل : لما فيه من الصعوبة ، انظر :

النشر ١ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٣) المصدر السابق ٢ / ١٤١ .

(٤) المصدر السابق ٢ / ٢٢٧ .

(٥) اختب ٢ / ٤٦ .

أحكام الإدغام الصغير

له حالتان : وجوب الإدغام وجوازه :

الحكم الأول - الوجوب:

يتحقق إذا سكن الأول وتحرك الثاني من التماضيين وذلك يكون في كلمة واحدة ، كما إذا كانت العين واللام من جنس واحد وتحركت اللام في الفعل الماضي أو المضارع أو الأمر المتصل بـألف الاثنين أو الجماعة أو ياء المخاطبة أو نون التوكيد .

مثال ذلك : مدا و مدوا و يدان و يدون و تدين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا تَمْدَنْ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مُتَعَنِّا بِهِ ﴾^(١) .

ويكون في كلمتين متصلتين - ولم يكن أولهما مدا - نحو : اسمع علما ، وما أتي من الأسماء المشبهة لل فعل في كلمة واحدة في الثلاثي صب زعم الخليل أنها فعل - بكسر العين - لأنك تقول : صببت صباة ، وكذلك الاسم الثلاثي المزيد فيه يدغم إذا وازن الفعل مثل مستعد ومود فكل منها على مثال الفعل .

(١) وقوع الثلاثين في آخر الكلمة هو الكثير الشائع ولم يبنوا ثالثتها فائده وعيته متضاعفان إلا نادرا مثل ددن وببر بل ضعفوا حيث يمكنهم الإدغام وكذلك بتماثيل العين واللام إذ الغاء لوأدغام في العين وجب إسكانه ولا يبدأ بالساكن .

وجاء ذلك في مزيد الأفعال والأسماء المزيدة الموازنة لها لكثره التصرف في الفعل قياساً فمن مزيد الفعل الثلاثي ما جاء على وزن تفعل وتفاعل مثل ترس وتنارك وتنزل وتناقل ومضارعه ومن مزيد الرباعي تفعيل مثل تدرج ، أما مزيد الثلاثي من الأفعال فالأولى في الماضي الإظهار ويجوز الإدغام مع اجتلاف همزة الوصل في الابتداء وكذلك إذا كانت فاءه مقارنة للباء في المخرج نحو اطير واثقل وحال الإدغام في الماضي يدغم المضارع والأسماء والأفعال المتصرفه منه ، وفي المضارع يجوز الإظهار والخذف والإدغام وحال الإدغام لا تجلب همزة الوصل كما في الماضي لشقل المضارع ولا يدغم إلا في الدرج ليكتفى بحركة ما قبله مثل قال تنزل ، أما في مزيد الرباعي فلا يخفف بالإدغام إذ لو أدمجت لاحتاجت إلى همزة الوصل فيؤدي إلى الشقل عند القصد إلى التخفيف والأولى إيقاؤها ويجوز حذف أحدهما (شرح الشافية للمرضي ص ٣٤١ - ٣٤٤) .

وأصل الإدغام في الأفعال للشلل الحادث فيها ، وفي الأسماء الموازنة للأفعال لشابهتها الفعل الثقيل وزنا .

فهذا واجب الإدغام عند جميع العرب الحجازيين والنيميين^(١)

وغيرهم ، فإن سكت اللام امتنع الإدغام كما في : ﴿ ضللتُ ﴾^(٢)
 ﴿ قالَ الْمَلَأُ ﴾^(٣) - ظللتُ .

وكأن تقع بعد الباء الساكنة باء متحركة مثل : ﴿ فاضرب به ﴾^(٤) « ص » ، أو بعد التاء الساكنة تاء متحركة مثل : ﴿ فَمَا رَبَحْتَ تِجَارَتَهُمْ ﴾^(٥) « البقرة » - ﴿ إِذَا طَلَعَتْ تِرَازُورُ ﴾^(٦) « الكهف » أو تقع بعد الدال الساكنة دال متحركة مثل : ﴿ وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ ﴾^(٧) « المائدة » أو بعد الذال الساكنة ذال متحركة مثل : ﴿ وَذَا الْئُونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ﴾^(٨) « الأنبياء » .

أو بعد الكاف الساكنة كاف متحركة مثل : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ﴾^(٩) « النساء » أو بعد اللام الساكنة لام متحركة مثل : ﴿ وَقُلْ لَهُمَا ﴾^(١٠) « الإسراء » أو الميم بعدها ميم كذلك مثل : ﴿ وَهُمْ مِنْ ﴾^(١١) « الروم » أو النون بعدها نون على هذا النحو : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾^(١٢) « البقرة » أو هاء بعدها هاء كذلك : ﴿ أَيْنَمَا يُوجِهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾^(١٣) « التحل » .

كما يجب الإدغام في بعض صور التجانسين والتقاربين عند القراء ومن الواجب في ذلك إدغام التاء في الدال في مثل :

(١) الكتاب ٤ / ٤١٧ - ٤١٩ (باب التضييف) .

(٢) سورة الأنعام الآية ٥٦ وسورة سبا الآية ٥٠ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٦٠ وغيرها .

﴿ أَنْقَلَتْ دُعَاً ﴿١٨٩﴾ «الأعراف»، وإدغام الذال في التاء كما في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ ﴿١٧﴾ «الصوْرَةُ»، و﴿ قَدْ تَبَيَّنَ ﴿٢٥٦﴾ «البَّقْرَةُ»، و﴿ وَلَقَدْ تَرَكَنَا ﴿٣٥﴾ «الْعَنْكَبُوتُ»، و﴿ وَلَقَدْ تَرَكَنَا هَا ﴿١٥﴾ «الْقَمَرُ» .

وإدغام التاء في الطاء مثل : ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةً ﴿٦٩﴾ «آل عمران»، و﴿ وَقَاتَتْ طَائِفَةً ﴿٧٢﴾ «آل عمران»، و﴿ فَأَمْتَ طَائِفَةً ﴿١٤﴾ «الصف» .

وإدغام الذال في الظاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعُكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ ﴿٢٩﴾ «الزخرف»، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴿٦٤﴾ «النَّسَاءُ»، وإدغام اللام في الراء مثل : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٥﴾ «طه»^(١) .
فهذا كله اتفق القراء على إدغامه .

الحكم الثاني الجواز :

ذلك في غير ما هو واجب ، فإنه يسمى الإدغام الجائز ، لوروده بصور مختلفة عند العرب تارة بالإدغام وتارة بغيره (وهو الذي جرت عادة القراء بذكره في كتب الخلاف)^(٢) .
ويجري في نوعين من الإدغام الصغير .

(١) النشر ٢ / ١٩ .

(٢) المصدر السابق ٢ / ٢ .

الأول : بعض الحروف التي تجانست مخارجها ويتمثل في إدغام حرف من الكلمة في حروف متعددة من كلمات متفرقة ، وينحصر في : إذ وقد وفاء التأنيث وهل وبل .

وفيها يجري الخلاف في الإدغام والإظهار بين القراء .

ذال إذ ^(١) : عند ستة أحرف مجتمعة في (سجن تصد) ^(٢) مما يقع بعد إذ متصركا .

مع التاء مثل قوله تعالى : ﴿إِذْ تَبَرَّا الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ ^(٣) (البقرة) و ﴿وَإِذْ تَأْذَنَ﴾ ^(٤) (الأعراف) .

مع الجيم مثل : ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ ^(٥) (المائدة) و ﴿إِذْ جَاءَ وَكُمْ﴾ ^(٦) (الأحزاب) .

مع الدال مثل : ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ ^(٧) (الكهف) و ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَارِوْد﴾ ^(٨) (ص) .

مع السين مثل : ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ ^(٩) (سور) .

مع الصاد مثل : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ﴾ ^(١٠) (الأحقاف) .

(١) يقصد بهذا ما يكون فيه ما بعد إذ متصركا مما لم يتفق القراء على إدغام ذال إذ فيه ، وهناك قسم انفقوا على إدغامها فيه - ذكرناه في الواجب - وقسم انفقوا على إظهارها فيه وذلك إذا وقع بعدها متصرك من ستة عشر حرفا يجمها قوله **ربك أحق غنى له غفو** ، أما إذا ما سكن فيه الحرف بعد إذ فتكسر له ذالها لالقاء الساكين مثل : وإذ استقى ، وإذا ابتلى بالغ .

(٢) الدر الشير الورقة ٦٤ .

مع الزاي مثل : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٦٨) .
 « الأنفال » .

أدغم ذلك أبو عمرو وهشام ، وأظهرها - عندها - نافع وابن
 كثير وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ، وأدغم في التاء والدال فحسب
 حمزة وخلف . وأدغمها في غير الجيم الكسائي وخلاد .
 وهكذا يختلف القراء .

دال قد (١) : اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ثمانية
 أحرف متحركة هي الدال والظاء والضاد والجيم والشين وحروف
 الصفيه (٢) .

مع الدال ﴿ وَلَقَدْ ذَرَانَا ﴾ (١٧٩) « الأعراف » .
 مع الظاء ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ ﴾ (١) « الطلاق » - ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكُمْ ﴾
 (٢) « ص » .

مع الضاد ﴿ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١٦٧) « النساء » .
 مع الجيم ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ (١٢٦) «
 التوبه » .

مع الشين ﴿ قَدْ شَغَفَهَا ﴾ (٣٠) « يوسف » .

(١) يقصد به ما كان ما بعد دال قد متغيراً مما اختلف فيه القراء وهناك قسم اتفقوا على
 إدغام دال قد فيه وقسم اتفقوا على إظهارها عنده ، وإذا سكن ما بعد الدال كسرت
 الدال تخلصاً من الشقاء الساكيتين مثل فقد اهتموا بالغ ، واتفق القراء على إظهار دال قد
 قبل خمسة عشر حرفاً يجمعها قوله (الغفو خير بحقك ثم) الدر النشير الورقة ٦٤ .

(٢) يجمعها أوائل كلمات هذا البيت :

مع البين ﴿ قَدْ سَمِعَ (١) ﴾ «المجادلة» ﴿ مَا قَدْ سَلَفَ (٢٢) ﴾ «النَّسَاءُ» .

مع الزاي ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا (٥) ﴾ «الملك» .
مع الصاد ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ (٣) ﴾ «الإسراء» .

تاءُ التَّائِيَّةِ (٤) :
اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف يجمعها أوائل
كلمات هذا البيت :

صَدْ جَابِرٌ ظَهِيرًا ثُمَّ زَارَنِي سَحْراً (٢)
مع الشاء : ﴿ بَعْدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾ «هُود» ﴿ كَذَبَتْ (٥) ﴾ «الحاقة» .

مع الجيم : ﴿ نَضَجَتْ جَلُودُهُمْ (٥٦) ﴾ «النَّسَاءُ» -
﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جَنُوبُهَا (٢٣) ﴾ «الحج» .

مع الزاي : ﴿ خَبَتْ زِدَانُهُمْ (٩٧) ﴾ «الإسراء» .

(١) يقصد به ما تحرك فيه ما بعد تاء التائيت ما اختلف فيه القراء وما تحرك فيه ما بعد تاء
قسم انفقوا على إدغام تاء فيه ، وهو تاء والباء ، والدال ، وقسم انفقوا على
إظهارها عنده وذلك إذا وقع بعدها خمسة عشر حرفا يجمعها قوله : «العفر غنم
حقه كبير ، فإذا سكن ما بعد تاء كسرت تاء تخلصا من تاء الماكين مثل وقالت
اليهود إلخ .

(٤) الدر النشير الورقة ٦٥ .

مع السين : ﴿ أَنْتَ سَيِّدُ سَبَعَ سَابِلٍ ﴾^(٢٦١) « البقرة » ،
 ﴿ أَقْلَتُ سَحَابًا ﴾^(٥٧) « الأعراف » .

مع الصاد : ﴿ حَسِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾^(٩٠) « النساء » في
 قراءة غير يعقوب ﴿ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ ﴾^(٤) « الحج » .

مع الطاء : ﴿ حَمَلَتْ ظُهُورَهُمَا ﴾^(١٤٦) « الأنعام »
 ﴿ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾^(١١) « الأنبياء » .

أدغم في الحروف الستة أبو عمرو وحمزة والكسائي واختلف
 بعض القراء في الإدغام والإظهار في بعضها .

لام هل وبيل :

اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف ^(١) هي : التاء
 والشاء والزاي والسين والضاد والطاء والظاء والنون ، منها خمسة
 تختصر بيل وهي الزاي والسين والضاد والطاء والظاء وواحد يختصر
 بهل وهو الشاء وحرفان مشتركان فيهما معاً وهما التاء والنون .

الخاص بهل :

مع الشاء : (هل ثوب الكفار) قرأ أبو عمرو والكسائي
 وحمزة وابن محيصن (هثوب) فأدغم اللام في الشاء ^(٢) .

(١) جمعت المروف الثمانية في أوائل كلمات هذا البيت :
 تقول سلمي ضاع طالبوك نأيت ظلماً ثم زايسلاوك
 - الدر النشير الورقة ٦٦ .

(٢) سورة المطففين ٣٦ والكتاب ٤/٣٥٩ وقرأ الجميمبور بإظهار لام هل وانظر البحر
 . ٤٤٣/٨

الخاص بـ**بـل** :

مع الزاي : ﴿ بـلْ زِينَ لـلّذـيـنَ (٢٣) ﴾ « الرعد » - ﴿ بـلْ زـعـمـتـمْ (٤٨) ﴾ « الكـهـفـ » .

مع السين : ﴿ بـلْ سـوـلـتـكـمْ (١٨) ﴾ « يـوسـفـ » .

مع الضاد : ﴿ بـلْ ضـلـلـوا عـنـهـمْ (٢٨) ﴾ « الأـحـقـافـ » .

مع الطاء : ﴿ بـلْ طـبـعـ (١٥٥) ﴾ « النـسـاءـ » .

مع الطاء : ﴿ بـلْ ظـنـنـتـمْ (٦٢) ﴾ « الفـتـحـ » .

المشترك بينهما :

مع التاء : ﴿ هـلْ تـنـقـمـونـ مـنـاـ (٥٩) ﴾ « المـائـدـةـ » - ﴿ هـلْ تـعـلـمـ (٦٥) ﴾ « مـرـيمـ » - ﴿ بـلْ تـأـتـيـهـمـ بـغـتـةـ (٤٠) ﴾ « الـأـنـبـيـاءـ » - ﴿ بـلْ تـؤـثـرـونـ (٦٦) ﴾ « الـأـعـلـىـ » .

ومن ذلك قول مزاحم العقيلي :

فـدـعـ ذـاـ وـلـكـنـ هـتـعـيـنـ مـتـيـماـ عـلـىـ ضـوءـ بـرـقـ آخرـ اللـيـلـ نـاصـبـ
يرـبـدـ هـلـ تـعـيـنـ (١) .

مع السون : ﴿ هـلْ نـحـنـ مـنـظـرـونـ (٢٠٣) ﴾ « الشـعـراءـ » -
﴿ هـلْ نـبـئـكـمـ (١٠٣) ﴾ « الـكـهـفـ » - ﴿ بـلْ تـتـبـعـ (١٧٠) ﴾ « الـبـقـرةـ » -
﴿ بـلْ تـقـدـفـ بـالـحـقـ عـلـىـ الـبـاطـلـ (١٨) ﴾ « الـأـنـبـيـاءـ » .

أـدـغـمـ الـلـامـ مـنـهـمـاـ فـيـ الـأـحـرـفـ الـثـمـانـيـةـ الـكـسـائـيـ وـاـخـتـلـفـ
الـآـخـرـونـ إـدـغـامـاـ وـإـظـهـارـاـ ، وـهـذـاـ كـلـهـ فـيـمـاـ كـانـ سـكـونـ الـحـرـفـ الـأـوـلـ

فيه سكوناً أصلياً^(١) وهذا الإدغام جائز عند المقويين لأن هذه الحروف - عدا الجيم - تخرج من بين الشايا أو أطراها وطرف اللسان فمخارجها متقاربة إلى جانب تقاربها في بعض الصفات مما يجعل الإدغام سائغاً.

والجيم من وسط اللسان متقاربة مع طرفه ، وليس في الأصوات التي تدغم فيها اللام انحراف كاللام ومع ذلك يجوز فيها الإدغام لأنها قريبة من مخرج اللام إذ هي من حروف طرف اللسان^(٢) واللام تدغم في النون والبيان أحسن لأنه قد امتنع أن يدغم في النون وأدغمت فيه سوى اللام فكأنهم يتوجسون من الإدغام فيها^(٣) .

والضاد والشين يجوز إدغام اللام فيهما لاتصال مخرجيهما وجاء مع الشين قول طريف بن نعيم العنبرى :

تقول إذا استهلكت مالا للذلة فكيف هشى بكميك لائق
يريد : هل شئ فأدغم اللام في الشين .

ولكن هذا الإدغام أضعف من سابقه لأن مخرج الضاد من أول حافة اللسان والشين من وسطه^(٤) وفي ذلك بعد عن مخرج اللام لا يتكيف معه .

النوع الثاني من الإدغام الصغير عند القراء :

إدغام حرف في حرف من الكلمة أو كلمتين حيث وقع ذلك فيما أطلق عليه حروف قربت مخارجها .

(١) ويتحقق بهذا القسم من حيث إنه ساكن الأصل دال الصاد من كهيعص ونون الشين من طسم في السورتين : انظر الدر الشير الورقة ٦٣ (باب الإظهار والإدغام للحروف السواكن) .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ بتصريف .

(٣) المصدر السابق ٤ / ٤٥٦ .

(٤) المصدر السابق ٤ / ٤٥٨ .

وهذا فيما يكون فيه للحرف الأول أصل في التحرير ولكن استعمل في الكلام الذي هو فيه ساكناً لسبب وهذا ما نسميه بالسكون العارض^(١).

وجملة الحروف التي تدخل تحت هذا القسم تنحصر في ضربين :

الأول، أن يكون الحرف المدغم والحرف المدغم فيه في الكلمة واحدة وذلك : الثناء قبل التاء في قوله تعالى : ﴿ وَنَوْدُوا أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورْثَمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٢) « الأعراف » - ﴿ وَتِلْكُ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورْثَمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) « الزخرف » - ﴿ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مائةَ عَامٍ ﴾^(٤) « البقرة » - ﴿ وَتَظَنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٥) « الإسراء » - ﴿ وَلَبِثْتَ فِيَّا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾^(٦) « الشعراة » - أظهر ذلك الحرميان^(٧) وعاصم والإظهار حسن لأنه الأصل وأدغم الباقيون^(٨).

والذال قبل التاء وهو أصل مطرد .

فالأصل ما جاء من لفظ ﴿ أَخْذَتْهُ ﴾^(٩) « الأنفال » و ﴿ أَتَخْذَتُمْ ﴾^(١٠) « البقرة » و ﴿ لَا تَخْذَلْتُمْ ﴾^(١١) « الكهف » أظهره ابن كثير وحفص .

والكلمتان : ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾^(١٢) « طه » و ﴿ عَذْتُ ﴾^(١٣)

(١) انظر الدر الشير الورقة ٦٣ .

(٢) ابن كثير ونافع .

(٣) البسيط ص ٢٤ وإبراز المعنى ١٤٧ - ١٤٨ والنشر ٢/١٦، ١٧ .

« الدخان » أَدْغَمَهُمَا أَبُو عُمَرُ وَحِمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَأَظْهَرَ
الباقون ^(١).

الثاني : أن يكون الحرف المدغم والحرف المدغم فيه من كلمتين
وهو سبعة أنواع :

١ - الباء قبل الفاء في خمسة مواضع في القرآن منها :

﴿ أَوْ يَغْلِبْ فَسُوفَ تُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(٢) « النساء »
و ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ ﴾ ^(٣) « الرعد » أَدْغَمَ ذَلِكَ
أَبُو عُمَرُ وَالْكَسَائِيُّ وَخَلَادٌ ، قَالَ سِيبُوِيْهُ : (الباء تدغم في الفاء
للتقريب ولأنها قد صارت الفاء فقويت على ذلك لكثره الإدغام في
حروف الفم) ^(٤).

٢ - الباء قبل الميم في موضعين :

﴿ وَيُعَذَّبْ مِنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٥) « البقرة » قرأ عاصم وابن عامر
برفع الباء فلزم الإظهار على قراءتهما وجزم الباقون فأظهره ورش
وأَدْغَمَ الباقون ، ولا خلاف - كما يقول السيرافي - في إدغام الباء
في الميم .

ومثله : ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ﴾ ^(٦) « هود » أَظْهَرَهُ وَرَشَ
وابن عامر وخلف وأَدْغَمَهُ الباقون .

٣ - الفاء قبل الباء مثل قوله تعالى :

﴿ تَخْسِفْ بِهِمْ ﴾ ^(٧) « سَأُ » أَدْغَمَهُ الْكَسَائِيُّ وَأَظْهَرَهُ
الباقون .

(١) انظر النشر ٢ / ١٦.

(٢) الكتاب ٤ / ٤٨ ، والتيسير ٤٣.

والإظهار في ذلك أحسن لأنهما منفصلان وأن التفشي الذي في الفاء يذهب مع الإدغام وأن الفاء تخرج من الشفتين إلى الفم ولها اتصال بالثنايا العليا فخالفت الباء في الخرج بعض المخالفة^(١).

وتوصف قراءة الإدغام بالشذوذ - في نظر النحاة - لأن الفاء لا تدغم في الباء لأنها من باطن الشفة السفلية وأطراف الشايا العليا وانحدرت إلى الفم وقد قاربت من الثنايا مخرج الشاء وإنما أصل الإدغام في حروف الفم والسان لأنها أكثر الحروف وكما أن الشاء لا تدغم في الباء فلا تدغم الفاء فيها^(٢).

٤ - اللام قبل الذال في ستة مواضع في القرآن منها قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾^(٣) « البقرة » .

﴿ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾^(٤) « آل عمران » .

أدغم الجميع أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي من أصحاب الكسائي^(٥) وأظهر الباقيون .

٥ - الثناء قبل الذال مثل :

﴿ يَلْهَثُ ذَلِكَ ﴾^(٦) « الأعراف » أظهره الحرميان وهشام بخلاف عن قالون وأدغم الباقيون .

قال مكى : وعلة الإدغام هي أن الذال أقوى من الثناء كثيراً لأن الذال مجهرة والباء مهمومة رخوة فحسن انتقال الأول إلى القوة بالإدغام والإظهار حسن لأنه الأصل^(٧).

(١) الكشف ١/١٥٥ بتصريف .

(٢) الكتاب ٤/٤٤٨ .

(٣) ت ٤٢٠ هـ وانظر إدغام القراء ص ٥٣ حيث روى أبو الحارث ذلك عن الكسائي .

(٤) الكشف ١/١٥٧ والنشر ٢/١٥ وتحبير التسبيح ٤ وانظر شرح المفصل ١٢١/١٠ .

٦ - الدال قبل الثناء :

﴿ وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ (١٤٥) ﴾ فِي مَوْضِعَيْنِ فِي آلِ عُمَرَانَ أَظْهَرَ
الْحَرْمَيْانَ وَعَاصِمَ وَأَدْغَمَ الْبَاقِونَ .

٧ - الراء قبل اللام وهو كثير في القرآن كقوله تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ (٤٨) ﴾ « الْقَلْمَنْ » ، ﴿ وَيَسِّرْ لِي
(٢٦) ﴾ « طَهْ » ، ﴿ يَنْشُرْ لَكُمْ (١٦) ﴾ « الْكَهْفَ » .
اختلف في القراءة ﴿ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِّيًّا
(٦٥) ﴾ « مَرِيمَ » (١) .

ويرى اللغويون أن الراء لا تدغم في اللام لأنها مكررة وهي تفشي إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجعلوها بها فتدغم مع ما ليس يتفسى في الفم مثلها ولا يكرر مثل اجبر لبطة والعكس جائز بأن تدغم اللام في الراء لأنك لا تخل بها كما كتب مخلابها لرأدغمتها فيها ولتقاربها مثل : هرأيت (٢) .

٨ - ومن ذلك : الدال قبل الذال مثل :

﴿ كَهِيَعْصَنَ (١) ذِكْرَ (٢) مَرِيمَ ، أَدْغَمَهَا أَبُو عُمَرُ وَابْنُ عَامِرٍ وَحِمْزَةَ وَالْكَسَائِيَّ وَخَلْفَ وَقَرْأَ الْبَاقِونَ بِالْإِظْهَارِ .

٩ - والنون قبل الواو مثل :

﴿ يَسَ (١) وَالْقُرْآنَ (٢) أَدْغَمَهَا الْكَسَائِيَّ وَيَعْقُوبَ

(١) إدغام اللام في الراء جائز حسن مثل : اشغل رحمة لقرب المخرجين ولأن في الراء انعراجاً نحو اللام قليلاً وقاربتها في طرف اللسان ، وهو في الشدة وجري الصوت سواء . وليس بينهما فاصل من الخارج الأخرى . انظر الكتاب ٤٤٨ / ٤ ، ٤٥٢ .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٤٨ .

وخلف وهشام وقطع بالإدغام عند جمهور العراقيين وقرأ بعضهم
بالإظهار^(١).

وكذلك النون قبل الياء مثل **فَمَنْ يَعْمَلُ** (٢) «الزلزلة».

وتدغم النون في الواو بفتحة وبلا غنة لأن مخرج الواو في رأي
القدماء من الشفتين وهي أقرب إلى الحروف التي تدغم فيها النون
وهي اللام والراء فاحتملت الإدغام كما احتملته اللام والراء.

وتدغم النون مع الياء بفتحة وبلا غنة لأن الياء أخت الواو
ولقرب مخرج الياء إلى مخرج الراء من طرف اللسان ولذا نرى الألشع
يبدل الراء أو اللام ياء لقربها منها^(٣).

وسكون الحرف المدغم هنا عارض فما ورد هنا من صيغ الفعل
الماضى أصله البناء على الفتح وإنما سكن لاتصال ضمير الرفع به ،
وما جاء من صيغ المضارع أصله التحرير بالرفع وسكن أحيانا
للجزم ، وما جاء بصيغة الأمر وإن كان مبنياً على السكون هو فى
حكم المغير من لفظ المضارع الذى أصله الرفع^(٤) فهو فى حكم
المحرك ثم غير فلزمه السكون .

وليس ذال إذ ودال قد وباء التأنيث ولا مهل وبلا ما أصله
الحركة ولا فى حكم ما أصله الحركة .

(١) انظر النشر ١٧ / ٢ ، ١٨ ، وقد جاء هذا النوع من الإدغام في الحروف التي قربت
مخارجها في غير ما ورد من ذلك .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٥٣ .

(٣) انظر النشر ١ / ١٢ .

أحكام الإدغام الكبير

إذا كان الحرفان المجاوران محركون فإن القراء يظهرون الحروفين دون إدغام ما عدا أبا عمرو بن العلاء فقد اشتهر عنه الإدغام في هذه الحال ، فهو المنسوب إليه والختص به من الأئمة العشرة .

وليس الإدغام الوارد عنه على سبيل الوجوب بل على سبيل الجواز فالإدغام رواية من روایاته ووجه من وجوه قراءته فمن شاء قرأ به ومن شاءقرأ بالإظهار ^(١) .

وليس أبو عمرو منفرداً به بل قد ورد أيضاً عن الحسن البصري وأبن محىصن والأعمش وطلحة بن مصرف وعيسي بن عمر وسلامة بن عبد الله الفهري وسلامة بن محارب السدوسي ويعقوب الحضرمي وغيرهم ^(٢) .

(١) ولذلك الكتب وبعضاً أئمّة القراءة في ذكره طرقاً منها من لم يذكره أئمّة كابن مجاهد في السبعة ونمكي في التبصرة ومنها من ذكره في أحد الرجالين عن أبي عمرو بكماله من جميع طرقه وهم جمهور العراقيين وغيرهم ومنها من ذكره عن الدورى والسوسي معاً كأبي معاشر الطبرى في تلخيصه ومنها من خص به السوسي وحده كصاحب التيسير ومنها من ذكره عن غيرهما من أصحاب البزيدى وشجاع عن أبي عمرو كصاحب التجريد ، وثبت عن أبي عمرو مع الإدغام وعدمه ثلاث طرق : الأولى : الإظهار مع الإبدال - وهو أحد الأرجح ثلاثة عند جمهور العراقيين عن أبي عمرو بكماله وأحد الرجالين عن السوسي في التجريد والتذكرة .

الثانية : الإدغام مع الإبدال وهو الذي في جميع كتب أصحاب الإدغام من روایتي الندرى والسوسي جميئاً وهو الذي عن السوسي في التذكرة وقال أبو الفتح فارس بن أحمد : وكان أبو عمرو يقرره بهذه القراءة الماهر التحرير الذي عرف وجوه القراءات ولغات العرب .

الثالثة : الإظهار مع الهمزة وهو الأصل عن أبي عمرو والثابت عنه عن جميع الطرق وقراءة العامة من أصحابه وهو الوجه الثاني عن السوسي في التجريد ، النشر ١ / ٢٧٦ .

ووافق بعضهم أبا عمرو في مواضع كحمزة فقد وافق أبا عمرو على إدغام التاء في أربعة مواضع واختلف عن خلاد عنه وإن قرأ الدانى عليه ووافقه يعقوب على إدغام الياء في موضع واحد وكذلك رويس على إدغام أربعة أحرف بلا خلاف^(١).

ويعرف هذا الإدغام لدى علماء الأداء باسم (الإدغام الكبير) ويأتي في التماثلين والتجانسين والمتقاربين في الكلمة وفي كلمتين.

المثالان:

في كلمة واحدة^(٢):

يأتي المثالان حقيقة ومجازاً.

فالحقيقة كالباءين في ﴿ سِبَا (٨٤)﴾ «الكهف» والراءين في ﴿ بَرْرَة (١٦)﴾ «عبس» والقافين في ﴿ يُشَاقِّ (١٣)﴾ «الأنفال» والصادين في ﴿ الْقَصْصَ (١٧١)﴾ «الأعراف».

فالمثالان في جميع ذلك في الكلمة واحدة والمكرر حرفان هما عين الكلمة ولامها.

والمجاز مثل الباءين في ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّكُم (١٥)﴾ «الأعراف» والكافين في ﴿ سَلَكْتُكُم (٤٢)﴾ «المدثر» و﴿ مَنَاسِكُكُم (٢٠)﴾ «البقرة» والتونين في ﴿ يَعْبُدُونَنِي (٥٥)﴾ «النور» والهاءين في ﴿ وَجْهَهُ (١١٢)﴾ «البقرة» فالأول من المثلين هو لام الكلمة ومن ثامها والثانى ضمير متصل به ولو فصلته منه لم

(١) النشر ١/٢٠٠.

(٢) يشترط فيما يقع في الكلمة أن يكون المدغم فيه أكثر من حرف فإذا كان واحداً امتنع الإدغام مثل (الذى خلقك - نحن نرزقك).

تختل الكلمة : مناسك - سلك - يعيدون - وجهه - بينة والباء الأولى في (بينة) حرف جر اتصلت بفاء الكلمة فأشبّهت المثلين في الكلمة .

أدغم أبو عمرو من ذلك : مناسككم - في البقرة - وما سلككم - في المدثر ، ووجه الإدغام في ذلك : أنه استقل اجتماع المثلين مع ما في ذلك من الطول بلحاق ضمير الجمع وتحريك ما قبل الكاف الأولى ، واختلفت الروايات عنه في إدغام **بِشِرْكُمْ** في فاطر ^(١) وأظهر ما عدّها نحو : **جَاهُهُمْ** ^(٢) « التوبية » - **وْجُوهُهُمْ** ^(٣) **وْجُوهُهُمْ** ^(٤) ^(٥) « آل عمران » - **أَتَحَاجُونَا** ^(٦) ^(٧) « البقرة » وشبهه ، وروى أن ما التقت فيه الهاean هو ما يدغم فيه أبو عمرو ويظهر .

وقيل : إن رواية الإدغام في المثلين جاءت في تسعه وعشرين موضعًا في القرآن الكريم وما التقى فيه المثلان في كلمة غيرها فلا إدغام فيه نحو (يعبدونني) **يَهُدُونَا** ^(٨) « التغابن » و **ما أَفْتَلُوا** ^(٩) « البقرة » - **يَقْتَلُانِ** ^(١٠) **القصص** « لعدم الرواية ولأن الإظهار هو الأصل ^(١١) .

المثلان في كلمتين :

يأتي ذلك في حرفين : أحدهما في آخر الكلمة الأولى والثانى في أول الكلمة التي بعدها وهما متحركان - على شرط هذا النوع

(١) انظر الدر النثير الورقة ١٥ (باب بيان مذهب أبي عمرو في الإدغام الكبير) .

(٢) انظر المعجم المفهرس ٢ / ٨٢٨ ، ٨٣٩ .

(٣) انظر النشر ١ / ٨٢٠ .

(٤) لأنه أكثر ولأنه يحدث حال الرقف والإخراج كل حرف وحده . الكشف ٣٥٨ .

من الإدغام - مثل : ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) مَالِكٌ ﴿ الفاتحة ﴾ -
﴿ يَشْفَعُ عِنْدَهُ ﴾ (٢٥٥) ﴿ الْبَقْرَةُ ﴾ .

والواقع أن بعض الحروف لقي مثيله في القرآن وبعضها لم يلق
مثيله فيه .

فالضرب الذي لم يلق مثيله من الحروف في كلمتين في القرآن
عشرة أحرف هي :

الطاء والدال والصاد المهملات والخاء والضاد والشين والظاء
والذال المعجمات والجيم والزاي (١) .

والضرب الذي لقي مثيله من كلمتين باقى الحروف وهي ثمانية
عشر حرفًا يجمعها قوله : « حسن فعلك أثبته غير قوم » :

١ - الهمزة : التقى المثلان فيها في القرآن في مواضع كثيرة -
مع اتفاقهما في الحركات واختلافهما - نحو : ﴿ جَاءَ أَجْلَهُمْ ﴾
﴿ (٢٣) الأعراف﴾ و ﴿ هُؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ (٣١) ﴾ ﴿ الْبَقْرَةُ ﴾ و
﴿ أُولَيَاءُ أُولَئِكَ (٢٢) ﴾ ﴿ الْأَحْقَافُ ﴾ و ﴿ شَهَدَاءِ إِذْ حَضَرَ (١٣٣) ﴾
﴿ الْبَقْرَةُ ﴾ و ﴿ مِنْ وَعِاءِ أَخِيهِ (٢٦) ﴾ ﴿ يُوسُفُ ﴾ و ﴿ كُلُّ مَا جَاءَ
أَمَّةً (٤٤) ﴾ ﴿ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ و ﴿ السُّفَهَاءُ أَلَا (١٢) ﴾ ﴿ الْبَقْرَةُ ﴾ و
﴿ يَشَاءُ إِلَيْ (١٤٢) ﴾ ﴿ الْبَقْرَةُ ﴾ ولم يدغم شيء من ذلك .

وبعض العرب والقراء يتحققما معاً وهؤلاء يحتملون ثقل
اجتماعهما وبعضهم استقلهما فعدل إلى تسهيل إحداهم وإلى
ذلك عدل أبو عمرو بقراءة التسهيل .

(١) الدر النثير الورقة ١٦ وانظر الشر ١ / ٤٨٠ .

ويقول سيبويه : « ليس من كلام العرب أن تلتقي الهمزتان فتحققان فإن كانتا متحركتين فمنهم من يخفف الأولى دون الثانية لكونها آخر الكلمة والأوآخر محل التغير وهو قول أبي عمرو ^(١) .

وقال ابن جنی : « الهمزة الخففة هي التي تسمى همزة بين وبين ومعنى قول سيبويه بين بين أى بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها إن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو إلا أنها ليس لها فكـنـ الـهـمـزـةـ الـحـقـقـةـ وهـيـ معـ ماـ ذـكـرـنـاـ منـ أـمـرـهـاـ فـيـ ضـعـفـهـاـ وـقـلـةـ عـكـنـهـاـ بـزـنـةـ الـحـقـقـةـ وـلـاـ تـقـعـ الـهـمـزـةـ الـخـفـفـةـ أـوـأـلـاـ أـبـدـاـ ^(٢) .

وإذا سهل أبو عمرو إحدى الهمزتين حذف الأولى إن كانتا متفتتـيـ الحـرـكـةـ فـيـنـدـعـ بـذـلـكـ اـجـتـمـاعـ المـثـلـيـنـ وـيـسـهـلـ الـثـانـيـةـ بـيـنـ الـهـمـزـةـ وـالـحـرـفـ الـذـيـ مـنـهـ حـرـكـتـهـ وـيـسـتـفـنـيـ بـذـلـكـ عـنـ الإـدـغـامـ .

باء في الباء : تدغمان في سبعة وخمسين موضعـاـ منها :

﴿الكتاب بآيديهم﴾ ^(٧٩) ، ﴿البقرة﴾ ، و﴿نزل الكتاب بالحق﴾ ^(١٧٦) ، ﴿البقرة﴾ ، - ﴿لذهب بسمعهم﴾ ^(٢٠) ، ﴿البقرة﴾ ، و﴿أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ ^(٥٥) ، ﴿النساء﴾ ، و﴿العذاب بما﴾ ^(٣٥) ، ﴿الأنفال﴾ ، و﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ ^(٥٦) ، ﴿يوسف﴾ ، و﴿فيصيب بها من يشاء﴾ ^(١٣) ، ﴿الرعد﴾ ، و﴿زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون﴾ ^(٨٨) ، ﴿النحل﴾ ، و﴿إلا أن كذب بها﴾ ^(٥٩) ، ﴿الإسراء﴾ - إلى غير ذلك .

(١) شرح الشافية ص ٢٧٣ .

(٢) سر الصناعة ١ / ٥٣ ، ٥٤ .

الباء في التاء :

تدغم التاء في مثلها كيف ما كانت حركتها سواء سكن ما قبلها أو تحرك سواء كانت متصلة بالاسم للتأنيث . وبدل في الوقف هاء أو لم تكن كذلك مالم تكن ضمير التكلم أو المخاطب متصلة كان الضمير أو منفصلأ .

وجملة ما ورد في القرآن من التاءات المذكورة أربعة عشر موضعأ منها في المائدة : ﴿ فَاصابتكم مصيبة الموت تحسونهما من بعد الصلاة (٢٦) ﴾ وفى الأنعام ﴿ الموت توفته (٦١) ﴾ وفى الأنفال ﴿ الشوكة تكون (٢) ﴾ ، وفى يوسف ﴿ والآخرة توفى (٢١) ﴾ . وفى مريم ﴿ الخلة تساقط (٢٥) ﴾ ، وفى المؤمنون ﴿ يوم القيمة تبعثون (٦) ﴾ .

الباء في الشاء :

جملته في القرآن ثلاثة مواضع هي :

﴿ حيث ثقفت موسهم (١٩١) ﴾ ، البقرة ١٩١ .. والشأن ١٩١ و ﴿ ثالث ثلاثة (٢٢) ﴾ « المائدة » .

الحاء في الحاء :

ليس في القرآن إلا موضعان : أحدهما في البقرة ﴿ عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله (٢٣٥) ﴾ ، والثاني في الكهف : ﴿ لا أُبرح حتى (٦٠) ﴾ .

الراء في الراء :

سواء تحرك ما قبلها أو سكن تدغم عند أبي عمرأ وجملته في القرآن خمسة وثلاثون موضعأ منها :

في البقرة : ﴿ شهر رمضان ﴿٨٥﴾ وفى المائدة : ﴿ أو
تحرير رقبة ﴿٤٩﴾ وفى النحل : ﴿ أو يأتى أمر ربك ﴿٣٣﴾ وفى
الزمر : ﴿ بنور ربها ﴿٦٩﴾ وفى غافر : ﴿ لننصر رسلانا ﴿٥١﴾ إلخ .

السین فی السین :

جملتها في القرآن ثلاثة مواضع :

ففي الحج : ﴿ الناس سکاری ﴿٢﴾ - ﴿ الناس سواء
﴿٢٢﴾ وفى نوح ﴿ الشمس سراجا ﴿١١﴾ .

العین فی العین :

جملته في القرآن ثمانية عشر موضعًا منها في البقرة :
 ﴿ يشفع عنده ﴿٢٥٥﴾ ، وفى آل عمران : ﴿ لا أضيع عمل
عامل ﴿١٩٥﴾ وفى المائدة : ﴿ تطلع على خائنة ﴿١٣﴾ وفى
الأعراف ﴿ ينزع عنهما ﴿٢٧﴾ - ﴿ قد وقع عليكم ﴿٧١﴾ -
 ﴿ ريطبع على قلوبهم ﴿١٠﴾ - ﴿ ولما وقع عليهم ﴿١٣٤﴾ -
 وفي يومن : ﴿ نطبع على ﴿٧٤﴾ وفى الكهف : ﴿ تطلع على
قوم ﴿٩٠﴾ وفى الحج : ﴿ يدافع عن ﴿٢٨﴾ - ﴿ أن تقع على
الأرض ﴿١٥﴾ - وفى القيامة : ﴿ نجمع عظامه ﴿٩﴾ .

الغین فی الغین :

مثلها في آل عمران خاصة : ﴿ ومن يستغ غير الإسلام دينه
فلن يقبل منه ﴿٨٥﴾ ^(١) وهو من المعنى أي الذي التقى فيه مثلان

(١) انظر النشر ١ / ٢٨١ والدر الشير الورقة ٢١ .

بسبب حذف وقع في نهاية الكلمة الأولى فأصل (يَسْتَغْ) : يَسْتَغْ
فُحِذَفَتْ لام الفعل حال المجزم فالمعنى المشلان .

الفاء في الفاء :

وجملته في القرآن ثلاثة وعشرون موضعًا ، منها في البقرة :
﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ ﴾ (٢٠٢) ويونس : ﴿ خَلَائِفٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ (١٤)
؛ إبراهيم : ﴿ كَيْفَ فَعَلَنَا بَهُمْ ﴾ (٥) والإسراء : ﴿ كَيْفَ فَضَلْنَا
١٣) ﴿ وَالْكَهْفَ : ﴿ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا ﴾ (١٠) ﴿ وَالْأَحْزَابَ :
﴿ وَقَدْ فَيْ قُلُوبَهُمْ ﴾ (٢٦) ، والخشر ٢ ، والمطففين : ﴿ تَعْرِفُ فِي
رِجُولِهِمْ ﴾ (٢٤) .

الكاف في القاف :

جملته في القرآن خمسة مواضع : منها في الأعراف :
﴿ وَالطَّيَّابَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قَلَ ﴾ (٣٢) - ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سَبَحَانَكَ
١٤٢) ﴿ - وَفِي التَّوْبَةِ : ﴿ يَنْفَقُ قَرْبَاتٍ ﴾ (٩٩) - ويونس :
﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرْقَ قَالَ ﴾ (٩) ، والجن : ﴿ طَرَايْقَ قَدَدا
١١) .

الكاف في الكاف :

سواء تحرك ما قبلها أو سكن تدغم عند أبي عمرو وجملته في
القرآن ستة وثلاثون موضعًا ، منها في سورة آل عمران : ﴿ وَادْكُرْ
رِبَكَ كَثِيرًا ﴾ (٤) ويونس : ﴿ كَذَلِكَ كَذَبَ ﴾ (٣٩) والنحل :
﴿ أَمْ رِبَكَ كَذَلِكَ ﴾ (٣٣) والمعجم : ﴿ عَنْدَ رِبِّكَ كَأَلْفَ ﴾ (٤٧)
والعنكبوت : ﴿ إِلَّا امْرَأَتُكَ كَانَتْ ﴾ (٣٣) .

اللام في اللام :

جملته في القرآن مائتا حرف وخمسة عشر حرفاً سوى المختلف فيه مثل : ﴿ يخل لكم ﴾ (١٢) « يوسف » (١) ومن المتفق عليه في سورة إبراهيم : ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس ﴾ (٢٥) ، والحجر : ﴿ قال لم أكن لأسجد ﴾ (٢٣) والروم : ﴿ لا تبديل خلق الله ﴾ (٢٠) وفاطر : ﴿ فلا مرسل له ﴾ (٢) ، والقتال : ﴿ سول لهم ﴾ (٢٥) والذاريات : ﴿ إذ قيل لهم ﴾ (٤٣) ، والجادلة : ﴿ إذا قيل لكم تفسحوا ﴾ (١١) .

الميم في الميم :

يدغمان مطلقاً - عند أبي عمرو - وجملته في القرآن مائة وتسعة وثلاثون موضعأ منها في أم القرآن : ﴿ الرحيم مالك (٤٣) والأنفال : ﴿ اليوم من الناس ﴾ (٤٨) ، ويونس : ﴿ فمن أظلم ممن (١٧) وإبراهيم : ﴿ تعلم ما تخفي ﴾ (٣٦) ، ولقمان : ﴿ ويعلم ما في الأرحام ﴾ (٢٤) والأحزاب : ﴿ يعلم ما في قلوبكم ﴾ (٥١) .

النون في النون :

تخرك ماقبلها أو سكن تدغم عند أبي عمرو وجملته في القرآن سبعون موضعأ منها في الأنفال : ﴿ الفئان نكس ﴾ (٤٨) وإبراهيم : ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ (١) ، والإسراء : ﴿ نحن

(١) فكل موضع التقى فيه مثلان بسبب حذف حرف من آخر الكلمة الأولى يجوز فيه عند الأداء عن السوسي الوجهان الإظهار والإدغام .

نرزقهم (٢١) وطه : ﴿ نحن نرزقك (١٣٢) . ﴾ والأنبياء : ﴿ لا
يستطيعون نصر أنفسهم (٤٣) ﴾ والحج : ﴿ كان نكير (٤٤) ﴾ (١)
والزخرف : ﴿ الرحمن نقىض (٢٦) ﴾ والرحمن : ﴿ فيهما عينان
تضاختان (٦٦) ﴾ .

الهاء فى الهاء :

يدغمها أبو عمرو فى مثلها إذا كانت من كلمتين سواء كانت
الأولى ضميراً أو غير ضمير سواء كان قبلها حرف متحرك أو
ساكن وإن كانت فى الإضمار موصولة حذف الصلة ثم أسكنها
فى جميع ذلك وأدغمها نحو : ﴿ فالله هو الولى (٩) ﴾
« الشورى » - ﴿ ففى رحمة الله هم (١٧) ﴾ « آل عمران » -
﴿ أخاه هرون (٥٢) ﴾ « مريم » . وجملته فى القرآن أربعة وتسعون
حرفأً منها فى النساء : ﴿ فكلوه هنبا (٤) ﴾ والأنعام : ﴿ قل
إن هدى الله هو الهدى (٧١) ﴾ - والأعراف : ﴿ لأخيه هارون
(١٤٢) ﴾ ويونس : ﴿ سبحانه هو الغنى (١٦٠) ﴾ وهو د : ﴿ غيره
هو أنشاكم (١١) ﴾ والمؤمنون : ﴿ وأخاه هرون (٥) ﴾ والنمل :
﴿ كأنه هو (٤٢) ﴾ - والعنكبوت : ﴿ إنه هو العزيز (٢١) ﴾ -
والصفات : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين (٧٧) ﴾ وف : ﴿ وقال
قرينه هذا (٢٢) ﴾ .

الواو فى الواو :

جملته فى القرآن ثمانية عشر حرفاً وهى على ضربين :
أحددهما : أن يسكن ما قبلها فلا خلاف فى إدغامها ، وذلك فى

(١) وسورة سباء ٤ وسورة فاطر الآية ٢٦ .

خمسة مواضع منها في الأنعام : ﴿ وَهُوَ زَلِيلٌ (٧) -
والأعراف : ﴿ خذ العفو وأمر (١٩٩) .

والضرب الثاني : أن يضم ما قبلها وهو باقي العدد منها في
البقرة : ﴿ هُوَ الَّذِينَ آتَيْنَا مَعَهُ (٢٤٩) - وآل عمران : ﴿ هُوَ
والملائكة (١٨) - والأنسام : ﴿ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُمْسِكَ (٢٧) -
والأعراف : ﴿ هُوَ وَقَبْلِهِ (١٧) - ويومنس : ﴿ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْدَكَ
(١٧) - والقصص : ﴿ هُوَ وَجَنْدُهِ (٣٩) .

وفي هذا الضرب منع بعضهم - كابن مجاهد وأصحابه -
الإدغام ، لأن الواو الأولى تسكن حال الإدغام فتصير مدا وإدغام
حرف المد - واواً أو ياء - ممتنع ، وروى الإدغام عن أبي عمرو وابن
شبيوذ في ذلك الضرب نصاً لأن الواو هنا ليست مدا في نفسها
والسكون عارض للإدغام فلا يعتد به ، ومثل ذلك الياء المفتوحة
المكسورة ما قبلها .

الياء في الياء :

تدغم في مثلها سواء سكن ما قبلها أو تحرك وجملته في القرآن
ثمانية مواضع منها : ﴿ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا (٢٥٥) - « البقرة » (١) -
﴿ وَمِنْ خَزِيِّ يَوْمَئِذٍ (٦٦) - « هود » - ﴿ وَالْبَغْيَ يَعْظُمُ (٩٥) -
« النحل » - ﴿ نُودِي يَا مُوسَى (١١) - طه - ﴿ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ
(٦) - « الحاقة » - ﴿ وَاللَّائِي يَشْنَنْ (٤) - « الطلاق » .

(١) وسورة إبراهيم الآية ٣١ وسورة الروم الآية ٤ وسورة الشورى الآية ٤٧ .

المتقاريان والمتجلانسان :

في كلمة واحدة :

لم يدغم إلا القاف والكاف إذا تحرك ما قبل القاف وكان بعد
الكاف ميم نحو : ﴿ خلقكم ﴾^(١) - ﴿ رزقكم ﴾^(٧٨) -
ـ المائدة ،^(٢) - ﴿ صدقكم ﴾^(٥٢) « آل عمران » - ﴿ واثقكم ﴾
ـ ﴿ المائدة » - ﴿ سبقكم ﴾^(٨٠) « الأعراف »^(٣) ولا ماضى
غيرهن .

ونحو : ﴿ يرزقكم ﴾^(٣١) « يونس »^(٤) - ﴿ يخلقكم ﴾
ـ « الزمر » - ﴿ فيغرقكم ﴾^(٦٩) « الإسراء » ولا مضارع
غيرهن وجملة ذلك ثمانية وما تكرر منه سبعة وثلاثون حرفا وهي
تسع كلمات تكرر بعضها .

وإنما اشترط هذان الشرطان لأن الكلمة تطول بالمية وتشغل
بالحركة فيحسن التخفيف بالإدغام^(٥) والذي أوجب التقارب بين
القاف والكاف اشتراكهما في الشدة واتصال مخرجيهما ، قال
سيبويه :

وإنما أدغمت العرب لقرب المخرجين وأنهما من حروف اللسان
وتتفقان في الشدة^(٦) .

(١) سورة البقرة الآية ٤١ وسورة الأنعام الآية ٢ وسورة النساء الآية ١ وسورة الأعراف
الآية ١٧٩ وسورة التحول الآية ٧٠ وسورة الشعراء الآية ١٨٤ وغيرها (الروم - فاطر
الصافات - الزمر - غافر - فصلت - التغابن - نوح) .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٢ ، وسورة الأنفال الآية ٢٦ الخ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٢٧ .

(٤) سورة النمل الآية ٦٤ وسورة سبا الآية ٤ وسورة فاطر الآية ٣ وسورة الملك الآية ٢١ .

(٥) الشر ١ / ٢٨٦ والدر الشير الورقة ٢٥ .

(٦) الكتاب ٤ / ٣٥٢ .

وأختلف فيما إذا كان بهما نون جمع في موضع واحد :
(طلcken) في التحرير فروى بالإظهار عن أبي عمرو كما روى عنه
بالإدغام ، وختار الدانى الإدغام لأنه قد اجتمع في الكلمة ثقلان ثقل
الجمع . وثقل التأنيث فوجب أن يخفف بالإدغام ^(١) :

المتقاربان والمتجانسان في كليتين :

أدغم من ذلك ستة عشر حرفاً جمعت في قولهم (سند
حجتك بذل رض قشم) بشرط انتفاء الموضع المتقدمة ^(٢) .

الباء : تدغم في الميم في قوله تعالى : ﴿ يعذب من يشاء
آل عمران ﴾ ^(١) فقط وذلك في خمسة مواضع في آل
عمران والمائدة والعنكبوت والفتح . وذلك موافقة لما جاورها وهو :
(يرحم من) و (يغفر لمن) وأظهر ما عدا ذلك نحو : ﴿ ضرب
مثل ﴾ ^(٢) « الحج » ﴿ سنكتب ما يقول ﴾ ^(٣) « مريم » لفقد
الجاور وهذا بلا خلاف .

الباء تدغم في عشرة أحرف هي :

الباء : ﴿ إذا رأيت ثم ﴾ ^(٤) « الإنسان » - ﴿ وما كنت
ثانياً ﴾ ^(٥) « القصص » .

والجيم : ﴿ دخلت جنتك ﴾ ^(٦) « الكهف » ، ﴿ فأكثرت
جدالنا ﴾ ^(٧) « هود » .

والذال : ﴿ السينات ذلك ﴾ ^(٨) « هود » - ﴿ والأخرة
ذلك ﴾ ^(٩) « الحج » .

والزاي : ﴿ بالآخرة زينا ﴾ ^(١٠) « النمل » - ﴿ فالزاجرات
زجراً ﴾ ^(١١) « الصافات » .

(١) النشر ١/٢٨٦.

(٢) انظر ص ١٥١ وما بعدها فيما سبق من هذا الكتاب .

(٣) وسورة المائدة الآيات ١٨ ، ٤٠ ، وسورة العنكبوت الآية ٢١ ، وسورة الفتح الآية ١٤ .

والسين : ﴿ الصالحات س يجعل لهم ﴿٦﴾ ﴿ مرم « -
﴿ قد أورتت سؤلك ﴿٣٦﴾ ﴿ طه » .

﴿ أن لا إله إلا أنت سبحانك ﴿٨٧﴾ ﴿ الأنبياء » .

والشين : ﴿ لقد جئت شيئاً نكرا ﴿٧﴾ ، ﴿٨﴾ ﴿ الكهف »
- ﴿ الساعة شئ ﴿٩﴾ ﴿ الحج » - ﴿ بأربعة شهداء ﴿١٠﴾ ﴿
النور » .

والصاد : ﴿ والصفات صفا ﴿١﴾ ﴿ الصافات » -
﴿ والملائكة صفا ﴿٣٨﴾ ﴿ النبا » .

والضاد : في موضع واحد ، ﴿ والعadiات ضحا ﴿١﴾ ﴿
العاديات » .

والطاء : ﴿ بيت طائفة ﴿٢١﴾ ﴿ النساء » - ﴿ وأقم الصلة
طرفى النهار ﴿١١﴾ ﴿ هود » - ﴿ وعملوا الصالحات طوبي
﴾ ﴿ الرعد » - ﴿ لمن خلقت طينا ﴿٨١﴾ ﴿ الإسراء » .

والظاء : ﴿ الملائكة ظالمى أنفسهم ﴿٩٧﴾ ﴿ النساء » (١) :

والثاء تدغم فى خمسة أحرف هي :

الباء : ﴿ حيث تؤمرون ﴿٦٥﴾ ﴿ الحجر » - ﴿ الحديث
تعجبون ﴿٥٩﴾ ﴿ النجم » - ﴿ ثلاثة رابعهم ﴿٢٢﴾ ﴿ الكهف »
وعليها : ابعث تلك وأغاث تلك وثلاثة دراهم .

(١) وسورة النحل الآية ٢٨

قال سيبويه : - عند حديثه عن ثلاثة دراهم - تدغم الشاء من ثلاثة في الهاء إذا صارت تاء والبيان فيه جيد ^(١).

وقال ابن جنی : - عند حديثه عن قراءة ابن محيصن (ثلاث رابعهم كلهم) بإدغام ثاء ثلاثة في الهاء بعدها : الشاء لقرب مخرجها من التاء تدغم فيها كقولك : أبعث تلك ، وأغث تلك . وجاز الإدغام وإن كان قبل الأول ساكن لأنه ألف فصار كشابة ودابة ولم يدمغها فيها إلا ابن محيصن وحده ^(٢).

والشاء متفرقة مع التاء في معظم الصفات وهي : الهمس والاستفال والانفتاح والإصمات وتحتليفان في الشدة والرخاوة مع التقارب في المخرج (فلما كانت الشاء أخت التاء في الهمس وتحاورتا في المخرج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء وأدغموها في التاء بعدها ليكون الصوت نوعاً واحداً) ^(٣) ويتحقق إدغام الشاء في التاء بعد انتقال مخرج الشاء الذي هو طرف اللسان مع أطراف الشايا العليا إلى مخرج التاء وهو طرفه مع أصول الشايا العليا بحيث لا يسمح للهواء بالمرور لتصير شديدة مثلها بعد أن كانت رخوة وبذلك يتحد الصوتان في المخرج والصفة ومثلها تماماً : أبعث تلك وأغث تلك ففي كل منها قلب الشاء تاء وأدغمت فيها على النحو السابق .

والذال في حرف واحد : ﴿الحرث ذلك﴾ ^(٤) «آل عمران» .
والسين : ﴿ورث سليمان﴾ ^(٥) «النمل» - ﴿ حيث سكتم﴾ ^(٦) «الطلاق» - ﴿الحديث سنستدرجهم﴾ ^(٧) «القلم» .

(١) الكتاب ٤/٤٦٤ .

(٢) المختسب ٢/٢٦ .

(٣) سر الصناعة ١/١٨٩ .

والشين : ^(١) حيث شئتما ^(٢٥) « البقرة » ^(١) - ^(٣) حيث
شئتم ^(٢٦) « البقرة » ^(٤).
والضاد : في موضع واحد : ^(٤) حديث ضيف ^(٢٤) ^(٥)
« الداريات » .

والجيم تدغم في موضعين :
في التاء : ^(٦) ذى المعارض تعرج ^(٤٢) ^(٧) « المعارض » .
والشين : ^(٨) أخرج شطاه ^(٢٩) ^(٩) « الفتح » واختلف في
إظهاره وإدغامه ^(٢) ، والإدغام جائز لأنهما من مخرج واحد وهما من
حروف وسط اللسان .

وأحاء تدغم في العين في حرف واحد : ^(١٠) فمن زحرج عن
النار ^(١٨٥) ^(١١) « آل عمران » : قال سيبويه : ولم تدغم أحاء في العين
في قوله : امدح عرفة لأنّ أحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع
العين وهي مثلها في الهمس والرخاوة مع قرب المخرجين فأجريت
مجرى الميم مع الباء ولم تقو العين على أحاء إذ كانت هذه قصتها
وهما من المخرج الثاني للحلق وليس حروف الحلقة بأصل للإدغام
ولكنك لو قلبت العين حاء فقلت في (امدح عرفة) : (أمد حرفه)
جاز ^(٤) .

وقال السيرافي : روى عن أبي عمرو في إدغام أحاء في العين
روايتها :

(١) وسورة الأعراف الآية ١٩ .

(٢) وسورة الأعراف الآية ١٦١ .

(٣) لكن الشين لا تدغم في الجيم لأن الشين استطال مخرجها لرخايتها وفيها تفشت فلا
تدغم في الجيم حتى لا يضيع ذلك في مثل الفرش جبلة وقد تدغم الجيم فيها كما في
الآية ومثله في اللغة قوله : أخرج شيئاً ، الكتاب ^٤ / ٤٤٩ ، ٤٥٢ .

(٤) الكتاب ^٤ / ٤٥١ .

إحداهما : إدغامها في العين وروى البزيدي عنه أنه لم يكن يدغم الحاء في العين إلا في قوله تعالى في سورة آل عمران **﴿فمن زحزح عن النار﴾** .

والرواية الأخرى : ما رواه البزيدي عن أبي عمرو قال : من العرب من يدغم الحاء في العين قال : وكان أبو عمرو لا يرى ذلك وهذا أصح ^(١) .

وقيل : إنه أدغم في **﴿فمن زحزح عن النار﴾** وأظهر فيما عدا هذا الموضع مثل : **﴿فلا جناح عليهم﴾** ^(٢) **﴿البقرة﴾** ، **﴿المسيح عيسى﴾** ^(٣) **﴿آل عمران﴾** - **﴿ذبح على﴾** ^(٤) **﴿المائدة﴾** .

وإدغام الحاء في العين ليس بقياس بل مقصور على السماع ^(٥) .
والدال تدغم في عشرة أحرف :
الناء : **﴿المساجد تلك﴾** ^(٦) **﴿البقرة﴾** - **﴿من الصيد تناه﴾** ^(٧) **﴿المائدة﴾** .
الثاء : **﴿يرد ثواب﴾** ^(٨) **﴿آل عمران﴾** - **﴿لمن ترید ثم﴾** ^(٩) **﴿الإسراء﴾** .

الجيم : **﴿دواج حالي﴾** ^(١٠) **﴿البقرة﴾** - **﴿دار الخلد جزاء﴾** ^(١١) **﴿فصلت﴾** .

(١) إدغام القراء للسراجي ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) سورة البقرة الآيات ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ .

(٣) الشتر ١ / ٢٩٠ ، ٢٩١ ، و قال ابن الجوزي : « روى إدغامه عامة أهل الأداء وبه قرأ الداني . وروى إظهاره جمهور العراقيين والوجهان صحبيحان مأخوذ بهما » وانظر الحديث عن إدغام حروف الحلق ص ٢٤١ .

الذال : ﴿ من بعد ذلك ﴿ ٥٢﴾ « البقرة » - ﴿ والقلايد
ذلك ﴿ ٩٧﴾ « المائدة » - ﴿ كهيعص ذكر رحمت ربك عبده
ذكر يا ﴿ ١٦٤﴾ « مريم » .

الزاي : ﴿ تريد زينة الحياة الدنيا ﴿ ٢٨﴾ « الكهف » -
﴿ يكاد زيتها يضي ﴿ ٣٥﴾ « النور » .

السين : ﴿ في الأصفاد سر ابليهم ﴿ ٤٩﴾ ، ﴿ ٥٠﴾ « إبراهيم »
- ﴿ كيد ساحر ﴿ ٦٩﴾ « طه » - ﴿ عدد سنين ﴿ ١١٢﴾ «
المؤمنون » .

الشين : ﴿ شهد شاهد ﴿ ٢٦﴾ « يوسف » .

الصاد : ﴿ ن فقد صواع الملك ﴿ ٧٢﴾ « يوسف » - ﴿ في
المهد صبيا ﴿ ٢٩﴾ « مريم » .

الضاد : ﴿ من بعد ضراء ﴿ ٥٠﴾ « فصلت » - ﴿ من بعد
ضعف ﴿ ٥٤﴾ « الروم » .

الظاء : ﴿ يريد ظلما ﴿ ٦٨﴾ « آل عمران » (١) - ﴿ من بعد
ظلمه ﴿ ٣٩﴾ « المائدة » .

والذال تدغم في :

السين : ﴿ فاتخذ سبيلا ﴿ ٦١﴾ « الكهف » .

والصاد : ﴿ ما اتخذ صاحبة ﴿ ٣﴾ « الجن » .

(١) وسورة غافر الآية ٣١ .

والراء تدغم في اللام ^(١) : **أَطْهِرْ لَكُمْ** ^(٦٧) « هود » -
لِيغْفِرْ لَكَ ^(٢) « الفتح » .

فإن سكن ما قبلها وتحركت هي بضمها أو كسرة أدغمت وما
 جاء من ذلك **الْمَصِيرِ لَا يَكْلُفْ** ^(٢٨٥) ، ^(٢٨٦) « البقرة » -
النَّهَارِ لِآيَاتِ ^(١٩٠) « آل عمران » .

وأجمعوا على إظهارها إذا فتحت وسكن ما قبلها **الْخَمِيرِ**
 لـ **تَرْكِبُوهَا** ^(٨) « النحل » ، و **الْبَحْرِ لِتَأْكِلُوهَا** ^(١٥) « النحل »
 و **الْأَخْيَرِ لِعَلْكُمْ** ^(٧٧) « الحج » .

ويختلف موقف اللغويين من هذا الإدغام عن موقف القراء فعلى
 حين ورد ذلك الإدغام في القراءات الصحيحة نرى اللغويين لا
 يجيزونه .

قال ابن جنی : (واعلم أن الراء لما فيها من التكرير لا يجوز
 إدغامها فيما يليها من الحروف لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها
 من الوفور والتكرير فاما قراءة أبي عمرو : **يَغْفِرْ لَكُمْ** ^(٧١) «
 الأحزاب » ^(٢) بإدغام الراء في اللام فمدفع عندها وغير معروف
 عند أصحابنا ، إنما هو شئ رواه القراء ولا قوة له في القياس) ^(٢) .

وعليه قال أبو السعود عند قوله تعالى **فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءْ**
الْبَقْرَةِ ^(٢٨٤) « البقرة » إدغام الراء في اللام لمن ^(٤) قال الدمياطي :

(١) هذا في الإدغام الكبير فيما تقدمت فيه الراء .

(٢) وسورة الحديد الآية ٢٨ ، وسورة الصاف الآية ١٢ ، وسورة نوح الآية ٤ .

(٣) سر الصناعة ١ / ٢٠٦ وانظر الكتاب ٤ / ٤٤٨ .

(٤) أبو السعود ١ / ٢٨٣ .

وأدغم الراء في اللام السوسي والدوري بخلفه وهو من الإدغام
 الصغير^(١).

وعلى ذلك رأينا اللغويين يختلف موقفهم عما ورد في صحيح القراءات، ولعل الأصل أن القراءة إذا صحت اعتدت أصلاً يقاس عليه وتجرى عليه القواعد.

وعكس ذلك صحيح من إدغام اللام في الراء مثل : هرأيت^(٢) لأن الراء أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها فضارعنا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد إذ كانت اللام ليس حرف أشبه به منها ولا أقرب ، وإن لم تدغم فقلت (هل رأيت) فهي لغة لأهل الحجاز وهي عربية جائزة^(٢).

والسين : تدغم في الزاي في موضع واحد في قوله تعالى :

﴿إِذَا النُّفُوسُ زُوْجَت﴾^(٣) « التكوير » لا غير .

وفي الشين : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبَا﴾^(٤) « مريم » وقد اختلف فيه ، وأجمعوا على إظهاره : ﴿لَا يُظْلِمَ النَّاسُ شَيْئا﴾^(٥) « يوسف ».

والشين : تدغم في السين في موضع واحد ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾^(٦) « الإسراء » لا غير وخالف فيه وفي إدغامه وروى إظهاره سائر أصحاب الإدغام عن أبي عمرو^(٧).

والضاد تدغم في الشين في موضع واحد : ﴿لَعْنُ شَانِهِمْ

﴿فِي النُّورِ لَا غَيْرَ وَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾^(٨).

(١) الإنخاف ٤٦١/١ .

(٢) الكتاب ٤٤٨/٤ .

(٣) الكتاب ٤/٤٥٧ . وانظر من ١٦٨ من هذا الكتاب .

(٤) النشر ١/٢٩٣ والتبشير ص ٢٣ .

(٥) أدغمها أبو عمرو ، انظر النشر ١/٢٩٣ والتبشير ص ٢٤ ، ٢٣ .

قال سيبويه : إن الضاد لا تدغم في الشين لأن لكل منها صفة ليست في الأخرى فالضاد من صفاتها : الاستطالة والشين من صفاتها : التفشي فكل منها لها حاجز ^(١) وقد أدمغت في هذه القراءة الصحيحة مخالفة للقاعدة المشهورة

والكاف : تدغم في الكاف إذا تحرك ما قبلها : ينفق كيف ^(٦٥) « المائدة » . فإن سكن ما قبلها لم تدغم نحو ^و فوق كل ذي علم عليم ^(٧٦) « يوسف » .

والكاف : تدغم إذا تحرك ما قبلها في الكاف ^و ونقدس لك قال ^(٢) « البقرة » فإن سكن ما قبلها لم تدغم نحو : ^{إليك} قال ^(١٥٦) « الأعراف » يحزنك قولهم ^(٧٦) « يس » ^{تركوك قائما} ^(١١) « الجمعة » .

واللام ^(٢) : تدغم إذا تحرك ما قبلها في الراء بأى حركة تحركت هي نحو : ^{رسول} ربك ^(٨١) « هود » - ^{كمثل} ريح ^(١١٧) « آل عمران » - ^{أنزل} ربكم ^(٢٤) « النحل » ، فإن سكن ما قبلها أدمغها مضمة كانت أو مكسورة نحو : ^{يقول} ربنا ^(٢٠) « البقرة » - ^{سبيل} ربك ^(١٢٥) « النحل » ، فإن افتتحت بعد الساكن لم تدغم نحو : ^{فعصوا} رسول ربهم ^(١) « الحاقة » إلا لام قال فإنها تدغم حيث وقعت لكررة ورودها نحو : ^{قال} رب ^(٢٥) « المائدة » ^(٢) - ^{قال} ربكم ^(٦٠) « غافر » - ^{قال} رجل ^(٢٨) « غافر » - ^{قال} رجلان ^(٢٣) « المائدة » .

(١) الكتاب ٤ / ٤٦٦ .

(٢) هذا فيما تقدمت فيه اللام في الإدغام الكبير .

(٣) وسورة الحجر الآيات ٣٦ ، ٣٩ وسورة القصص الآيات ١٦ ، ١٧ .

واليم تسكن عند الباء إذا تحرك ما قبلها تخفيفاً لتوالي الحركات فتحفي إذ ذاك بفتحة نحو **﴿يحكى بينهم﴾** «البقرة» **(١٦)** - **﴿يأعلم بالشاكرين﴾** **(٢٨)** «الأنعام» - **﴿مريم بهتانا﴾** **(١٥٦)** «النساء» . هذا على مذهب أبي عمرو في الإدغام ، فإن سكن ما قبلها أجمعوا على ترك ذلك إلا ما روى من الإخفاء بعد حرف المد أو اللين نحو : **﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾** **(١٩٤)** «البقرة» **﴿اليوم بحالوت﴾** **(٢٤٩)** «البقرة» . وقد عبر بعض المتقدمين عن هذا الإخفاء بالإدغام والصواب أن الإخفاء غير الإدغام .

الميم الساكنة - لها حالات :

- ١ - الميم تدغم بالفتحة عند ميم مثلها وذلك في كل ميم مشددة نحو :

 - ﴿دمر﴾** **(١٠)** «محمد» - **﴿ويعمر﴾** **(١١)** «فاطر» -
 - ﴿حملة﴾** **(٣)** «المسد» - **﴿طسم﴾** **(١)** «القصص» -
 - ﴿ألم﴾** **(١)** «البقرة» **(١)** - **﴿وهم﴾** **(٢٤)** «يوسف» -
 - ﴿أم من أنس﴾** **(١٩)** «التوبية» .

- ٢ - تخفى عند الباء على ما اختاره الحافظ أبو عمرو الداني وغيره من المحققين وهو مذهب أبي بكر بن مجاهد وغيره وهو الذي عليه أهل الأداء بمصر والشام والأندلس وسائر البلاد الغربية وذلك نحو : **﴿ومن يعتصم بالله﴾** **(١٠١)** «آل عمران» - **﴿يوم هم بارزون﴾** **(٦)** «غافر» - **﴿ربهم بهم﴾** **(١١)** «العاديات» للإجماع على إخفائهما عند القلب في مثل : **﴿أنبئهم﴾** **(٣)** «البقرة» - **﴿من بعد﴾** **(٢٧)** «البقرة» .

(١) وسورة آل عمران وسورة العنكبوت وسورة الروم ولقمان والسجدة الآية ١ .

ويرى جماعة كأبي الحسن أحمد بن المنادى وغيره إظهار الميم الساكنة عند الباء إظهاراً تماماً وهو اختيار مكى القيسى وغيره وهو الذى عليه أهل الأداء بالعراق وسائر البلاد الشرقية وحکى إجماع القراء عليه وتظهر عند باقى الأحرف مثل : ﴿الحمد وأنعمت﴾ هم (٧٦٢) «الفاتحة»، ولا سيما إذا أتى بعدها فاء أو واو مثل : ﴿فِي هَمْ فِيهَا﴾ (٢٥) «البقرة» - ﴿عَلَيْهِمْ وَلَا﴾ (٧) «الفاتحة»، والوجهان صحيحان (١) مأخوذ بهما إلا أن الإخفاء أولى للإجماع على إخفائهما عند القلب وعلى إخفائهما في المتحركة في مذهب أبي عمرو بالإدغام (٢).

قال اللغويون : الميم لا تدغم في الباء لأن الميم هي الحرف الذي يفرون إليه من النون حين تفترن بالياء مثل العنبر ومن بدا لك ولذا لا تغير الميم إذا ولها الباء (٢)، وإدغام الباء في الميم صحيح كما في اصحاب مطراً تقول اصحابه مطرأ.

والنون تدغم في الراء واللام إذا تحرك ما قبلها في الراء : ﴿وَإِذْ تَأْذُنَ رَبَّك﴾ (١٦٧) «الأعراف» - ﴿خَزَانَ رَحْمَة﴾ (١٠٠) «الإسراء» (٤).

وفي اللام : ﴿لَنْ تَؤْمِنَ لَك﴾ (٩٠) «الإسراء» - ﴿تَبَيَّنَ لَه﴾ (١١٤) «التوبه» - ﴿رَزِينَ لِلَّذِين﴾ (٢١٢) «البقرة» .

فإن سكن ما قبلها لم تدغم إلا في كلمة (نحن) حيث وقعت

(١) حال وقوع الميم قبل الباء .

(٢) النشر ١ / ٢٢٢ .

(٣) الكتاب ٤ / ٤٤٧ .

(٤) وسورة ص الآية ٩ .

وجملته عشرة مواضع مثل : ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون﴾ (٨٤) -
﴿ أَلْعَمْرَان﴾ (١) - ﴿ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُون﴾ (١٣٨) - ﴿ الْبَقَرَة﴾ -
﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُون﴾ (١٣٩) - ﴿ الْبَقَرَة﴾ وفِي الْأَعْرَافِ : ﴿ فَمَا
نَحْنُ لَكُ﴾ (١٣٢) - وفِي الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ﴾ (٣٨) ،
وعللوا لذلك بتعليبات منها : ثقل الضمة ولزوم حركتها وامتناعها
من الانتقال من الضم إلى غيره أو لتكرار السون وكثرة ورودها . وهذا
جميع ما أدغمه أبو عمرو من الحروف المتحركة (٢) .

(١) سورة البقرة الآياتان ١٣٣ ، ١٣٦ .

(٢) الشتر ٢٨٦ - ٢٩٦ .

الإدغام في حروف العربية

الحروف نوعان :

- ١ - ما يوجد فيه إدغام المثلين ولا يصح فيه إدغام المتقاربين .
- ٢ - ما يصح فيه إدغام المثلين والمتقاربين .

فمن النوع الأول : الهمزة فامرها دائرة بين التحقيق والتخفيف بالإبدال والمحذف وبينها (أى بينها وبين حرف حركتها أو حرف حركة ما قبلها) وبين بين تكون بين الهمزة والواو - إن كانت مضمومة - وبينها وبين الألف - إن كانت مفتوحة - وبينها وبين الباء - إن كانت مكسرة - وبعضهم يجعلها بينها وبين حرف حركة ما قبلها في مثل سبل ومستهذلون وفي بدء الكلمة تخفف بالمحذف نحو (قد أفلج المؤمنون) والطلب مثل : التنا ونحوه ، وفي بدء الكلمة ووسطها وأخرها لها أحوال في التخفيف معروفة في فن التصريف ، ولكن وجد منها إدغام المثلين إذا وقعت الهمزة عينا للكلمة مثل : سآل وسؤال جمع سائل ويلزم الإدغام بتضييفها لتكون بلفظ واحد أما في غير قواعدها عينا ففيها التخفيف المشار إليه دون الإدغام .

قال الرضي : وإن سكتت الأولى وتحركت الثانية فإن كان ذلك قى صيغة موضوعة على التضييف كسائل وسؤال وجہ الإدغام محافظة على وضع الصيغة ولا يكون ذلك إلا إذا اتصلت الأولى بالفاء وذلك أن الهمزة ثقيلة ولا سيما ما ضعف منها فإذا وليت الأولى أول الكلمة خفت وأما في غير ذلك فلا يجوز)^(١) ولم ترد العين همزة في القرآن .

(١) شرح الشافية ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

والألف لا تدغم في الألف كذلك ولا تدغم فيما يقاربها كالهاء لأن الإدغام يقتضي تحريكها وهي لا تقبل الحركة وكذلك شأن مقاربها ، إذ إن الإدغام هو الإتيان بحرفين ساكنين فمتحرك والألف لا يكون متحركاً^(١) . ويقتضي ذلك تغييرهما فيصبحان غير ألفين فإذا التقت ألفان لا يمكن تحريك إحداهما وإذا التقت مع خلافها فلا يمكن إدغامها فيه لأن ذلك يقتضي قلبها .

قال سيبويه : (الألف لا تدغم في الهاء ولا فيما تقاربه لأن الألف لا تدغم في الألف لأنهما لو فعل ذلك بهما فأجريتا مجرى الدالين والتاءين تغيرتا فكانتا غير ألفين فلما لم يكن ذلك في الألفين لم يكن فيها مع المترادفة فهى نحو من الهمزة في هذا فلم يكن فيها الإدغام كما لم يكن في الهمزتين)^(٢) .

والباء لا تدغم كذلك ولا الواو مع شيء من الحروف المقاربة لأن فيها لينا ومهما فلا يقوى عليهما ما ليس فيه مد ولا لين من الحروف كالياء والجيم إذ إدغام ما ليس فيه مد ولو فين فيما فيه مد ولو يخرج الآخر عن طبيعته وحتى إذا لم ت manusهم الحركة فيما أشباء أصوات اللين في مثل رأيت قاضي جابر ورأيت دلو مالك ورأيت غلامي جابر فلا تدغم في هذه الياء الجيم وإن كانت لا تحرك لأنك تدخل اللين في غير ما يكون فيه اللين والمد أبعد شيء عن الإدغام .

والسوع الذي يقبل إدغام المثلين وإدغام المترادفين هو باقى الحروف فإذا دغام المثلين نحو^(٣) : أكرم محمدا وهو عام في باقى الحروف .

(١) شرح الشافية ص ٤٤٠ وهذا إذا التقى ألفان كما في نحو السماء والبناء إذا وقفت عليها بالإسكان .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٤٦ وشرح المفصل ١٣٦ / ١٠ .

(٣) الكتاب ٤ / ٤٤٧ .

وإغام المقاربين له ثلاثة أقسام:

الأول : يدغم في مقاربة ولا يدغم مقاربه فيه .

وهو : الهاء والعين والباء يجمعها قولك (بعه) .

**الهاء والعين : تدغمان في الحاء والهاء لا تدغም في العين ولا في
الهاء إلا بعد أن تبدل العين والهاء حاء .**

الباء : تدغም في الفاء والميم ولا تدغمان فيها^(١) .

**الثاني : يدغم مقاربه فيه ولا يدغم هو في مقاربه وهو ستة
أحرف يجمعها قولك (شرف محض) ولم يذكر سيبويه بينها الحاء
والضاد^(٢) .**

الحاء : يدغم فيه الهاء والعين .

**الشين : يدغم فيه الجيم والطاء والدال والباء والظاء والذال
والثاء واللام .**

**الضاد : يدغم فيه سبعة أحرف هي : الطاء والباء والدال
والظاء والذال والباء واللام .**

الراء : يدغم فيه اللام والتون .

الفاء : يدغم فيه الباء .

الميم : يدغم فيه الباء والتون .

**الثالث ، الذي يدغم في مقاربه ويُدغم مقاربه فيه وهو باقى
الحروف وهي ثمانية عشر حرفاً يجمعها قولك :**

ظن زكوت خلط سنج غيث قصد

(١) انظر ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، وانظر أمثلة ما يأتي أيضاً مشرقة في هذا الكتاب .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٤٧ .

الإدغام في حروف الحلق

أصل الإدغام في حروف الفم ، وحروف الحلق ليست أصلًا للإدغام ^(١) في الكلمة واحدة وجاء تضييف الحاء في مثل : دح ومع ، ولهذا كان تضييف الهاء نحو فه وكه السكران والعين نحو دع وكع قليلاً جداً ولم يدغم بعضها في بعض في كلمتين - أيضًا - في الأغلب وجاء الإدغام في كلمتين قليلاً ^(٢) ، وهي لا تدغم في غيرها ولكن يلتقي بعضها مع بعض على سبيل الإدغام والإظهار .

والمقاعدة : أنه لا يدغم الأدنى مخرجاً في الأبعد لأن الأدنى أخف والأبعد أثقل فأنزلها في الحلق أثقلها ، فائقنها الهمزة ثم الهاء ثم العين ثم الحاء ثم الغين ثم الحاء وقياس إدغام الأنزل (يعني الأبعد في الحلق) في الأعلى (يعنى الأدنى إلى الفم) بقلب الأول إلى الثاني قياس مطرد غير منكر .

ولا يدغم حرف حلق في نظيره مما هو أدخل منه مخرجاً وما حدث من ذلك يعد شاذًا أو قليلاً

١ - الهاء مع الحاء :

إذا التقت الهاء مع الحاء مع تقدم الهاء مثل : اجبه حملأ - وجه حجتك جاز الإظهار والإدغام والبيان أحسن لاختلاف المخرجين والإدغام عربي حسن لقرب المخرجين ولأنهما صوتان مهموسان رخوان فقد اجتمع فيهما قرب المخرجين والهمس .

فإذا تأخرت الهاء لا يجوز إدغام الهاء في الهاء لأن ما كان أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام كما في أمدح هلاً واذبح هذا ^(٢) .

(١) يرجع ذلك إلى التكوين الفسيولوجي للحلق لأن عضلاته ليست لها مرونة كعضلات الفم واللسان .

(٢) شرح الشافية ص ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٤٩ . (٣) الكتاب ٤/٤٤٩ وشرح الفصل ١٠/١٣٦ .

وقد تدغم الحاء في الهاء بعد قلب الهاء حاء فيقال : امد حلا
وإذ بحذا ، على خلاف الأصل ، لأن قلب الثاني إلى الأول ولأن
الهاء أدخل من الحاء والأدنى لا يدغم في الأبعد وقد أدمغ الحاء في
الهاء بعد قلب الهاء حاء .

قال الرضي : فالهاء في الحاء وإنما كان القياس قلب الأول إلى
الثاني دون العكس لأن الإدغام تغيير الحرف الأول بإيصاله إلى الثاني
وجعله معه كحرف واحد فلما كان لابد للأول من التغيير بعد
صيروة المترادفين مثلين ابتدأت بتغييره بالقلب ^(١) .

ولقيت الهاء الحاء في القرآن الكريم مثل ﴿إنه حكيم﴾
^(١٣٢) «الأنعام» ﴿ومن أحسن من الله حكما﴾^(٥) «المائدة»
- ﴿أهله حاضرٍ المسجد الحرام﴾^(١٩٦) «البقرة» -
﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾^(٧٨) «الحج» ، ولم يقرأ بإدغام
شيء منه في القرآن .

٢ - الهاء مع العين :

لا تدغم الهاء في العين سواء تقدمت الهاء على العين أو تأخرت
عنها لأن كل واحدة مستقلة لنزولها في الخلق فكيف بهما
مجتمعتين مع تنافرهما ؟ والخرج مختلف فالهاء من المخرج الأول
والعين من المخرج الثاني ولكن يمكن الإدغام بتحويل الهاء حاء والعين
حاء ثم تدغم الحاء في الحاء لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي
قبله فيبدل مكانها أشبه الحرفين بها ثم يدغم فيه وهو الحاء الأخف
منهما لأنه أدنى منهما في الخلق ولا يجوز هنا قلب الأول إلى الثاني
ولا قلب الثاني إلى الأول فقلبا حاء ، فاللتقاء الحاءين أخف من التقاء

(١) شرح الشافية ص ٣٥٦ .

العينين أو الهايين والمهوس أخف من المجهور وذلك مثل اجبه عقبة
وامدح هلالاً والبيان أحسن ، قال سيبويه :

« إن التقاء الحاءين أخف في الكلام من التقاء العينين إلا ترى أن
التقاءهما في باب رددت أكثر والمهوس أخف من المجهور فكل هذا
يباعد العين من الإدغام إذ كانت هي والهاء من حروف الحلق ومثل
ذلك : اجبه عقبة في الإدغام والبيان وإذا أردت الإدغام حولت العين
هاء ثم أدمغت الهاء فيها فصارتا حاءين ولأن الأقرب إلى الفم لا
يدغم في الذي قبله كيلا يكون الإدغام في الذي فوقه ولكن ليكون
في الذي هو من مخرجيه والبيان أحسن »^(١) .

وما قالت العرب تصديقاً لهذا في الإدغام قول بنى عميم : محم
يريدون : معهم ومحاؤلاء يريدون : مع هؤلاء^(٢) ومثله : دحا محا
أى : دعها معها^(٣) وعليها قراءة : ﴿ أَلَمْ أَهُدِ إِلَيْكُمْ يَا بْنَى
آدَمَ (٤٠) ﴾ « يس »^(٤) .

٣ - العين مع الحاء :

هنا تدغم العين في الحاء حال تقدم العين كقولك : اقطع حملأ
- اسمع حديثاً - والإدغام حسن والبيان حسن لأنهما من مخرج
واحد والعين صوت مجهور على حين أن الحاء صوت مهموس ، يقول

(١) الكتاب ٤ / ٤٥٠ .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٥٠ .

(٣) الكتاب ٣ / ٢٦٠ .

(٤) سورة يس الآية ٦٠ ، والكتاف ٢ / ٢٩٠ .

وقال الرضي : (ومحم في معهم ضعيف) كان القياس الأول (أى قلب الأول إلى
الثاني) أن يقال لهم بقلب العين هاء وقياس العارض . وهو كون الثاني أى الهاء أدخل
في الحلق وأنقل أن يقلب الثاني إلى الأول فيقال : (مع) فاستقل كلاما ، شرح
الشافية ص ٣٥٧ ، ٣٦٣ .

سيبويه : إن التقاء الحاءين أخف في الكلام من التقاء العينين لأن
أن التقاء هما في باب رددت أكثر والهموس أخف من المجهور فكل هذا
يبعد العين من الإدغام .

ولم تدغم الحاء في العين - حال تقدم الحاء - في قوله : امدح
عرفه واذبح عنودا لأن الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع العين
وهي مثلها في الهمس والرخاوة مع قرب المخرجين فأجريت مجرى
الميم مع الباء فجعلتها منزلة الهاء كما جعلت الميم منزلة النون مع
الباء ولم تقو العين على الحاء إذ كانت هذه قصتها وهي من الخرج
الثاني من الحلق والباء أخف من العين فلو قلب الأولى التي هي أخف
إلى الثانية التي هي أثقل لشت خفة الإدغام بشقل الحرف المقلوب إليه
فكأنه لم يدغم شيء في شيء^(١) .

ويجوز - بعد قلب العين حاء - إدغامها فيها لأن تقول :
امد حرفه^(٢) وإذ بحنودا وهذا على خلاف الأصل بأن يقلب الثاني
إلى الأول لأن العين أدخل من الحاء وقد أدمغ الحاء في العين بعد قلب
العين حاء والأدنى لا يدغم في الأعلى ولم تلق العين الحاء في القرآن
إلا في قوله تعالى ﴿ مِنَ الدُّمْعِ حَزَنًا ﴾^(٣) « التوبة » أو تكون
العين متونة كقوله تعالى ﴿ وَكَانَ اللَّهُ رَاسِعًا حَكِيمًا ﴾^(٤)
« النساء » دون إدغام لكن وردت قراءة أبي عمرو (فمن زحزح عن
النار) يقلب الحاء عيناً والإدغام^(٥) .

٢ - الفين مع الحاء :

حال تقديم العين على الحاء أو تأخرها :

ففي تقديم الفين مثل : ادمغ خلفا ، البيان أحسن ، والإدغام

(١) شرح الشافية للرضي ص ٣٥٦ .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٥١ .

(٣) شرح الشافية للرضي ص ٣٦٣ .

حسن بقلب الغين خاء ، وإدغامها في الخاء ، فالغين والخاء مختلفان في الهمس والمجهر ، وجاز الإدغام لأنهما المخرج الثالث ، وهو أدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان ^(١) .

وإذا تقدمت الخاء مثل : اسلح غنمتك أدغمت الخاء في الغين فتقول : اسلح غنمتك ^(٢) ، ولكن ليس كحسن إدغام الغين في الخاء ، وذلك لأن الخاء أدنى من الغين مخرجاً . وتضييق الخاء كثير ، وتضييق الغين لم يأت إلا مع الفصل .

وعلى هذا نرى أن صور الإدغام في المتقاربين من حروف الحلق قليلة وهي تمثل في إدغام الهاء في الخاء والخاء في الهاء - بعد قلب الهاء حاء - والهاء في العين بعد قلبهما حاءين .

وإدغام العين في الخاء والخاء في العين - بعد قلب العين حاء كذلك - وإدغام الغين في الخاء والخاء في العين - بعد قلب إحداهما إلى الأخرى .

أما الحالات التي لا تدغم فيها حروف الحلق المتقاربة فهي كثيرة وتشمل في امتناع إدغام **الهمزة** في أخواتها الخمس من حروف الحلق (الهاء - العين - الخاء - الغين - الخاء) وكذلك امتناع إدغام الهاء في العين أو الغين أو الخاء وامتناع إدغام العين في الغين أو الخاء ^(٢) ، كذلك إدغام الحاء في الغين والخاء ، وإدغام الغين في الهاء أو العين أو الخاء ، وإدغام الخاء في الهاء أو العين أو الخاء .

ولم يقع في القرآن الكريم إدغام حروف الحلق بعضها في بعض ، وهو قليل في **الأسلوب العربية** ، ولا يدغم حرف حلقي في

(١) الكتاب ٤ / ٤٤٩ - ٤٥١ .

(٢) شرح الشافية للمرتضى ص ٣٦٣ .

(٣) ورد عن البرد جواز ذلك مثل : اسمع غالباً : اسمعاً لـ ، واسمع خلفاً : اسمحلفاً ، وزعم أن ذلك مستقيم في اللغة ، معروف جائز في القياس ، المقتصب ١ / ٢٠٨ والتدليل لأبي حيان ٨ / ٦١٢ .

شيء من حروف الفم لسانياً كان أو شفويأً ولم يحدث عكس ذلك أيضاً ، فلم تدغم حروف اللسان أو الشفة في شيء من حروف الحلق، والإظهار في حروف الحلق أحسن . ويجب تقوية بعض الحروف لتخرج سليمة من مخارجها مثل :

الهاء قبل الحاء أو بعدها كقوله تعالى ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ (٢٦) ﴿ «الإِنْسَانُ » وقوله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٢٧) ﴿ الزمر ». .

الهاء بعد الحاء كقوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ رَضِحَاهَا ﴾ (١) ﴿ الشمس ». .

الهاء مع العين سبقت الهاء أو تأخرت مثل ﴿ وَتَكُونُ الْجَبَالُ كَالْعَيْنِ الْمَفْرُوشِ ﴾ (٥) ﴿ «القارعة» - ﴿ فَبِاعْيَهُنَّ ﴾ (١٢) ﴿ «المتحنة» فيجب إظهار الهاء .

إذا وقعت العين بعد الحاء وجب إظهار الحاء مثل ﴿ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صَلْحًا ﴾ (١٢٨) ﴿ «النساء» وقوله سبحانه ﴿ فَمَنْ زَحْرَجَ عَنِ النَّارِ ﴾ .

الغين إذا وقعت بعدها عين أو قاف مثل قوله عز وجل : ﴿ رَبَّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ (٢٥٠) ﴿ «البقرة» (١) - ﴿ رَبَّنَا لَا تَرْغَبْ قُلُوبُنَا ﴾ (٨) ﴿ «آل عمران» (٢) .

وكذلك إذا تكررت الغين مثل قوله سبحانه : (ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) .
وهكذا .

(١) وسورة الأعراف الآية ١٢٦ .

(٢) روى إدغام الغين في القاف عن أبي عمرو ، وفي مختصر شواذ القراءات لابن خالويه أن ذلك الإدغام خطأ والإجماع على الإظهار وفي التعذيل لأنبي حيان نأيده الإدغام هنا بالسماع (٨ / ٦١٤) .

الإدغام في حروف الفم واللسان

عرفنا أن الإدغام يمتنع أو يقل في حروف الحلق ، فالبيان أحسن فيها .

وهنا نقول : إن الإدغام يكثر في حروف الفم واللسان فأصل الإدغام لحروف الفم ، وقد قيل : إنها أكثر عدداً من حروف الحلق والشفتين . ويظهر أن السبب في كثرة الإدغام فيها يرجع إلى سهولة النطق بالحروف الخارجة من الفم ، فاللسان ينطق بالحروف ، وأقصى الحنك ووسطه ومقدمه يساعد اللسان في إخراج الحروف ، يقول شادة « إن المعمول عليه في آلات النطق ليس الإحصائيات للحروف الصادرة عنها بل بكثرة الحركة والانطلاق والتقلب واللسان هو أكثر أعضاء النطق انطلاقاً وحركة وكذلك الجزء المؤخر من الحنك ، فحال وضع طرف اللسان على موضع الراء يمكن الانتقال إلى مخرج اللام من جانبي اللسان بسهولة وحال رفع طرف اللسان تخرج الراء ، وعند ارتفاع مؤخر الحنك تخرج النون فالمعمول عليه هو سهولة نطق حروف الفم واللسان وسهولة إدغام حرف منها في حرف آخر لشدة تحركها وتقلبها »^(١) .

والقاعدة العامة أن الإدغام في هذه الحروف يتم بعد تماثيل الصوتين فإذا تجاور حرفان متقاربان من مخرج واحد أو من مخارج مختلفة فإن الإدغام جائز لا واجب ويدغم - عادة - الأدخل مخرج جا في الأقرب إلى الفم - عكس ما يجري في حروف الحلق ، وأحياناً يكون البيان أحسن وأحياناً أخرى يكون الإدغام أحسن ويقل الإدغام حسناً كلما قرب المخرج من حروف الحلق ، وكلما بعد المخرج عن الحلق كان إدغام الحروف حسناً .

(١) علم الأصوات عند سبويه وعندنا . لشادة ص ٢٤ ، ٢٥ .

ويراعى حال الإدغام الحروف ذات الصفات التي لها طابع مميز قد يضيع بالإدغام ، فهنا يدغم الصوت ذو الخصيصة في غيره لا العكس .

وجاء الإدغام على غير القياس في بعض هذه الحروف التي لها خصائص بارزة ^(١) .

وجعل بعض العلماء ذلك الذي خرج عن القياس من باب إخفاء واختلاس الحركة لا من الإدغام التام ^(٢) حتى تتحقق القاعدة التي وضعها النحاة واللغويون ، ولا تحالف الأصول الموضوعة في هذا الصدد .

وفي اللسان مناطق لإخراج الحروف هي :

- ١ - أقصى اللسان .
- ٢ - وسط اللسان .
- ٣ - طرف اللسان .

وستكلم عن حروف كل منها :

١ - حروف أقصى اللسان

القاف والكاف : مثل الحق كندة ، وانهك قطنا - مع تقدم القاف تارة والكاف تارة أخرى .

هنا البيان أحسن بإظهار كل من الصوتين دون إدغام لقربهما من الحلق فمخرجهما أقرب مخارج اللسان إليه فأشبهها الخاء والغين . والإدغام حسن أيضاً - بأن تدغم القاف في الكاف وفق القاعدة المشار إليها فيما سبق بإدغام الأدخل مخرجاً في الأقرب إلى الفم .

(١) المتع لابن عصفور ٢ / ٢٢٧ باب ما أدغم القراء على غير القياس .

(٢) التيسير ص ٢٨ .

و والإدغام هنا سائع لأنهما من حروف اللسان ، والخرجان
متقاربان والصوتان متفقان في الشدة .

٢ - حروف وسط اللسان

الجيم : تدغم في الشين ولا تدغم فيها الشين :

قال سيبويه : والشين لا تدغم في الجيم لأن الشين استطال
مخرجها لرخايتها حتى اتصل بمخرج الطاء . وفيها - أيضاً -
التفسى فكرهوا أن يدغمونها في الجيم وقد تدغم الجيم فيها ومن
أمثلة ذلك : افرش جبلة ^(١) وأخر شيئاً وابعشينا والإدغام والبيان
حسنان .

الشين : مع الطاء والدال والتاء :

إذا اجتمعت الشين مع هذه الحروف (الطاء والدال والتاء) في
كلمة أو كلمتين فالبيان عربي جيد ^(٢) ومن أمثلة ذلك في القرآن
ال الكريم : [﴿]البطasha ^(٥١) [﴿]« الدخان » و [﴿]بالقسط شهداء ^(٥١) [﴿]
« النساء » ولم يقرأ بالإدغام .

ويجوز إدغام الطاء والدال والتاء في الشين بأن ننقل هذه
الحروف إلى مخرج الشين حتى لا تضيع صفت الاستطالة والتفسى
الخاصتان بالشين .

فنقول ، في : اضبط شيئاً : اضبشيماً

وفي : انقد شيئاً : انقشيناً

وفي : انعشت شيئاً : انعشيناً

(١) الكتاب ٤ / ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ب不认识 .

(٢) المصدر السابق ٤ / ٤٤٦ .

الشين مع الظاء والذال والثاء :

إذا اجتمعت الشين مع هذه الحروف (الظاء والذال والثاء) فالبيان عربي جيد بعد مخرج هذه الحروف ومحرج الشين .
ويجوز نقل هذه الحروف إلى مخرج الشين وإدغامها فيها
فنقول في :

احفظ شباء : احفشناء .

وفي : خذ شباء : خشناء

وفي : ابعث شباء : ابعثناء

ولم تلتق الظاء والذال والثاء في القرآن .

٣ - حروف طرف اللسان

(١) ما يدغم بعضها في بعض :

الطاء والذال والثاء :

تلتقى هذه الحروف بعضها مع بعض فيجوز الإظهار لأنها أصوات وإن اتحدت مخارجها مختلفة في بعض الصفات كالاستعلاء والإطباق في الطاء ، والاستفال في الثاء والذال ، وجهر الطاء والذال ، وهمس الثاء .

ويشق التكلم مع الإظهار لصعوبة الانتقال من المطبق إلى المستفل ومن المجهور إلى المهموس ، ولشدة هذه الحروف ، ولزوم اللسان موضعًا واحدًا لا يتجلّى عنه ولذا جاز الإدغام .

فإذا التقت الثاء والذال مع الطاء وكانت الثاء والذال أولاً فإنهما يصيران طاء ويدغمان في الطاء هذا هو الأمر الطبيعي ، تقول في : انعت طالباً : انعطالياً .

وفي : انقد طالبا : انقطالبا ؛ لأنك تقلب غير المطبق مطبقاً
وفي هذا زيادة لا إجحاف ، وإذا كانت الطاء أولاً فالبيان أحسن ،
لإبقاء الإطباق على حاله وعدم إذهابه .

وقد سمع عن بعض العرب في هذه الحال إدغام المطبق في غيره
بإذهاب الإطباق حتى يجعل الطاء كالباء والدال وما أخلصت فيه
الطاء تاء سماعاً عن العرب قولهم في : حطتهم : حتهم ، وقولهم
في : انقطع تواماً : انقتواماً .

وآخر بعض العرب قلب الطاء دالاً فقالوا في : اضبط دلاً :
اضبد لما .

وفي كل ذلك إجحاف لأن المطبق أفضى في السمع من غير
المطبق فكيف تغلب التاء والدال على الطاء ، إلا أن إذهاب الإطباق
مع الدال أمثل قليلاً ، لأن الدال كالطاء في الجهر والتاء مهمومة .
وهذا الإدغام عربي مسموع .

وإذا التقت التاء مع الدال أو العكس وأردت الإدغام جاز لك أن
تدغم كل واحدة منها في صاحبها حتى تصير التاء دالاً والدال تاء
لأنهما من موضع واحد ، وهما شديدان وليس بينهما شئ إلا الجهر
والهمس وذلك كقولك في : انعت دلاً : انعد لما وفي : انقد تلك :
انقتلك فتدغم .

- الظاء والذال والثاء :

إذا التقت هذه الحروف بعضها مع بعض جاز البيان لاتحاد المخرج
والرخارة .
ويجوز الإدغام .

فإذا تقدمت الظاء على الذال والثاء أدمغت الظاء فيهما لأنها

كلها مجهرة ومن مخرج واحد ولا يفرق بين النظاء وأختيها إلا الإطباق فلنك أن تدغم وتدع الإطباق أو تذهبه .

مثال إدغام الظاء في الذال قوله في احفظ ذلك ، احفذ ذلك
ومثال إدغامها في الثناء قوله في : احفظ ثابتا : احفثابا وإذا
تقدمت الذال أو الثناء جاز لك إدغامهما في الظاء . ومن ذلك قوله
في خذ ظالما : خطالما ، وفي : ابعث ظالما : ابعظالما .

والإدغام فيهن أكثر وأجود لأن أصل الإدغام لحروف اللسان والفم ، وأكثر حروف اللسان من طرف اللسان وما يخالف طرفه . وهذا النوعان من الحروف (ط - د - ت) ، (ظ - ذ - ث) يتبادلان الإدغام بعضها مع بعض ، لأنهن من حيز واحد وليس بينهن إلا ما بين طرف الثنائي وأصولها .

فقول في : اهبط ظالما : اهبطاً وفى : ابعد ذلك : ابعد لك :
وفى : انعث ثابتا : انعثابا .

ومن عكس ذلك قولك في احفظ طالباً : احفظ طالباً ، وفي : خذ
داود : خداود ، وفي ابعث تلك : ابعث تلك .

ط ، ث : اربط ثابتا ، ابعث طاهرا : ابعطاهرا .

د ، ظ : قد ظلم : قظلّم ، عظ داود : عذأورد .

د ، ذ : قد ذرا : قذرا ، إذ دنا : إدنا .

د ، ث : قد ثبت : فثبت ، ابعث داود : ابعدأود .

ت ، ظ : (تظاهرن عليه بالإثم) - البقرة ٨٥ - فرئ

بِالْأَدْغَامِ .

وفرى : (أوعشت) - الشعراء ١٣٦ - بالإدغام .

ت ، ذ : فعلت ذنباً : فلعدنباً ، وقرئ : (وجاء المعدرون) -

الأصل : المعذرون ، إِذْ تَابَ : أَتَابَ .

ت ، ث : أخذت ثعلباً : أخذ تعلباً ، انعمت ثابتًا : انعشأبأتا ،

وَقَرَئَ : (اثَّاقْلَتُمْ) وَتَشَاقْلَتُمْ - التَّوْبَةُ ٣٨ - .

(ب) ما يدغم بعضها في بعض ويُدغم غيرها فيها :

ص - ز - س

إذا التقت هذه الحروف بعضها مع بعض جاز الإظهار لكونها من مخرج واحد وتخالف في بعض الصفات فالصاد مطبقة والأخريان لهما صفة الاستفال والزاي مجهرة والأخريان مهموستان .
ويجوز الإدغام .

فإذا تقدمت الصاد جاز إدغامها في الزاي والسين مع إذهب الإطباق . فنقول في : افحص زردة : افحزَرْدَة وفى : افحص سالما : افحسَلَما .

وإذهب الإطباق مع السين أمثل قليلاً لأنها مهموسة مثل الصاد وكله عربي .

وقد تدغم الزاي والسين في الصاد - إذا تقدمتا عليها - كقولك في : أجز صابرا . أحصَابَرا ، وفي : احبس صابرا : احبَابَرا .

وهذا جائز ^(١) .

والصاد والزاي والسين إذا التقت مع (ط - د - ت) أو مع (ظ - ذ - ث) فإن هذه الحروف تدغم في الصاد والزاي والسين لا العكس لأن هذه الأخيرة تشارك مع نوعي الحروف السابقة في طرف اللسان والثنايا فالطاء وأختاها من أصول الثنايا العليا والصاد والزاي والسين من أصول الثنايا السفلية والمسافة بينهما قليلة مما بين الثنايا والظاء والذال والشاء من أطراف الثنايا والذى بينها وبين الصاد والزاي والسين من الثنائيين يسير وحافظاً على صفة الصفير التى تعد مزية لهذه الأصوات وأدغم غيرها فيها حتى لا تضيع هذه الصفة وتتلاشى .

(١) الكتاب ٤٦٠ - ٤٦٤ .

فتدغم فيها الطاء والدال والتاء فتقول في : اضبطة زردة :
اضيزة زردة ، وفي : ذهبت سلمى : ذهبيسلمى ، وفي : انعت صابرا :
انعصابرا - كما سمع عن العرب وقال ابن مقبل :

فكأنما اغتبصبير غمامه بعراً تصفقه الرياح زلالا^(١).

وتدمغ فيها الطاء والدال والتاء ، فتقول في : احفظ سلمة :
احفسلمة ، وفي ، احفظ زردة : احفزردة . وفي : ابعث سلمة :
ابعلمة ، وفي : خذ صابرا : خصابرا .

ويقول سيبويه : سمعناهم يقولون : مزمان (أصله مذzman)
فيديغمون الذال في الزاي ، ويقولون : مساعة أى مذ ساعه فيديغمون
الذال في السين ، والبيان في الذال أمثل .

(ج) الضاد : لما للضاد من صفة الاستطاله والخرج الخاص
فإظهارها حسن .

ويجوز إدغام غيرها فيها لا العكس حتى لا تضيع صفتها وقد
ورد مسموعاً إدغام الطاء والدال والتاء فيها وكذلك الطاء والدال
والثاء .

فالضاد تخلط مخارج الحروف التي فوق اللام قريبة من
الأستان وهي قريبة من الطاء وتشترك معها ومع الطاء في الإطباق
وتشترك مع الطاء وأخواتها في الرخاء .

فإذا تقدمت الطاء والدال والتاء على الضاد جاز إدغامها في
الضاد ومن ذلك قوله في اضبطة ضرمة : اضضرمة ، وفي انعت
ضرمة : انضرمة .

وقال سيبويه : سمعنا من يوثق بعربته قال :

ثار فضحضحة ركائبه^(٢)

(١) أصله : اغتبقت ، والصبير : ماتراكب من السحاب ، كان بعضه يصبر بعضا ، أى
يعبسه ، والعرا : مقصور العراء ، وهو الفضاء ، وصف امرأة بأن رضابها طيب .

(٢) أصله : فضحت ضجة ، نهر ركائبه للأضيف بسيفه ، فصرخت وصاحت . المقرب
لابن عصفور ص ٧٣ .

ووقع هذا الإدغام مع الدال والتاء في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿فَقَدِ ضلَّ﴾ (١٠٨) «البقرة» ، وقوله سبحانه : ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبَحَا﴾ (١) «العاديات» .

وهذا الإدغام قوى لاستطالة الصاد وإبطاقها .

وإذا تقدمت الطاء والذال والثاء جاز إدغامها في الصاد . ومن ذلك قوله في : احفظ ضرمه : احفضرمة ، وفي : احفظ ضائقك : احفضائك ، وفي : خذ ضرمة ، خضرمة ، وفي : انبذ ضغنك : انبضغنك . وفي : ابعث ضرمة : ابعضرمة (١١) .

ولم يقع في القرآن من ذلك شيء في الطاء والذال ، وجاء مع الشاء مثل قوله تعالى : ﴿حَدَّى ثُرِيفُ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢٤) «الذاريات» .

وردد إدغام الصاد في الطاء مثل : مطجع في مضطجع وقراءة : (ثم أطرك) في (أضطره) - البقرة ١٢٦ - وحيث وقع كما يقول أبو حيان (٢) وورد إدغامها في التاء مثل (فقبضت قبضة) - طه ٩٦ - (من الأرض تكلمهم) - النمل ٨٢ - وفي الشين (ثم شققنا الأرض شقا) - عبس ٢٦ - وفي الذال (الأرض ذهبا) - آل عمران ٩١ - (الأرض ذلولا) - الملك ١٥ - وفي الجيم (الأرض جاعل) - فاطر ١ - وفي الزاي (الأرض زخرفها) - يونس ٢٤ - (٢) .

(د) النون :

تدغم النون في الميم لا العكس مثل أممي ، وأماز لأن صوتهم واحد وهو مجهران يخرجان من الحنخاشيم وبينهما صلة تجعلك

(١) انظر الكتاب ٤ / ٤٦٣ - ٤٦٥ .

(٢) البحار ١ / ٤٩٠ .

(٣) البحر ١ / ٣٨٧ ، والتذليل ٨ / ٦٢٧ ، والارتفاع ١ / ٢١٦ ، والإيقاع لابن البارث ١ / ٢١٦ . ٢١٧ .

تسمع النون كالميم ، والميم كالنون لا تدرك الفرق بينهما إلا بالتأمل والتبين وإن كان المخرجان متباينين .

وتندغم - كذلك - في الراء واللام بغنة وبلا غنة مثل : من راشد ومن رأيت ، وهذا الإدغام بغنة لأن للنون صوتاً من الخياشيم . وما بعده ليس كذلك فتغلب الغنة ، ويمكن أن يجعله بلا غنة فتكون النون بمنزلة حروف اللسان .

وحين تندغم بغنة يتغير مجرى الهواء معها فلا يخرج من الخياشيم بل يأخذ طريق الحرف الذي أدمغت فيه من الراء واللام - وكذلك الواو والياء حال إدغامها فيما - ويشرب صوت الفم غنة وتصير النون مثلهما في كل شيء .

وللنون الساكنة حالات أخرى من الإخفاء والإقلاب والإظهار تدرس في حكم النون الساكنة والتسوين مع ما يليهما من الحروف ^(١) .

ويتسع الإدغام عند اللبس مثل شاء زفقاء وغم زنم وقنواه وقنية وكنية ، ومنية إذ عند الإدغام يصير كأنه من المضاعف وعليه جاءت دنيا وقنوان وصنوان دون إدغام مما جاء في الكلمة واحدة محتملاً للبس .

ولم تأت النون ساكنة قبل راء ولا لام ، في الكلمة واحدة مثل : قفر ، وعنه ، لأن ذلك إذا جاء دون إدغام فهو ثقيل لقرب الخارج ، وإذا جاء مدغماً التبس بالمضاعف فذاك موضع قد تصاعد فيه الراء وقد أتت النون ساكنة قبل الواو والياء بعد المخرجين فخف ذلك على اللسان ^(٢) .

(١) الكتاب ٤ / ٤٥٢ - ٤٥٤ .

(٢) المصدر السابق ٤ / ٤٥٦ .

الفك والإدغام

في الفعل الثلاثي المضعف

ضعف الثلاثي ^(١) هو : ما كانت عينه ولامه من جنس واحد ^(٢).

ولهذا الفعل من حيث الفك والإدغام أحوال :
فتارة يكون ترك الإدغام - بإبقاء كل حرف على حاله - وهو الفك - ملتزما عند العرب .

وآخر يكون إدغام العين واللام ملتزما كذلك عندهم جميعا إلا ما خالف ذلك مما عدا شادا .

وثالثة يختلف العرب في فكه وإدغامه .

فيلتزم الفك في الماضي منه والمضارع والأمر حال الإسناد إلى ضمائر الرفع المتحركة .

فمن الصد والجد تقول في الماضي صددت وجددت وصددنا وجددن ، وصددن وجدن وفي المضارع والأمر ^(٣) يصددن ويجددن واصددن واجددن . وقال تعالى : ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ ٦٠ ﴾ « النور » وقال عز حكمه : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضِبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ٦١ ﴾ « النور » .

(١) الفعل المضعف نوعان : ثلاثي وهو ما نتحدث عنه ، ورباعي وهو ما كانت فاءه ولامه الأولى من جنس ، وعيه ولامه الثانية من جنس مثل زلزل ورسوس وهذا النوع يأخذ حكم الفعل السالم فلا يغيره تغييره عند إسناده إلى الضمائر أو الاسم الظاهر لأن المعرفتين المتماثلين فيه غير متقاربين .

(٢) فيخرج منه مضعف العين مثل بـ وـ مضعف اللام مثل اـ بـ وـ قـ شـ عـ رـ اـ طـ مـ اـ وـ استـ وـ اـ جـ تـ رـ اـ حـ مـ رـ اـ ضـ اـ ، ويعامل مضعف اللام معاملة المضعف الثلاثي أما الأول فلا يحدث فيه تغيير عند الإسناد إلى الضمائر أو الاسم الظاهر .

(٣) يسند إليهما - من الضمائر المتحركة - نون النسوة فحسب .

ويلتزم الإدغام عند إسناد المضعف - بأنواعه الثلاثة الماضى والمضارع والأمر - إلى ضمائر الرفع الشائكة كألف الاثنين أو وار الجماعة أو ياء الخطابة^(٤) فتقول : فى الماضى - صدا و جدا و صدوا و جدوا ، وفي المضارع المرفوع : يصدان و يجدان و يصدون و يجدون و تصدان و تجدان و في المنسوب والجزوم : لن أو لم يصدا و يجدا و يصدوا و يجدوا و تصدى و تجدى وفي الأمر : صدا و جدا و صدوا و جدوا و صدى ، و جدى .

وكذلك يجب الإدغام فى الماضى المضعف إذا أُسنَدَ إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر أو لحقته تاء التائيت فتقول : جد خالد و صد على ، ومحمد جد ، وجدت آلاء .

وكذلك يجب الإدغام فى المضارع المضعف إذا أُسنَدَ إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالى الرفع والنصب فتقول يشب الطفل على ما عوده أبواه والطفل يشب على الجد ، ولن يشب الطفل أو الطفل لن يشب على غير الجد .

وهذه الحالات التى يجب فيها الفك أو الإدغام تكون عند العرب جميعا .

وهناك حالات يجوز فيها الفك والإدغام فى الفعل المضعف الثلاثي حسب اختلاف القبائل .

وذلك فى المضارع المسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالة الجزم لا غير فتقول : لم يصد على ولم يصد ولن يجد أحمد ولن يجدد وعلى لم يجد ولن يجدد .

وكذلك فعل الأمر المسند إلى ضمير الواحد - وهو المبني على

(٤) فى المضارع والأمر .

السكون مثل : كف واكف وجد واجدد وسد واصدد وقد نسب الفك إلى الحجازيين ، والإدغام إلى التميميين .

ففي شرح الشافية : أهل الحجاز لا يدغمون في المضاعف الساكن للجزم أو الوقف نحو اردد ولم تردد ، لأن شرط الإدغام تحريك الثاني ، وبين تقييم وكثير من غيرهم لما رأوا أن هذا الإسكان عارض للوقف أو الجزم وقد يتحرك وإن كانت الحركة عارضة في نحو (اردد القوم) لم يعتدوا بهذا الإسكان وجعلوا الثاني كالمتحرك ، فسكنوا الأول ليذغم فتحيف الكلمة بالإدغام ^(٥) .

وقال الأزهري : إن بني تميم - أدغموا في المضارع المجزوم بالسكون وفعل الأمر المبني على السكون اعتدادا بتحريك الساكن في بعض الأحوال نحو لم يردد القوم واردد القوم وأهل الحجاز لا يعذرون بذلك ^(٦) .

ويذكر السيوطي أن الفعل المضاعف إن سكن للجزم أو البناء فالحجازيون يفكرون وغيرهم من العرب يذغمون لعدم اعتدادهم بالعارض ^(٧) .

وفي حالة الإدغام - هنا - يفتح آخر الفعل - مضارعا كان أو أمرا - للتخفيف عند من يذغم من التميميين وأهل نجد بصفة عامة سواء وليه ضمير الغائب المذكر أو الغائبة أو وليه ساكن أو لا نحو رده ولم يردها ورد المال ولم يرد المال ورد ولم يرد وروى عن قبيلة كعب وغنى وغيره - وكلها بطون من قيس - الكسر مطلقا على أصل التخلص من التقاء الساكين .

(٥) ٢ / ٤٣٩ .

(٦) شرح التصرير ٢ / ٤٠١ .

(٧) همع الهوامع ٢ / ٢٢٧ .

ونقل عن بنى أسد الفتح حين لا يقع بعد المدغم حرف ساكن
أما إذا وقع بعده ساكن فإنهم يكسرن المدغم لالتقاء الساكين
فيكسر في مثل رد المال ولم يرد المال ويفتح فيما عداه .

ونقل عن بعضهم إتباع آخر الفعل لأقرب الحركات إليه نحو رد
- بالضم - وعرض - بالفتح - وفر - بالكسر - إلا مع ضميري
المذكر الغائب والمؤنثة الغائبة فيحرك بحركة الضمائر فيقال : عشه
- بالضم - وردها - بالفتح إلا فيما بعده ساكن من كلمة أخرى
كلام التعريف أو غيرها فيجوز عند بعضهم الفتح عند آخرين
الكسر وهو أجود كما يقول سيبويه مثل فغض الطرف ورد ابنك -
بكسر آخر الفعل وفتحه - .

يقول سيبويه : أعلم أن منهم من يحرك الآخر كتحريرك ما
قبله ، فإن كان مفتوحا فتحوه ، وإن كان مضموماً ضمه وإن كان
مكسوراً كسروه ، وذلك قوله رد وعرض وفر يا فتى ^(٨) فإن جاءت
الهاء والألف فتحوا أبداً ، وسألت الخليل لم ذاك ؟ فقال : لأن الهاء
خفية فكانهم قالوا : رداً وأمدأ ، وغلاً - إذا قالوا : ردها وغلها
وأمددها - (كلها أفعال أمر) ، فإن جئت بالألف واللام والألف
الخفيفة كسرت الأول كله لأنه كان في الأصل مجزوماً ، لأن الفعل
إذا كان مجزوماً فحرك لالتقاء الساكين كسر ، وذلك قوله :
اضرب الرجل ، فلما جاءت الألف واللام والألف الخفيفة ردته إلى
أصله ، لأن أصله أن يكون مسكنًا على لغة أهل الحجاز ، ومنهم من
يفتح إذا التقى ساكنان على كل حال إلا في الألف واللام والألف
الخفيفة ، فزعم الخليل أنهم شبهوه بأين وكيف وسوف وأشباء ذلك ،
و فعلوا به إذا جاءوا بالألف واللام والألف الخفيفة ما فعل الأولون وهم
بنو أسد وغيرهم من بنى قيم ، وسمعناه من ترضى عربيته ، ومنهم

(٨) بالضم في الأول والفتح في الثاني والكسر في الثالث على الإتباع .

من يدعه إذا جاء بالألف واللام على حاله مفتوحا يجعله في جميع الأشياء كأين ، وزعم يونس أنه سمعهم يقولون : غض الطرف إنك من غير ^(٩) .

وقد جاءت آيات كثيرة بالإدغام والفك وختلفت القراءات في الآيات كما جاء ذلك في بعض الأحاديث النبوية تبعا للبيجات العربية فمما جاء من المضارع الفعل (تضار) في قوله تعالى : ﴿ لَ تَضَارُّ وَالَّذِي بَوْلَدَهَا وَلَا مَوْلُودَهُ بَوْلَدَهُ ﴾ - البقرة ٢٣٢ - .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبان عن عاصم (لا تضار)
- بالرفع - أى بفتح الراء المشددة ^(١٠) على الإخبار ^(١١) .

وقرأ باقي السبعة (لا تضار) - بفتح الراء على الجزء جعلوه نبيا ^(١٢) وقرأ الحسن بكسر الراء المشددة على النهي والجزء ^(١٣) .

وروى عن ابن عباس (لا تضار) بفك الإدغام وكسر الراء الأولى وسكون الثانية - مبنيا للمعلوم - وقرأ ابن مسعود - كذلك - بفك الإدغام لكن بفتح الراء الأولى وسكون الثانية - مبنيا للمجهول - وكلا القراءتين على الجزء والنهي ^(١٤) .

(٩) الكتاب ٢ / ٥٣٢ ، ٥٣٤ ، ٥٣٤ وانظر نحو ذلك في الكامل للمردود ١ ٣٣٩ .
٤٣٠ . والبیع ٢ / ٢٢٧ وانظر أيضا - شرح التصریح ٢ / ٥٠١ . والصباح ٦٨٦ .

(١٠) هذا الفعل - في هذه القراءة ونظائرها - من ضار بتشديد الراء لا من ضار بتخفيفها وانظر البحر ٢ / ٢١٢ ، ٢١٤ .

(١١) الكشاف ٢ / ٣٧٠ ، ٣٧١ وهي خبرية لفظا إنشائية - على النهي - معنى .

(١٢) سكت الراء الأخيرة للجزء وسكت الراء الأولى للإدغام فالتفق ساكنان فحرك الأخير منها بالفتح لموافقة الألف التي قبل الراء بمحاجس الألف والفتحة .

(١٣) في هذه الحالات الثلاث التي جاءت فيها الراء مشددة مضومة أو مفتوحة أو مكسورة يجوز أن يكون الفعل مبنيا للمعلوم وأصله (تضار) بكسر الراء الأولى - أو مبنيا للمفعول وأصله (تضار) بفتح الراء الأولى .

(١٤) في حال البناء للمعلوم يكون ما بعد الفعل - والدة ومولود - هو الشاعر والمفعول محدوف والتقدير: لا تضار والدة زوجها بإن طالبه بما لا يقدر عليه من رزق -

والإظهار في هذا ونحوه لغة الحجاز والإدغام لغة قيم .

وال فعل (يغرس) في قوله سبحانه : ﴿فَلَا يغرسك تقبلهم في
الْبَلَادِ﴾ قرأ الجمهور بالفك - وهي لغة أهل الحجاز - وقرأ زيد
بن على وعبيد بن عمر ﴿فَلَا يغرسك﴾^(١٥) بالإدغام مفتوح الراء
وهي لغة قيم .

وال فعل (يضر) في قوله جل ثناؤه : ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَنْقُوا
لَا يَضُرُّكُمْ كِيدُهُمْ شَيْئاً﴾^(١٦) قرأ الكوفيون وابن عامر بالإدغام ،
وقرأ أبي : (لا يضركم) بفك الإدغام ، وقرأ عاصم - فيما روى
أبو زيد عن المفضل عنه - بضم الضاد وفتح الراء المشددة نحو : لم
يرد زيد ، والفتح هو الكثير المستعمل ، والفك لغة أهل الحجاز .
ولغة سائر العرب بالإدغام^(١٧) .

وكذلك الفعل (يمس) في قوله تعالى : ﴿إِنْ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ
فَقَدْ مَسَ الْقَوْمُ قَرْحٌ مُثْلِهِ﴾^(١٨) قرئ يمسكم بالإدغام - ويمسكم
بالفك .

وجاء الفعل (يرتد) - مجزوما - بالفك والإدغام في قوله

= وكسرة وغير ذلك من وجوه الضرر ، ولا يضارر مولود له زوجته بمنعها ما وجب لها
من رزق وكسرة وأخذ ولدها مع إشارتها بإرضاعه وغير ذلك من وجوه الضرر .
إذا كان مبنيا للمجهول فما بعده نائب فاعل والمراد النهي عن أن يلحق الوالدة
الضرر من قبل الزوج وأن يلحق الضرر بالزوج من قبلها بسبب الولد .

(١٥) سورة غافر من الآية ٤ ، وانظر البحر ٧ / ٤٤٩ .

(١٦) آل عمران من الآية ٤ ، وخالف أحركة الراء إعراب فهو مرفوع أم حرقة إتباع لضمة
الضاد ، وهو مجزوم ، فخرج الرفع على العقد والتقدير : لا يضركم أن تصيروا ،
ونسب هذا القول إلى سيبويه ، وخرج أيضا على أن (لا) يعني (ليس) مع إضمار
الفاء والتقدير : فليس يضركم . قاله الفراء والكسائي .

(١٧) البحر ٣ / ٤٢ .

(١٨) آل عمران من الآية ١٤٠ ، والبحر ٣ / ٦٢ وأنظر من ٤٣ أيضا .

تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرْتَدِّدْ مِنْكُمْ عَنِ دِيْنِهِ فَإِنَّمَاٰ هُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ (١٩).

وقوله سبحانه : ﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ (٢٠) قرأ نافع وابن عامر (من يرتد) بدالين مفكوكا وهي لغة الحجاز ، والباقيون بوحدة مشددة وهي لغة تميم .

كما جاء الفعل (يشاق) مجزوما - كذلك - فجاء بالفك في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَشَاقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِهِ مَا تُولِي وَنَصْلِهِ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٢١)

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٢٢) كما جاء بالإدغام والفك في قوله سبحانه : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٢٣) ق أ الجميه، بالادغام وقوأ طلحة بالفك^(٢٤) .

وال فعل (يحب) في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تَحْبُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يَحْبِبُكُمُ اللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ قرأ الجمهور (تحبون و يحببكم) من أحب ، وقرأ أبو رجاء العطاردي بفتح التاء والياء من حب - وهما لغتان ، وقرئ (يحبكم) بفتح الياء والإدغام .

وأيضا الفعل (يحل) في قول المولى تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غُصْبِي فَقَدْ هُوَ ﴾ .

(١٩) سورة البقرة الآية ٢١٧ ولم يقرأ هنا بادغام المثلثين ، البحرين ٢ / ١٥٠ .

(٢٠) سورة المائدۃ الآیة ٥٤ ، وانظر الكتاب ٢ / ٤١٧ ، ٤٧٣ والسبعة لابن مجاهد ص
٢٤٥ والبعر ٣ / ٥١١ .

(٤١) سورة النساء الآية ١١٥ والبعض / ٣٥٠ .

(٤٧١) . سرقة الأنفال الآية ١٣ أجمعوا على فك المثلين اتباعاً لخط المصحف ، البحر ٤ /

(٢٣) سورة الحشر الآية ٤ والبحر ٨ / ٤٤ .

وال فعل (تمن) في قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَمْنَنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ قرأ الجمهور بالفک والحسن وأبو السمال بـ شد التون (٢٤) .

ويستعفف في قوله سبحانه : ﴿ وَلِيَسْتَعْفِفُ الظَّالِمُونَ لَا يَجِدُونَ نَكَاحًا حَتَّىٰ يَغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٢٥) .

زما جاء من ذلك في الحديث ما وقع في حديث لأبي ذر (فلم أتقرار أن قمت) بالإدغام أى لم أثبت وأصله أتقرار فأدغمت الراء في الراء (٢٦) .

زما جاء من صور الأمر قوله تعالى : ﴿ وَاحْلِلْ عَقْدَةَ مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوَا قَوْلِي ﴾ (٢٧) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَاقْصِدْ فِي مُشْكِ وَاغْضُضْ مِنْ صوتِكَ ﴾ (٢٨) الحجازيون يقولون : أغضض وأهل خد يقولون غض بالإدغام .

زفي الحديث (اللهم اشدد وطائفك على مصر) (٢٩) جاء هذا بالفک وكذلك (ثم قال لإنسان يصب : اصب فصب على رأسه) (٣٠) .

زفي حديث آخر (خذ يا جابر فصب على) (٣١) بالإدغام .

(٢٤) آل عمران الآية ٣١ ، طه الآية ٨١ ، المثمر الآية ٦ وانظر البحر ٢ / ٤٣١ ، ٦ / ٢٦٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧١ .

(٢٥) التور الآية ٣٣ وانظر : النهر الماد على البحر ٦ / ٤٥٠ .

(٢٦) النيابة ٤ / ٣٨ .

(٢٧) طه الآية ٣٧ وانظر البحر ٦ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٢٨) لقمان الآية ١٩ ولم يقرأ هنا بإدغام المثلثين .

(٢٩) صحيح مسلم ١ / ٤٦٧ .

(٣٠) المصدر السابق ٤ / ٣٠٦ .

(٣١) المصدر السابق ٤ / ٣٠٨ .

و كذلك (فمن جاءك منا فاقض عليه) (٣٣) بالفك ، وجاء
بالإدغام في قوله : (من رأى منكم رؤيا فليقضها أعيتها له) (٣٤) .

وما ورد في الشعر قول جرير :

فغض الطرف إنك من غير فلا كعبا بلغت ولا كلاما

ويقول المبرد : أهل الحجاز على القياس الأصلي : أردد
واغض عن وكل ذلك من قوله وقول التميمين قياس مطرد بين (٣٥) .
فأهل الحجاز لا يدعون لشلا يؤدى الإدغام إلى التقاء الساكنين
إذ يحتاج إلى تسجين الأول والثاني ساكن فيلتقي ساكنان نحو : إن
تردد أردد وإن تشدد أشد وغيرهم يدفع حمل المجزوم على غيره
مثل يفر وحمل ما سكونه بناء على ما سكونه للجزم للمشابهة
بينهما كهدف آخر الفعل المعتد للجزم وللبناء مثل أغز ولم تغز (٣٦) .

هذا هو المشهور عند العرب .

وقد جاءت بعض الروايات عن بعض العرب بالإدغام في الماضي
والضارع والأمر المستددة إلى ضمائر الرفع المتحركة فيقولون : ردت -
بضم التاء وفتحها للمتكلم والمخاطب - وردن - باليأساد إلى نون
النورة - في الماضي - ويردن وردن - بمساند المضارع والأمر إلى نون
النورة والمشهور عند العرب الفك يأن يقال : ردت بضم التاء
للمتكلم وفتحها للمخاطب - ورددن ويرددن وارددن (كانوا قدروا
وجود الإدغام قبل دخول تاء الضمير أو نونه) (٣٧) وكأن اتصال
الضمير أمر عارض (٣٨) .

(٣٩) المصدر السابق ٣ / ٤٤٣ .

(٤٠) المصدر السابق ٤ / ٧٧٩ .

(٤١) اللسان (غض) والبحر ٢ / ٤٤٣ ، والتكامل للمبرد ١ / ٤٤٠ .

(٤٢) المعجم ٢ / ٦٥٦ ، ٦٥٧ .

(٤٣) المصدر السابق ٢ / ٦٦٠ .

(٤٤) شرح الشافية ٢ / ٢٤٦ .

وعليه في الحديث (رأيت في رؤيائي هذه أني هزرت سيفا)
الرواية بالفك (و عند السمرقندى هزت سيفا بزاي مشددة)^(٣٨) .

وفي حديث أحد (حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل) أى
يعدون جاء الفعل يشتددن بالفك - على الأصل ، وجاءت فيه رواية
أخرى هي (يستدن) - بالسين المهملة والنون - أى : يصعدن فيه .

وعلى ذلك جاءت قراءة ابن أبي عبّلة والوليد بن مسلم وأبي
جعفر وشيبة ونافع - في بعض الروايات عنهم - في قوله تعالى :
﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأُولَ﴾^(٣٩) فرأوها بتشديد الياء من غير إشباع
في الثانية ، ووجهها ابن خالوية في الشواد بأنها من إدغام الياء في
الياء في الماضي عيّي وهي مفتوحة قبل حاق ضمير المتكلمين به .
فلما أدغم الحقه ضمير المتكلم معظم نفسه ولم يفك الإدغام^(٤٠) .

وعليه ما جاء في الحديث (حتى إذا رأينا جدر المدينة هشنا
إليها) كذا الرواية عند السجزي وعند أبي بحر : هشنا بفتح الهاء
وتشديد الشين على الإدغام ولغة بعض العرب في نقل الحركة ثم
إدغامها^(٤١) .

وهذا الإدغام مخالف للمعهود في اللغة وقد وصفه بعض شراح
الحديث بأنه صحيح^(٤٢) وقيل إنه شاذ قليل^(٤٣) أو تركيب قبيح في
العربية^(٤٤) وذلك لأن الإدغام إنما جاز في المضعف لسكون الأول

(٣٨) شرح مسلم للنووى ١٥ / ٣٢ .

(٣٩) سورة ق الآية ١٥ . قرأ الجمهور (أفعينا) بباء مكسورة بعدها ياء ساكنة وهو
الماضي (عيي) كرمي أسته إلى ضمير المتكلمين .

(٤٠) انظر البحر ٨ / ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٤١) صحيح مسلم ٢ / ١٠٤٧ .

(٤٢) النووى في شرح مسلم ١٥ / ٣٢ .

(٤٣) شرح الشافية للرضي ٣ / ٢٤٥ .

(٤٤) اللسان ٤ / ٢٢٠ .

وتحريك الثاني وعند الإسناد إلى ضمير الرفع المتحرك يلزم الفك لأن ما قبل الضمير المتحرك يسكن لتوالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة فيلتقى ساكنان (الحرف الأول من المدغم والمدغم فيه بعد التسكين) فيحرك الأول ويفك الإدغام.

ونسب الإدغام هنا إلى بكر بن وائل أو أناس منهم وهي لهجة ضعيفة^(٤٥) كما ذكر الخليل وسيبوه قال الرضي : اعلم أنه إذا اتصل النون وتاء الضمير بال مضاعف نحو رددت ورددنا فإن بني قيم وافقوا فيه الحجازيين في فك الإدغام للزوم سكون الثاني ، وزعم الخليل وغيره أن أناسا من بني بكر بن وائل وغيرهم يدعمنون نحو ردت نظرا إلى عروض اتصال الضمائر فيحركون الثاني بالفتح للساكنين . قال السيرافي : هذه لغة رديئة فاشية في عوام أهل بغداد^(٤٦) .

كما جاء الفك في الماضي المسند إلى ضمائر الرفع الساكنة شذوذًا في قول الشاعر :

مهلاً أعادل قد جربت من خلقني أنى أجود لأقوام وإن ضنوا وكذلك فى الأمر فى قول البوصيري :

فما لعينيك إن قلت أكفهمتا وما لقلبك إن قلت استفق بهم كما جاء الفك في الفعل الماضي المسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر منسوبا إلى هذه القبيلة السابقة أيضا .

ومن ذلك الحديث (فازحفت عليه بالطريق فعيى بشأنها)^(٤٧)

(٤٥) شرح التصريح ٢ / ٤٠٣ والأشموني ٤ / ٣٥١ ، ٣٥٢ والممعن لابن عصفور ٢ / ٦٦١ ، والكتاب لسيبوه ٣ / ٥٣٥ والبعر عند الحديث عن الآية أفعينا إلخ .

(٤٦) شرح الشافية ٢ / ٢٤٦ .

(٤٧) صحيح مسلم ٢ / ٩٦٢ .

الرواية بكسر الياء الأولى من العى والعجز ، وفي رواية بعضهم فعى
بتشدد الياء وإدغام الأولى فيها على اللغة السابقة .

وفي كتب اللغة : عى بأمره وعيى والإدغام أكثر نقله الأزهري
وذلك عند بعض العرب ^(٤٨) يقال : عيى من باب تعب وقد يدغم
الماضى فيقال عى ^(٤٩) .

صيغة افتعل

يحرى فيها تقريب الصوت من الصوت لأجل الإدغام ، فقد
أراد العرب التخفيف حين تجاور تاء الافتعال المهموسة الشديدة مع
بعض الأصوات الجھورة أو الرخوة كالدال والذال والزاي لصعوبة
النطق بها دون حدوث تغيير صوتي .

فالباء المهموسة لا تناسب مع الدال الجھورة ، والدال والزاي
مع جھورهما رخوان فتقلب تاء الافتعال دالا فتقول في افتعل من دان :
ادان ومن ذكر اذذكر ومذذكر ومن زان ازان ومن زجر ازدجر .

وبعض العرب - في غير المتماثلين كالذال والزاي - يزيد من
قوه التماثل فيحول الدال صوتا من جنس فاء الافتعال ويديغمها فيها
فيقول من ذكر : اذكر ومذذكر ومن زان : ازان ، ومن زجر : ازجر .

وبعضهم يقلب فاء الافتعال إذا كانت ذالا من جنس الدال
بعدها ثم يديغمها فيها فيقول : اذكر ، ومذذكر ومنه قوله تعالى :
﴿ وادكرا بعد أمة ﴾ ^(٥٠) وقرأ بعضهم (واذكر) بالذال ، وعلى
ذلك جاء في الحديث (وعليه جماعة فاذرع منها يده) أى أخرجهما ،

(٤٨) اللسان والصحاح والقاموس (عى) .

(٤٩) المساجد ٤١ .

(٥٠) سورة يوسف الآية : ٥ .

هكذا رواه الهروي وغيره واذرع افتتعل من ذرع يعني مد ذراعيه
ويجوز ادرع أيضا (٥١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بَيْوَتِكُمْ ﴾ (٥٢) وفي
حديث أصحاب المائدة (أمروا ألا يدخلوا فادخلوا) أصل الاذخار :
اذخار افتعال من الذخر يقال ذخر واذخر فقلبت التاء إلى ما
يقاربها من الحروف وهو الدال لأنهما من مخرج واحد ولتناسب
الدال في الجهر فقيل اذخر ، وفيها طريقتان آخرتان :
إحداهما قلب الدال المعجمة دالا وإدغامها فيها فتصير دالا
مشددة اذخر - وهذا هو الأكثر .

والثانية : قلب الدال المهملة إلى ذال وإدغامها فيها فتصير
اذخر وهذا هو الأقل (٥٣) .

وأراد العربي التخفيف - أيضا - حين تكون فاء الافتعال من
أصوات الإطباقي (الصاد والضاد والطاء والظاء) ، لأن تاء الافتعال
مستففة ، وهذه الأصوات مستعملية مطبقة لما يسبب ثقلا في النطق
بها متجاوزة مع التاء بعدها ، فيحول العربي التاء إلى صوت من
مخرج التاء له صفة الاستعلاء ، والإطباقي وهو الطاء لينتقل اللسان
من صوت مطبق إلى نظير مطبق أيضا فيسهل النطق ويتحقق
الانسجام فيقول : من صبر : اصطبر ومصطبر .

ومن ضجع : اضطجع ومضطجع .

ومن طلع : اطلع ومطلع .

ومن ظعن : اظطعن ومظطعن .

(٥١) النهاية ٢ / ١٥٨ (ذرع) وسر الصناعة ١ / ٢٠٤ ، ٢٠٢ .

(٥٢) سورة آل عمران من الآية ٤٩ . . .

(٥٣) النهاية ٢ / ١٥٦ ، ١٥٥ وسر الصناعة ١ / ٢٠٢ ، ٢٠٠ .

وقد قرب العربي النساء المسئولة من الفاء المستعملة المطبقة ولم يدعم ، امام امع الطاء فيحب الادعاء لاجتماع الشلين والأول منها ساكن

وأحياناً يزيد بعض العرب التخفيف والتقرير فيقلب الطاء
المبدلة من ناء الافتعال إلى حسن الصوت الذي هو فاء الافتعال ثم
يدغم فيه فيقول : في اصْبَرْ : أصْبَرْ ، وفي مصْبَرْ : مصْبَرْ .

قال تعالى ﴿فَلَا جُنَاحٌ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلِحُوا مَا
فِي الْجَدْرِيَّةِ﴾ (أَنْ يَصْلِحُوا) بِتَشْدِيدِ الصَّادِ، وَيَقُولُ فِي اضطَرَبَعْ
اضْطَرَبَعْ ، وَفِي اضْطَرَبَعْ اَظْعَنْ بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ .

وأحياناً أخرى يجد بعض العرب يقليل فلء الافتعال من جنس الطاء التي حللت مكان الشاء فيقولون في اصطلاحهم: اطبع، وفي أطّره: أطّره قال تعالى **كَمْفُر** قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار ويسن المصي ^(٥٥)، قوله ابن ماجيسيان: أطّره

وكان أهلاً يحصل على مرضه لأنّه يفتّل من صلح فقلبت
باء الافتّل طاء ليتحقق المثائل والانسجام في أصوات الملفظ لأن
الباء ضبوط مستقبل والمصاد مستعمل فتحولت لباء إلى صوت مستعمل
 المناسب وهو الطاء فصار الملفظ يصطبه باء وهذا نوع من تقريب
 الصوت دون إدغام ثم حولت الطاء من مخرجها من طرف اللسان مع
 أصول الشايا العليا إلى مخرج الصاد من طرف اللسان مع أطراف
 الشايا السفلية لتتفق معها في الرخاوة ويسمح للهواء بالمرور وعندئذ
 يتبع الصوتان في دفعيّة للذيل فصار الملفظ على ما هو عليه

(٥٤) سورة النساء الآية ١٢٨

(٥٥) سورة اليقنة الآية ١٢٦

الآن (يقتضي حام) ، وعليه هذا التمط تفسر أصبه ، أمّا قراءة (أظره) فقد كان أصل اللفظ أضبه ثم لاستغفاله واستغلاه الصناد قلبه النساء طاء لتناسب الصناد فصارت أضبه فلم إن الصناد انتقالت إلى رخواة الطاء فقلبت صوتاً ماثلاً ثم أدغمت فيها . ويعتبر ابن جنى هذه لغة مرذولة أعني إدغام الصناد في الطاء وذلك لما فيها من الامتداد والفسو فإنها من الحروف الخمسة التي يدغم ما يجاورها فيها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي : (ش - ض - ر - ف - م) ويجتمعها (ضم شفر) وقد أخرج بعضهم الصناد من ذلك وجمعها في قولهم (مشفر) ^(٥٦) .

وهذه الحروف يدغم بعضها في بعض ويتحول بعضها إلى بعض لقرب المخارج فأصوات الإطباقيات أخوات ومن قبلها الدال والذال والزاي كلهن من الثنائيات وطرف اللسان ^(٥٧) فكلهن من حيز واحد .

أما إذا بنيت (افتتعل) من واوى أو يائى الفاء فالعرب يختلفون : فالحجازيون لا يعبأون بتلاعب الحركات التي قد تقلب الواو ياء أو ألفاً أو تقلب الياء واوا أو ألفاً في افتتعل من (ورث) يقولون : أيرث ، ياترث ، مورث ومن ينبع : ايتنعم ، ياتنعم ، موتنعم وأما التميميون فيبدلون الواو أو الياء تاء ويدغمونها في تاء الافتتعل حتى لا تتعرض لتلاعب الحركات بها فيقولون فيما سبق : اترث يترث فهو مترث ، واتنعم يتنع فهو متぬ .

تفاعل وتضليل

تأتى كل من الصيغتين بإظهار التاء دون إدغامها فيما بعدها وإذا كانت الفاء فيهما من طائفة الحروف التي تخرج من أصول الثنائيات

^(٥٦) المختب ١ / ١٠٦ .

^(٥٧) الكتاب ٤ / ٤٦٢ - ٤٦٤ .

العليا أو السفلية أو ما بين الشبايا (طه ذيـتـ) - ظـذـثـ - صـسـ (زـ) أو من حروف وسط اللسان (جـشـ) اختلفت قبائـلـ العربـ .

فبعضـهمـ يـظـهـرـ التـاءـ فـيـهاـ دونـ إـدـغـامـ لهاـ فـيـ الـفـاءـ بـعـدـهاـ وبـعـضـهمـ يـدـغـمـ .

فمن الإـظـهـارـ فـيـ صـيـفـةـ تـفـاعـلـ قولـهـ تعـالـىـ : ﴿ لـوـلـاـ أـنـ تـدارـكـهـ نـعـمـةـ مـنـ رـبـهـ ﴽ^(٥٨) وـمـنـ الإـدـغـامـ قولـهـ عـزـ حـكـمـهـ : ﴿ وـإـذـ قـتـلـنـهـ نـفـسـاـ فـادـارـأـتـمـ فـيـهـ ﴽ^(٥٩) وـقـولـهـ تعـالـىـ : ﴿ بـلـ اـدـارـكـ عـلـمـهـ فـيـ الـآـخـرـةـ ﴽ^(٦٠) وـقـولـهـ : ﴿ اـتـاقـلـمـ إـلـىـ الـأـرـضـ ﴽ^(٦١) .

وـمـاـ جـاءـ بـعـدـ أـوـجـهـ قولـهـ تعـالـىـ : ﴿ إـنـ الـبـقـرـ تـشـابـهـ عـلـيـنـاـ ﴽ^(٦٢) قـرـئـ يـشـابـهـ بـالـيـاءـ وـالتـاءـ دـونـ إـدـغـامـ وـقـرـئـ ﴿ إـنـ الـبـقـرـ تـشـابـهـ عـلـيـنـاـ ﴽ^(٦٣) .

وـقـولـهـ تعـالـىـ : ﴿ مـاـ جـعـلـ اللـهـ لـرـجـلـ مـنـ قـلـبـيـنـ فـيـ جـوـفـهـ وـمـاـ جـعـلـ أـزـوـاجـكـمـ الـلـائـىـ تـظـاهـرـونـ مـنـهـنـ أـمـهـاتـكـمـ ﴽ^(٦٤) قـرـئـ تـظـاهـرـونـ بـحـذـفـ إـحـدـىـ التـاءـيـنـ وـبـإـدـغـامـ التـاءـ الثـانـيـةـ فـيـ الـظـاءـ ﴽ^(٦٥) .

وـمـنـ الإـظـهـارـ فـيـ صـيـفـةـ تـفـاعـلـ قولـهـ تعـالـىـ : ﴿ ثـمـ دـنـاـ

(٥٨) سورة القلم من الآية ٤٩ .

(٥٩) سورة البقرة من الآية ٧٢ .

(٦٠) سورة النمل من الآية ١٨ .

(٦١) سورة التوبة من الآية ٢٨ .

(٦٢) سورة البقرة من الآية ٧٠ .

(٦٣) تفسير أبي السعود ١ / ١١٢ .

(٦٤) سورة الأحزاب من الآية ٤ .

(٦٥) تفسير أبي السعود ٧ / ٩٠ .

فتدعى ﴿٦٦﴾ وقوله ﴿أَفَلَا يَتَدْبِرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ
أَفْفَالِهَا﴾ ﴿٦٧﴾ وقوله سبحانه : ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سعى﴾
﴿٦٨﴾

ومن الإدغام قوله عز حكمه : ﴿هُنَّ حَتَّى إِذَا أَخْذُتُ الْأَرْضَ
زَخْرَفَهَا وَازْيَنَتُ وَظَنَّ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾
﴿٦٩﴾ فأصل
ازينت : تزيين فادغم ، وقرئ على الأصل ﴿٧٠﴾ وقوله تعالى : ﴿لَا
يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾
﴿٧١﴾ أصله يتسمعون ، والبيان عربي
حسن لا خلاف المخرجين ﴿٧٢﴾ .
وقوله جل ثناؤه : ﴿فَمَنْ يَرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشَرِّحَ صَدْرَهُ
لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يَرِدُ أَنْ يَضْلِلَهُ يَجْعَلَ صَدْرَهُ ضِيقًا حَرْجًا كَأَنَّمَا يَصْعُدُ
فِي السَّمَاءِ﴾
﴿٧٣﴾ .

أصل يصعد . يتتصعد ، وقرئ يصاعد وأصله يتتصاعد ﴿٧٤﴾ .
وقوله سبحانه : ﴿فَأَقْمِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ الْقِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَاتِيَ
يَوْمَ لَا مُرْدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدِعُونَ﴾
﴿٧٥﴾ أصله يتتصعدون على
معنى يتفرقون فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل النار .

(٦٦) سورة النجم من الآية ٨ .

(٦٧) سورة محمد ﷺ من الآية ٢٤ .

(٦٨) سورة النازعات من الآية ٣٥ .

(٦٩) سورة يونس من الآية ٢٤ .

(٧٠) الإتحاف ٢ / ١٠٨ .

(٧١) سورة الصافات من الآية ٨ .

(٧٢) الكتاب ٤ / ٤٦٣ .

(٧٣) سورة الأنعام . من الآية ١٢٥ .

(٧٤) تفسير أبي السعد ٣ / ١٨٣ .

(٧٥) سورة الروم الآية ٤٣ .

وفي حديث الزكاة : (لا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا تيس إلا أن يشاء المصدق) (٢٦) - بضم الميم وتشديد الصاد والدال معاً مع كسر الدال وهو صاحب المال وأصله : المصدق فأدغمت التاء في الصاد .

وما لا ريب فيه أن وضوح الأصوات وفصل بعضها عن بعض يتطلب بذلك مجهد عظيم كبير حتى لا تختلط ، ولا تشوه صورها ، وهذا خاص بالبيئة المدنية التي تتسنم بذلك السمات ، أما غموض الأصوات ودخول بعضها في بعض فإنه ناجم عن السرعة في إخراجها ، وعدم التأني فيها ، وذلك هو اتجاه قبائل البدية .

ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الإدغام ينبع إلى تلك القبائل التي كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بادية غليل إلى التخفيف ، والسرعة في الكلام كتميم وأسد وغنى وعبد القيس ، وبكر بن وائل وكعب وغيره (٢٧) .

كما ينبع الإظهار إلى بيئات الحجاز المتحضررة وهي تقتل التأني في الأداء بحيث تظهر كل صوت فيه (٢٨) وقد نسب سيبويه هذه الظاهرة إلى قبائلها في مواطن من كتابه .

وليس يعني هذا أن كل قبائل الحجاز لا تدغم في كل حال ، بل إن بعض قبائل الحجاز ربما تأثرت بمحاورتها من أرباب الإدغام ، فتميل إليه كمهذيل ، فهي قبيلة مدنية ، وقد ثبت أنها تدغم ياء المتكلم في ألف المقصور بعد قلبها ياء (٢٩) .

(٢٦) النهاية ٢ / ١٥ الهرمة وذات العوار لا تؤخذ في الصدقة إلا إذا كان المال كله كذلك عند بعضهم . وقد نهى عنأخذ التيس في الصدقة لأنه مضر برب المال إلا أن يسمح به .

(٢٧) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٣٣ .

(٢٨) في اللهجات العربية د. أنيس ٥٦ .

(٢٩) انظر ص ٣٢٥ من كتابنا (اللهجات العربية - نشأة وتطورها) .

وهذه الظاهرة تسمى عند علماء اللغة المحدثين الماثلة
وتدرس أحيانا تحت اسم التضعيف doubling وهي
تُخضع لنظرية السهولة ، وكان الإدغام ظاهرة حادثة ، والفك هو
الأصل قبل التطور .

أهم المصادر والمراجع

- أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي للمؤلف - الدكتور عبد الغفار حامد هلال .
- إبراز المعانى من حرز الأمانى ، لأبى شامة .
- الإبانة عن معانى القراءات وعللها وحججها ، لمکى بن أبى طالب .
تحقيق الدكتور محیی الدین رمضان . ط دمشق .
- إنحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ، للبنا الدمياطى .
- الإتقان فى علوم القرآن ، للإمام السيوطي .
- إرشاد الفحول ، للشوكانى - ط القاهرة .
- أساس علم اللغة لماريوبای .
- أصول الحو ، لأبى بكر بن السراج .
- البحر الخيط ، لأبى حيان الأندلسى .
- البرهان فى علوم القرآن ، للزركشى .
- بيان (وشرح) جهد المقل ، للمرعشى ساجقلى زادة .
- تجويد التلاوة وتحقيق القراءة ، للدانى .
- التحديد فى الإتقان والتسديد فى صنعة التجويد ، لأبى عمرو الدانى .
- التطور النحوى ، لبرجمسترا سر .
- تفسير ابن عطية .
- تفسير ابن كثير .
- التمهيد فى علم التجويد ، لابن الجزرى .
- تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهري .

تُعْلِمُكُوكَيْدَهُ عَنْ تَارِيخِ الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ ، الْمُتَراَفِعِيَّ بِرُوْتَنَ الْفَسَادِ أَمْ عَلَى تَلْسُورِبِ
تَارِيخِ التِّرَاثِ الْعَرَبِيِّ هَذِهِ الْفَوَادِ نَزَّلَنِي مَمْ يَذَكُرُ الْإِنْسَانَ مَا سَعَى ؟

- جمهرة اللغة ، ابن دريد .
- جمال القراء وكمال الإقراء ، للجعبري - تحقيق الدكتور على البواش - ط الرياض وشعب أهلها أنهم قادرون عليهما .
- جهد المقل ، للمرعشى ساجقلى زاده .
- جامعة الترمذى .
- الجامع للأداء ، للمعدل المصرى .
- الحجۃ في علل القراءات السبع لأبى علي الفارسي - تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم - ط دمشق .
- حجة القراءات ، لأبى زرعة .
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر ، للمحبى - ط بيروت .
- درومن في علم أصوات الغربية ، جان كانتينو .
- رسم المصحف - دراسة لغوية تاريخية ، لغام قدوري - ط العراق .
- الرعالية لمکى بن أبي طالب .
- زاد المعاد ، لأبى قيم الجوزية .
- السابعة في القراءات ، لأبى مجاهد .

- سراج القارئ المبتدى ونذكرة القارئ المنتهى ، لابن القاصح .
- سنن ابن ماجة .
- سنن أبي داود .
- سنن الدارمي .
- سنن النسائي .
- السيرة النبوية ، لابن هشام .
- شرح المفصل ، لابن يعيش .
- الشاطبية (قصيدة حرز الأمانى ووجه التهانى) للإمام الشاطبى .
- صحيح البخارى .
- صحيح مسلم .
- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ، لابن فارس .
- علم الأصوات العام ، لهيفنر .
- عمدة المفید وعده الجید فى معرفة لفظ التجوید ، للإمام السخاوی .
- العین ، للخليل بن أحمد .
- غایة النهاية فى طبقات القراء ، لابن الجزری .
- فضائل القرآن (ملحق بتفسير الحافظ ابن کثیر) .
- الفهرست ، لابن النديم .
- فهرسة ما رواه ابن خير الإشبيلي عن شيوخه .
- القراءات واللهجات ، للأستاذ عبد الوهاب خمودة .

- القراءات - تاريخ وتعريف ، للدكتور عبد الهادى الفضلى .
- القصيدة الخاقانية لأبى مزاحم الخاقانى .
- القاموس المحيط ، للفيروز ابادى .
- كتاب المصاحف ، للسجستانى .
- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . حاجى خليفة .
- الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها ، للكى بن أبى طالب .
- طائف الإشارات لفنون القراءات ، للقسطلانى .
- اللغة . لفندريس .
- اللهجات العربية فى القراءات القرآنية للدكتور عبد الراجحى .
- اختسب فى تبيان شواذ القراءات ووجه اختلافها ، لابن جنى .
- الحكم فى نقط المصاحف ، لأبى عمرو الدانى تحقيق الدكتورة عزة حسن .
- مذاهب التفسير الإسلامى للمستشرق جولد تسىهر . ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .
- المقنع فى رسم المصحف : لأبى عمرو الدانى .
- المنح الفكرية على متن الجزرية ، لعلى القارئ .
- مناهل العرفان فى علوم القرآن ، للزرقانى .
- النبأ العظيم ، للدكتور عبد الله دراز - ط الكويت .
- النشر فى القراءات العشر ، لابن الجزرى .
- نهاية القول المفيد للشيخ محمد مكى نصر الجريسى .

فهرست الموضوعات

الصحيفة	الموضوع
٣	المقدمة
الفصل الأول	
٥	تعريف القرآن
٥	آراء العلماء في اشتقاقه ودلاته
٨	مدة نزول القرآن الكريم
١٠	كتابة القرآن الكريم وتدوينه في المصاحف
الفصل الثاني	
(٣١ - ١٦)	بين التجويد والقراءات
١٦	التجوية
١٧	الأداء
١٨	طرائق الأخذ عن الشيوخ
١٩	حكم تعلم التجويد وفائده
٢١	علم القراءات والصلة بينه وبين علم التجويد
٢٤	من مصطلحات علم القراءات
٢٤	(الإمام - الراوى - الطريق - الوجه)
٢٥	القارئ والمقرئ
٢٧	أنمه القراءة وأشهر رواتهم
الفصل الثالث	
(٤٠ - ٣٢)	من مصطلحات التجويد والقراءات
٣٢	التلاوة وأنواعها

الصحيحة	الموضوع
٣٣	التحقيق
٣٤	الترتيب
٣٥	التدوير
٣٦	الحدر
	من صور وأشكال الانحراف عن طريق الأدائية
٣٨	المعتمدة في قراءة القرآن الكريم
	(أ) الأخذ بالفناء أو التطريب أو الترقيص لحن في
٣٩	القراءة
٣٩	(ب) الترعيد
٣٩	(ج) التحزين
٣٩	(د) التحريف
	الفصل الرابع
	التأليف في التجويد والقراءات
٤١ (٦٠ - ٦٠)	تجهيد
٤٣	أولاً : التأليف في التجويد
٥٠	ثانياً : التأليف في القراءات
	الفصل الخامس
	القراءات واللهجات
	أولاً : صلة القراءات بالأصوات العربية وائللافها
٦١	وللهجات العرب في ذلك
	ثانياً : تنوع القراءات والاحتجاج لها وصلة ذلك
٧٠	بالأحرف السبعة

الصحيفة

الموضوع

(أ) تفسير الحديث المشهور في إنزال القرآن على سبعة أحرف	٧٢
(ب) تدوين القرآن الكريم في المصاحف وعلاقته بذلك بالأحرف السبعة	٧٨
(ج) القراءات وعثيئتها للأوجه السبعة	٨٢
ثالثاً : منهج اللغويين والنحاة في معالجة القراءات والأساس الصحيح لتفسيرها	٨٥
(أ) المجال الصوتي	٨٩
١ - الاختلافات الصوتية	٨٩
٢ - إثبات صلة ضمير الغائب المذكر وحذفها ..	١٠٩
٣ - حركة هاء ضمير الغائب المذكر	١١٦
٤ - تخفيف مضارع «رأى» وأمره	١١٨
٥ - السكون والحركة في الصوات الحلقية	١٢٠
٦ - تحقيق الهمز وتسهيله	١٢٢
٧ - الإدغام والفك	١٢٧
(ب) مجال الإعراب ونحو الجمل	١٢٨
١ - إلزام المثنى الألف	١٢٩
٢ - عطف الظاهر على المضمر المفترض من غير إعادة الخافض	١٣٢
٣ - تسكين حركة الإعراب	١٣٦
٤ - الفصل بين المتضاديين	١٣٧

الصحيحة	الموضوع
	الفصل السادس
(١٤٦-٢٣٢)	الإدغام والفك بين القراء واللغويين
١٤٦	الإدغام في القراءات وتفسيره من الوجهة اللغوية
١٤٦	تعريف الإدغام
١٤٨	الهدف من الإدغام
١٥٢	شروط الإدغام
١٥٥	أقسام الإدغام
١٥٥	الإدغام الصغير والإدغام الكبير
١٥٧	أحكام الإدغام الصغير
١٥٧	الحكم الأول : الوجوب
١٥٩	الحكم الثاني : الجواز
	 النوع الأول : الإدغام الصغير في بعض الحروف التي تجانت مخارجها
١٦٠	ذال إذ
١٦١	DAL قـد
١٦٢	تاء التأنيث
١٦٣	لام هل وبـل
	 النوع الثاني : إدغام حرف في حرف فيما أطلق عليه « حروف قربت مخارجها »
١٦٥

الصحيحة	الموضع
١٦٦	الإدغام فيما هو في كلمة واحدة ...
١٦٧	الإدغام فيما هو في كلمتين ...
١٧١	أحكام الإدغام الكبير
١٧٢	المشان
١٧٢	في كلمة واحدة
١٧٣	في كلمتين
١٨٢	المتقاربان والمتجانسان
١٨٢	في كلمة واحدة
١٨٣	في كلمتين
١٩٥	الإدغام في حروف العربية
١٩٥	النوع الأول : ما يوجد فيه إدغام المشين ولا يصح فيه إدغام المتقاربين
١٩٦	النوع الثاني : ما يصح فيه إدغام المشين والمتقاربين
١٩٨	الإدغام في حروف الحلق
٢٠٤	الإدغام في حروف الفم واللسان
٢٠٥	١ - حروف أقصى اللسان
٢٠٦	٢ - حروف وسط اللسان
٢٠٧	٣ - حروف طرف اللسان
٢١٤	الفك والإدغام في الفعل الثلاثي المضعف
٢٢٥	صيغة افتعل

الصحيحة	الموضوع
٢٢٨	مِيفَاتُ تَفَاعُلٍ وَتَفْعُلٍ
(٢٣٦-٢٣٣)	أَهْمَمُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ
(٢٤٢-٢٣٧)	فِيَرِسْتَ المَوْضِعَاتِ



